



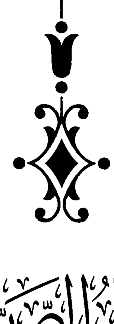
الوابل الصيب

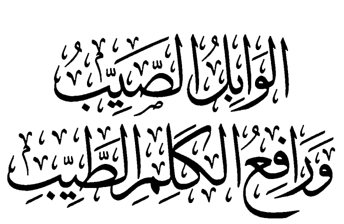
ورافع الكلم الطيب

طبعة محققة مهذبة الحواشي مجردة من المقدمات والفهارس

تأليف
الإمام أبي عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب
المعروف بـ «ابن قيم الجوزية»
(٦٩١هـ - ٧٥١هـ)

دار عطاءات العلم




الوابل الصيب
ورافع الكلم الطيب

ح دار عطاءات العلم للنشر، ١٤٤٤هـ
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر
الجوزية ، ابن قيم
الوابل الصيب ورافع الكلم الطيب. / ابن قيم الجوزية .- الرياض ، ١٤٤٤ هـ
٢٣٠ ص ؛ ..سم
ردمك: ٥-٧١-٨٣١٤-٦٠٣-٩٧٨
١- الادعية و الاذكار ٢- الحديث - مباحث عامة أ.العنوان
ديوي ٢١٢,٩٣ ١٢٤٦١ / ١٤٤٤
رقم الإيداع: ١٤٤٤/١٢٤٦١ ردمك: ٥-٧١-٨٣١٤-٦٠٣-٩٧٨

دار عطاءات العلم

info@ataat.com.sa
00966 559222543
@ ataat11

الطبعة الأولى
١٤٤٤هـ / ٢٠٢٣م

توزيع

دار الحضارة



المملكة العربية السعودية - الرياض
daralhadarah@hotmail.com
الرقم الموحد : 920000908 الفاكس : 2702719 - 011
@daralhadarah 0551523173
زوروا متجر الحضارة
daralhadarah.net



الإصدار رقم (١٣١)
آثار الإمام ابن القيم
سلسلة الطبعات الميسرة (٢)



طبعة محققة مهذبة الحواشي مجردة من المقدمات والفهارس

تأليف
الإمام أبي عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب
المعروف بـ «ابن قيم الجوزية»
(٦٩١هـ - ٧٥١هـ)





تقديم

الحمدُ لله، والصلاة والسلام علىٰ رسول الله، وعلىٰ آله وصحبه ومن والاه، أما بعد:

فإنّ العناية بالتراث العلمي لأئمة السلف تحقيقًا وتيسيرًا ونشرًا من أشرف المقاصد وأنفع الأعمال وأجل القربات، لا سيما العناية بآثار العلماء المشهود لهم بغزارة العلم وحسن الاختيار وبراعة التصنيف، ممّن كتب الله تعالىٰ لمؤلفاتهم القبول في مشارق الأرض ومغاربها عبر القرون.

وإنّ من فضل الله ﷻ علىٰ «عطاءات العلم» وتمام توفيقه أنْ بوّأها مراتب السَّبْق ومنازل الريادة في عديدٍ من المجالات العلمية، فأثْرَت الساحة العلمية بدراسات محكمة وبحوث متخصصة ومناهج دراسية، وكان لتقريب التراث ونشره أوفىٰ نصيب؛ إذ عملت علىٰ تحقيق ونشر العشرات من أمهات كتب التراث لنخبة من العلماء.

وفي طليعة هذه الأعمال تأتي العناية بنشر آثار الأئمة الأعلام (شيخ الإسلام ابن تيميّة، والعَلّامة ابن قيم الجوزية، والعَلّامة المُعلِّمي، والعَلّامة الشِّنقيطي) رحمة الله تعالىٰ عليهم أجمعين، امتدادًا لمشروع علمي ضخم انطلق منذ عقدين من الزمان، ولا يزال أهل العلم وطلابه يتفيؤون ظلاله، وينهلون من موارده.

هذا ويَطيبُ لـ«عطاءات العلم» تدشين مرحلة جديدة في هذا المشروع المبارك، بتقديم سلسلة: «الطبعات المُيَسَّرة» لمختارات من مؤلفات ابن قيم الجوزية رحمه الله تعالىٰ مما سبق نشره ضمن أعمال المشروع، وكانت الحاجة إليها ماسّة، من أجل تيسير الانتفاع بهذه الكتب، وتوسيع دائرة نشرها، وتعظيم أثرها، وتسهيل

اقتنائها، وزيادة قرائها؛ بطبعات أصغر حجمًا وأقل تكلفة، وذلك وفق خطوات التيسير الآتية:

١- الاعتماد على الطبعات المحقّقة التي تنشرها «عطاءات العلم» تحت مسمى (آثار الإمام ابن قيم الجوزية وما لحقها من أعمال).

٢- إثبات نصِّ كلام ابن القيم كاملًا دون تصَرُّفٍ أو اختصار، كما جاء في طبعته المحقّقة.

٣- تجريد الكتاب من المقدمات الدراسية والفهارس التفصيلية، خلا مقدمة محقق الطبعة المحقّقة وفهرس موضوعات الكتاب.

٤- تهذيب حواشي التحقيق، وتجريدها من فروق النُّسخ وما إليها.

٥- اختصار تخريج الأحاديث والآثار، مع بيان درجة الحديث بإيجاز.

٦- الإبقاء على بيان معاني الألفاظ الغريبة، مع ضبط ما يلزم بالشَّكل.

٧- الإحالة بجوار العناوين الرئيسة إلى ما يقابلها من صفحة الطبعة المحقّقة.

واللهَ نسألُ أن يبارك في هذه السلسلة، ويتقبّلها بقبول حسن، وأن ينفع بها الأمة، ويجزل الأجر، ويعظم المثوبة للشيخ سليمان بن عبد العزيز الراجحي ومؤسسته الخيرية الرائدة على الرعاية المباركة التي أثمرت هذه السلسلة الجديدة وما سبقها من أعمال.

والحمد لله أولًا وآخرًا



مقدمة التحقيق

الحمد لله رب العالمين، «أحمدُه حمدًا كما ينبغي لكرم وجهه وعِزِّ جلاله، وأستعينُه استعانة من لا حول له ولا قوَّة إلَّا به، وأستهديه بِهُداهُ الذي لا يَضِلُّ مَنْ أنْعَم به عليهم، وأستغفره لما أزلفتُ وأخَّرْتُ؛ استغفارَ مَنْ يُقِرُّ بعبوديَّته، ويعلم أنه لا يغفرُ ذنبَه ولا يُنْجِيهِ منه إلّا هو.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأنّ محمدًا عبده ورسوله»[1]، صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وصحبه وسلم.

أمّا بعدُ؛ فهذه رسالةٌ جليلةُ القَدْرِ، نبيلةُ المقْصِد، صادقةُ اللَّهجة، مُشرِقةُ المعاني، بَعَثَ بها عالمٌ ربانيٌّ إلىٰ بعضِ إخوانِه، ليُحدِّثهم فيها -حديثَ الناصحِ الوَجِل، والمُشْفِق الحَدِب- عن ذكر الله تعالىٰ، وما يحصُلُ به مِنْ حياةِ القلوب، وشفاءِ الصدور، ومتاعِ الأرواح، وبهجةِ الأنفس، وقُرَّةِ العَيْن، ونعيمِ الدنيا.

ولِيَقُصَّ عليهم في سُطورها منزلةَ هذه العبادة العظيمة، ورفيعَ مقامها، وجليلَ مكانِها، ووافِرِ هِباتِها وعوائِدها علىٰ أهلها.

وليُبَصِّرهم في أثنائها موضعَ هذه الشَّعيرة من هذا الدين، وأنها مِنْهُ بالمحلِّ الأسنىٰ، والمقامِ الأسمىٰ، والدَّرجةِ العاليةِ الرفيعة.

ولِيَتْلُوَ عليهم من كتاب ربِّهم، وحديث رسوله ﷺ بعض ما ورد بفضلها، ونَطَقَ بِشَرَفِها.

وَلِيُعَلِّمهم هَدْيَ نبيِّهم وقُدْوَتِهم ﷺ فيها، قولًا وعملًا؛ لِيأتوا البيوتَ من أبوابِها، ويقصِدوا رضوان الله تعالىٰ من سبيلِه الذي اختار لهم، ويَبْلُغوا مُراد

(١) «الرسالة» للشافعي (٨).

الشريعة علىٰ جادَّةٍ مأمونةٍ. ومَنْ سَلك الجَدَد أمِن العِثار.

وتلك -لَعمر الله- غايةٌ جليلة، وما يوفَّق للدعوة إليها، والدلالة عليها، إلَّا موفَّقٌ ذو حظٍّ عظيم. ولمثلها سعىٰ المصلحون، وتسابقَ أهلُ الحديث والسُّنة في التصنيف في أبواب الذكر والدعاء.

فها هو الإمام أبو القاسم الطبراني (ت: ٣٦٠) يستفتح كتابه «الدعاء» بقوله: «هذا كتابٌ أَلَّفْتُه جامعًا لأدعية رسول الله -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، حَداني علىٰ ذلك أني رأيتُ كثيرًا من الناس قد تمسَّكوا بأدعيةٍ سَجْعٍ، وأدعية وُضِعَتْ علىٰ عدد الأيام، ممَّا أَلَّفها الورَّاقون، لا تُرْوَىٰ عن رسول الله ﷺ، ولا عن أحدٍ من أصحابه، ولا عن أحدٍ من التابعين بإحسان، مع ما رُوِيَ عن رسول الله ﷺ من الكراهية للسَّجْعِ في الدعاء، والتعدِّي فيه. . .»[١].

وما زال الأئمة يُوصُون طُلاب الحديث بكتابة أبواب فضائل الأعمال والأذكار، ويحثُّونهم علىٰ العناية بِهذا الباب من العلم وتحصيله، كما يُوصُونهم ببَثِّه ونشره.

قال عمرو بن قيس الملائي (ت: ١٦٤) -حاضًا وناصحًا-:

«وَجَدْنا أنفع الحديث لنا ما ينفعنا في أمر آخرتنا؛ مَنْ قال كذا فله كذا»[٢].

---

(١) «الدعاء» (٢/ ٧٨٥).

وانظر للاقتصار علىٰ الوارد من الأدعية والأوراد النبويَّة:

«شأن الدعاء» للخطابي (١٦)، و«أحكام القرآن» لابن العربي (٢/ ٨١٦)، و«الجامع لأحكام القرآن» للقرطبي (٤/ ١٤٩)، و (٧/ ١٤٤)، و«قواعد الأحكام» للعز بن عبد السلام (٢/ ٣٣٣)، و«تلخيص كتاب الاستغاثة لشيخ الإسلام ابن تيمية» لابن كثير (١/ ١٣٣، ١٧٠)، و«التوسل والوسيلة» (١/ ٣٤٦ - مجموع الفتاوىٰ)، و«الفتوحات الربانية» (١/ ١٧)، و«الدعاء ومنزلته من العقيدة الإسلامية» لجيلان العروسي (٢/ ٥٦٩-٥٩٠).

(٢) أخرجه العجلي في «معرفة الثقات» (٢/ ١٨٣- ترتيبه)، ورواه من طريقه جماعة.

وقال الخطيب البغدادي (ت: ٤٦٣):

«ويستَحبُّ أيضًا إملاءُ أحاديث الترغيب في فضائل الأعمال، وما يَحُثُّ علىٰ القراءة وغيرها من الأذكار»[١].

وقال الذهبي (ت: ٧٤٨):

«والعلمُ الذي في فضائل الأعمال مِمّا يصحُّ إسنادُه؛ يتعيَّن نقلُه، ويتأكَّدُ نشرُه، وينبغي للأمَّةِ نقلُه»[٢].

ورحلةُ الإمام المتقِن شعبةِ بن الحجاج رحمه الله تعالىٰ في طلب حديث فضلِ الذكر بعد الوضوء؛ شَاهدٌ ناطقٌ، وصورةٌ صادقةٌ لهذه العناية[٣].

وبعدُ؛ فقد نُشِرَتْ هذه الرسالة مِنْ قبلُ مرات، فأحيا اللهُ بها قلوبًا جَدْبًا، وأنْعَشَ بها أنفسًا مريضةً، وبصَّر بها أَعْيُنًا أظْلَمَتْها ظلماتُ المعصية، وأرَّقَتْها حسرات الذنوب.

وها هي اليوم تُنْشَر إلىٰ الناس مرة أخرىٰ -مُعْتَنًىٰ بها علىٰ ما وَسِعَه الجهد-؛ عَلَّها تَنْشُر مَوَاتَ أفئدةٍ أخرىٰ ران عليها الهوىٰ، وأسكرَتْها الشهوة، واستعبَدَتْها لُعاعَةٌ مِنْ دنيا زائلة.

د. عبد الرحمن بن حسن قائد

---

(١) «الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع» (٢/ ١٥١). وانظر: «أدب الإملاء والاستملاء» للسمعاني (١/ ٣١٣).

(٢) «سير أعلام النبلاء» (١٠/ ٦٠٤). وانظر: (٣/ ٨٤-٨٦).

(٣) انظرها في: «المحدث الفاصل» للرامهرمزي (٣١٣-٣١٥)، و«الرحلة في طلب الحديث» للخطيب (١٤٨-١٥٣).

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وبه نستعين

هذه رسالة كتبها شيخنا الإمام العالم الحَبْر العلّامة شيخ الإسلام شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد، المعروف بابن قيم الجوزية، تغمده الله برحمته، إلىٰ بعض إخوانه، وسمّاها «الكلم الطيب والعمل الصالح»، وهي كما سمّاها.

قال:

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

اللهُ سبحانه وتعالىٰ المسؤول المرجوُّ الإجابة أن يتولاكم في الدنيا والآخرة، وأن يُسْبِغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنةً، وأن يجعلكم ممن إذا أُنْعَم الله عليه شكر، وإذا ابْتُلِيَ صبر، وإذا أذنب استغفر؛ فإن هذه الأمور الثلاثة هي عُنوان سعادة العبد، وعلامة فلاحه في دنياه وأخراه، ولا يَنْفَكُّ عبدٌ عنها أبدًا، فإنّ العبد دائمًا يتقلَّبُ بين هذه الأطباق الثلاث.

نِعَمٌ من الله تعالىٰ تترادف عليه، فَقَيْدُها الشكر، وهو مبنيّ علىٰ ثلاثة أركان: الاعتراف بها باطنًا، والتحدث بها ظاهرًا، وتصريفها في مرضاة وَليِّها ومُسْدِيها ومعطيها. فإذا فعل ذلك فقد شكرها، مع تقصيره في شكرها.

الثاني: مِحَنٌ من الله تعالىٰ يبتليه بها، ففرضُه فيها الصبر والتسليم.

والصبر: حبس النفس عن التَّسخُّط بالمقدور، وحبس اللِّسان عن الشكوىٰ، وحبس الجوارح عن المعصية، كاللَّطْم، وشق الثياب، ونتف الشعر، ونحو ذلك.

فمدار الصبر علىٰ هذه الأركان الثلاثة، فإذا قام بها العبد كما ينبغي انقلبت

المحنة في حقه منحة، واستحالت البلية عطية، وصار المكروه محبوبًا؛ فإن الله سبحانه وتعالىٰ لم يَبْتلِهِ ليُهْلِكه، وإنما ابتلاه ليمتحن صبره وعبوديّته، فإن لله تعالىٰ علىٰ العبد عبوديةً في الضراء، كما له عليه عبودية في السراء، وله عليه عبودية فيما يكره، كما له عليه عبودية فيما يُحِبّ، وأكثر الخلق يُعْطُون العبودية فيما يُحِبُّون، والشأنُ في إعطاء العبودية في المكاره، فَبِه تَفاوتَتْ مراتبُ العباد، وبِحَسَبه كانت منازلهم عند الله تعالىٰ.

فالوضوء بالماء البارد في شدة الحر عبودية، ومباشرة زوجته الحسناء التي يحبها عبودية، ونفقته عليها وعلىٰ نفسه وعياله عبودية، هذا والوضوء بالماء البارد في شدة البرد عبودية، وتركُ المعصية التي اشتدَّتْ دواعي نفسه إليها من غير خوف من الناس عبودية، ونفقته في الضراء عبودية، ولكنْ فرقٌ عظيم بين العبوديتَيْن.

فمن كان عبدًا لله في الحالَيْن، قائمًا بحقه في المكروه والمحبوب، فذلك الذي يتناوله قوله تعالىٰ: ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ﴾ [الزمر:٣٦] وفي القراءة الأخرىٰ (عباده)، وهما سواء؛ لأن المفرد مضاف، فيعمُّ عموم الجمع.

فالكفاية التامة مع العبودية التامة، والناقصة مع الناقصة، فمن وَجَد خيرًا فليحمد الله، ومن وَجَد غير ذلك فلا يلومنّ إلا نفسه.

وهؤلاء هم عباده الذين ليس لعدوّه عليهم سلطان، قال الله تعالىٰ: ﴿إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ﴾ [الحجر:٤٢].

ولما علم عدوُّ الله إبليس أن الله تعالىٰ لا يُسْلِم عباده إليه، ولا يُسَلِّطُه عليهم قال: ﴿فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ﴾ [ص:٨٢، ٨٣]. قال الله تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُۥ فَٱتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَمَا كَانَ لَهُۥ عَلَيْهِم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يُؤْمِنُ بِٱلْءَاخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِى شَكٍّ﴾ [سبأ:٢٠، ٢١]، فلم يجعل لعدوه سلطانًا علىٰ عباده المؤمنين؛ فإنهم في حِرْزه وكلاءته، وحفظه،

وتحت كَنَفِه، وإنْ اغتال عدوُّه أحدَهم كما يغتال اللصُّ الرجلَ الغافل، فهذا لابد منه؛ لأن العبد قد بُلِي بالغفلة والشهوة والغضب.

ودخولُه علىٰ العبد من هذه الأبواب الثلاثة، ولو احترز العبد ما احترز، فلابد له من غفلة، ولابد له من شهوة، ولابد له من غضب، وقد كان آدم أبو البشر ﷺ من أحلم الخلق، وأرجحهم عقلًا، وأثبتهم، ومع هذا فلم يزل به عدوُّ الله حتىٰ أوقعه فيما أوقعه فيه، فما الظن بِفَرَاشَةِ الحِلْمِ[1]، ومَنْ عَقْلُه في جنب عقل أبيه كتفلةٍ في بحر؟!

ولكنّ عدو الله لا يَخْلُصُ إلىٰ المؤمن إلا غِيلةً علىٰ غِرّةٍ وغفلة، فَيُوقِعُه، ويظن أنه لا يستقيل ربه ﷻ بعدها، وأن تلك الواقعة قد اجتاحته وأهلكته، وفضلُ الله تعالىٰ ورحمته وعفوه ومغفرته من وراء ذلك كلّه.

فإذا أراد الله بعبده خيرًا فتح له بابًا من أبواب التوبة، والندم، والانكسار، والذل، والافتقار، والاستغاثة به، وصِدْقِ اللَّجأ إليه، ودوام التضرع، والدعاء، والتقرب إليه بما أمكن من الحسنات = ما تكون تلك السيئة به سبب رحمته، حتىٰ يقول عدو الله: يا ليتني تركته ولم أُوقِعْهُ.

وهذا معنىٰ قول بعض السلف: إن العبد ليعمل الذنب يَدْخُلُ به الجنة، ويعمل الحسنة يدخل بها النار، قالوا: كيف؟ قال: يعمل الذنب فلا يزال نصْبَ عينيه، خائفًا منه مُشفِقًا وَجِلًا باكيًا نادمًا، مستحيًا من ربه تعالىٰ، ناكس الرأس بين يديه، منكسر القلب له[2]؛ فيكون ذلك الذنب سبب سعادة العبد وفلاحه، حتىٰ يكون ذلك الذنب أنفع له من طاعات كثيرةٍ؛ بما ترتب عليه من هذه الأمور التي بها سعادة العبد وفلاحه، حتىٰ يكون ذلك الذنب سبب دخوله الجنة.

---

(١) العربُ تضربُ بالفَراشِ المثلَ في خِفَّة الحِلْم.

(٢) روىٰ الإمام أحمد في «الزهد» (٣٩٧)، وابن المبارك في «الزهد» (١٦٢) من مرسل الحسن البصري نحوه.

وجاء هذا المعنىٰ من قول أبي موسىٰ وأبي أيوب رضي الله عنهما، ومن قول الحسن وأبي حازم.

ويفعل الحسنة فلا يزال يَمُنُّ بها علىٰ ربه، ويتكبر بها، ويَرىٰ نفسه، ويعجب بها، ويستطيل بها، ويقول: فعلتُ، وفعلتُ؛ فيورثه ذلك من العجب والكِبْر، والفخر والاستطالة، ما يكون سبب هلاكه. فإذا أراد الله تعالىٰ بهذا المسكين خيرًا ابتلاه بأمرٍ يَكْسِرُه به، ويُذِلُّ به عُنُقَه، ويُصَغِّرُ به نَفْسَه عنده. وإن أراد به غير ذلك، خَلَّاهُ وعُجْبَه وكِبْره، وهذا هو الخذلان الموجب لهلاكه؛ فإن العارفين كلهم مجمعون علىٰ أن التوفيق: أن لا يكِلَك الله تعالىٰ إلىٰ نفسك، والخذلان: أن يَكِلَكَ الله تعالىٰ إلىٰ نفسك.

فمن أراد الله به خيرًا فتح له باب الذل والانكسار، ودوام اللَّجَأِ إلىٰ الله تعالىٰ، والافتقار إليه، ورؤية عيوب نفسه، وجهلها، وظلمها، وعدوانها، ومشاهدة فضل ربه، وإحسانه، ورحمته، وجوده، وبِرّه، وغِناه، وحمده.

فالعارف سائر إلىٰ الله تعالىٰ بين هذين الجناحين، لا يمكنه أن يسير إلا بهما، فمتىٰ فاته واحد منهما، فهو كالطير الذي فقد أحد جناحيه.

قال شيخ الإسلام: «العارف يسير إلىٰ الله بين مشاهدة المِنَّة، ومطالعة عيب النفس والعمل».

وهذا معنىٰ قوله ﷺ في الحديث الصحيح، حديثِ «سَيِّدُ الاستغفار أن يقول العبد: **اللَّهم أنت ربي لا إله إلا أنتَ، خلقتني، وأنا عبدك، وأنا علىٰ عهدِك ووعدِك ما استطعتُ، أعوذُ بكَ من شَرِّ ما صنعتُ، أبوء لكَ بنعمتِك عليَّ وأبوء بذنبي، فاغفر لي، إنَّه لا يغفر الذنوبَ إلا أنتَ**»(١).

فجمع في قوله ﷺ: «**أبوء لك بنعمتك عليَّ، وأبوء بذنبي**» بين مشاهدة المنّة، ومطالعة عيب النفس والعمل.

فمشاهدةُ المنة توجب له المحبة والحمد والشكر لوليِّ النعم والإحسان،

---

(١) أخرجه البخاري (٦٣٢٣) من حديث شداد بن أوس رضي الله عنه.

ومطالعةُ عيب النفس والعمل توجب له الذل والانكسار، والافتقار والتوبة في كل وقت، وأن لا يرىٰ نفسه إلا مفلسًا.

وأقربُ بابٍ دخل منه العبد علىٰ الله تعالىٰ باب الإفلاس، فلا يرىٰ لنفسه حالًا، ولا مقامًا، ولا سببًا يتعلق به، ولا وسيلة منه يَمُنُّ بها، بل يدخل علىٰ الله تعالىٰ من باب الافتقار الصِّرْف، والإفلاس المَحْض، دخولَ من قد كسر الفقر والمسكنة قلبه حتىٰ وصلت تلك الكسرة إلىٰ سُوَيْدائه فانصدع، وشملته الكَسْرة من كل جهاته، وشهد ضرورته إلىٰ ربه ﷻ وكمال فاقته وفقره إليه، وأن في كل ذرة من ذراته الظاهرة والباطنة فاقةً تامةً، وضرورةً كاملةً إلىٰ ربه تبارك وتعالىٰ، وأنه إن تخلىٰ عنه طرفة عينٍ هَلَكَ، وخسر خسارة لا تُجْبَر؛ إلا أن يعود الله تعالىٰ عليه ويتداركه برحمته.

ولا طريق إلىٰ الله تعالىٰ أقرب من العبودية، ولا حجاب أغلظ من الدَّعْوىٰ!.

والعبوديةُ مدارها علىٰ قاعدتين هما أصلها: حب كامل، وذل تام. ومنشأ هذين الأصلين عن ذَيْنِكَ الأصلين المتقدمَيْن، وهما: مشاهدة المِنّة التي تورث المحبة، ومطالعة عيب النفس والعمل التي تورث الذل التام.

وإذا كان العبد قد بنىٰ سلوكه إلىٰ الله تعالىٰ علىٰ هذين الأصلين لم يظفر عدوه به إلا علىٰ غِرَّةٍ وغفلة، وما أسرع ما يُنْعِشُه الله ﷻ ويَجْبُره، ويتداركه برحمته.

فصـــل

ص(١٤)

وإنما يستقيم له هذا باستقامة قلبه وجوارحه؛ فاستقامة القلب بشيئين:

أحدهما: أن تكون محبة الله تعالىٰ تتقدم عنده علىٰ جميع المحابِّ، فإذا تعارض حب الله تعالىٰ وحب غيره سبق حُبُّ الله تعالىٰ حُبَّ ما سواه، فرتّب علىٰ ذلك مقتضاه.

وما أسهل هذا بالدعوىٰ، وما أصعبه بالفعل!، فعند الامتحان يكرم المرء أو يهان.

وما أكثر ما يُقَدِّم العبد ما يحبه هو ويهواه، أو يحبه كبيره أو أميره أو شيخه أو أهله علىٰ ما يحبه الله تعالىٰ، فهذا لم تتقدم محبة الله تعالىٰ في قلبه جميع المحابّ، ولا كانت هي الحاكمة عليها، المؤمَّرة عليها، وسُنَّةُ الله تعالىٰ فيمن هذا شأنه أن يُنَكِّدَ عليه مَحَابَّه، ويُنَغِّصها عليه، فلا ينال شيئًا منها إلا بنكدٍ وتنغيصٍ، جزاءً له علىٰ إيثاره هواه وهوىٰ من يُعَظِّمُه من الخلق أو يُحِبُّه علىٰ محبة الله تعالىٰ.

وقد قضىٰ الله ﷻ قضاءً لا يُردُّ ولا يُدْفَع، أن من أحب شيئًا سواه عُذِّبَ به ولا بُدّ، وأنّ من خاف غيره سُلِّطَ عليه، وأن من اشتغل بشيء غيره كان شُؤْمًا عليه، ومن آثر غيره عليه لم يُبارك له فيه، ومن أرضىٰ غيره بسخطه أسخطه عليه ولا بُدّ.

الأمر الثاني الذي يستقيم به القلب: تعظيم الأمر والنهي؛ وهو ناشئٌ عن تعظيم الآمر الناهي، فإن الله تعالىٰ ذم من لا يُعَظِّمه، ولا يُعَظِّم أمره ونهيه، قال الله سبحانه وتعالىٰ: ﴿مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا﴾ [نوح:١٣]. قالوا في تفسيرها: مالكم لا تخافون لله تعالىٰ عظمة.

وما أحسن ما قال شيخ الإسلام في تعظيم الأمر والنهي: «هو أن لا يُعارَضا بترخيصٍ جافٍّ، ولا يُعَرَّضا لتشديدٍ غالٍ، ولا يحملا علىٰ علةٍ تُوهِنُ الانقياد».

ومعنىٰ كلامه: أن أول مراتب تعظيم الحق ﷻ: تعظيم أمره ونهيه، وذلك لأن المؤمن يعرفُ ربَّهُ ﷻ برسالته التي أرسل بها رسوله ﷺ إلىٰ الناس كافة، ومقتضاها الانقياد لأمره ونهيه، وإنما يكون ذلك بتعظيم أمر الله عز جل واتِّباعه، وتعظيم نهيه واجتنابه، فيكون تعظيم المؤمن لأمر الله تعالىٰ ونهيه دالًّا علىٰ تعظيمه لصاحب الأمر والنهي، ويكون بحسب هذا التعظيم من الأبرار المشهود لهم بالإيمان والتصديق، وصحة العقيدة والبراءة من النفاق الأكبر.

فإن الرجل قد يتعاطىٰ فعل الأمر؛ لنظر الخلق، وطلب المنزلة والجاه عندهم،

ويتقي المناهي خشية سقوطه من أعينهم، وخشية العقوبات الدنيوية من الحدود التي رتبها الشارع ﷺ على المناهي، فهذا ليس فعله وتركه صادرًا عن تعظيم الأمر والنهي، ولا عن تعظيم الآمر الناهي.

فعلامة التعظيم للأوامر: رعايةُ أوقاتها وحدودها، والتفتيشُ على أركانها وواجباتها وكمالها، والحرصُ على تحسينها، وفعلُها في أوقاتها، والمسارعةُ إليها عند وجوبها، والحزنُ والكآبة والأسف عند فوات حق من حقوقها، كمن يحزن على فوت الجماعة، ويعلم أنه لو تُقُبِّلَتْ منه صلاته منفردًا فإنه قد فاته سبعة وعشرون ضِعفًا.

ولو أن رجلًا يعاني البيع والشراء يفوته في صفقة واحدة في بلده من غير سفر ولا مشقّةٍ سبعة وعشرون دينارًا لأكل يديه ندمًا وأسفًا. فكيف وكُلُّ ضِعْفٍ مما تضاعف به صلاة الجماعة خير من أَلْفٍ، وأَلْفِ أَلْفٍ، وما شاء الله تعالى؟!

فإذا فَوَّت العبد عليه هذا الربح خسر قطعًا!

وكثير من العلماء يقول: لا صلاة له وهو بارد القلب، فارغٌ من هذه المصيبة، غير مُرْتَاعٍ لها؛ فهذا من عدم تعظيم أمر الله تعالى في قلبه.

وكذلك إذا فاته أول الوقت الذي هو رضوان الله تعالى، أو فاته الصف الأول الذي يصلي الله وملائكته على ميامنه، ولو يعلم العبد فضيلته لجالد عليه، ولكانت قرعة.

وكذلك فَوْتُ الجَمْعِ الكثير الذي تُضاعَفُ الصلاة بكثرته وقلته، وكلما كثر الجَمْعُ كان أحب إلى الله ﷻ، وكلما بَعُدَت الخُطا كانت خطوةٌ تحطُّ خطيئة، وأخرى ترفع درجة.

وكذلك فَوْتُ الخشوع في الصلاة، وحضور القلب فيها بين يدي الرب ﷻ الذي هو روحُها ولُبُّها، فصلاةٌ بلا خشوعٍ ولا حُضورٍ كبدن ميت لا روح فيه. أفلا

يستحي العبد أن يُهدي إلىٰ مخلوقٍ مثله عبدًا ميتًا، أو جارية ميتة؟! فما ظن هذا العبد أن تقع تلك الهدية ممن قَصَده بها، من ملك، أو أمير، أو غيره؟!

فهكذا سواء، الصلاةُ الخاليةُ عن الخشوع والحضورِ وجمعِ الهمة علىٰ الله تعالىٰ فيها بمنزلة هذا العبد -أو الأَمَة- الميت، الذي يريد إهداءه إلىٰ بعض الملوك؛ ولهذا لا يقبلها الله تعالىٰ منه -وإن أسقطت الفرض في أحكام الدنيا- ولا يثيبه عليها؛ فإنه ليس للعبد من صلاته إلا ما عقل منها، كما في «السنن» و«مسند الإمام أحمد» وغيره عن النبي ﷺ أنه قال: «**إن العبد ليصلي الصلاة وما كُتِب له إلا نصفها، إلا ثلثها، إلا ربعها، إلا خُمسها، حتىٰ بلغ عُشرها**»(١).

وينبغي أن يُعْلَم أن سائر الأعمال تجري هذا المجرىٰ، فَتَفاضُلُ الأعمال عند الله تعالىٰ بِتفاضُلِ ما في القلوب من الإيمان، والإخلاص، والمحبة وتوابعها، وهذا العمل الكامل هو الذي يكفِّر تكفيرًا كاملًا، والناقصُ بِحَسَبِه.

وبهاتين القاعدتين تزول إشكالاتٌ كثيرة، وهما:

تفاضُلُ الأعمال بتفاضل ما في القلوب من حقائق الإيمان، وتكفيرُ العمل للسيئات بحسب كماله ونقصانه.

وبهذا يزول الإشكال الذي يورده من نَقَص حظُّه من هذا الباب علىٰ الحديث الذي فيه: «**إن صوم يوم عرفة يُكَفِّر سنتين، ويوم عاشوراء يُكَفِّر سنة**»(٢).

قالوا: فإذا كان دأبه دائمًا أنه يصوم يوم عرفة، فصامه وصام يوم عاشوراء، فكيف يقع تكفير ثلاث سنين كل سنة؟

وأجاب بعضهم عن هذا، بأن ما فَضَلَ عن التكفير ينال به الدرجات.

---

(١) أخرجه أبو داود (٧٨٦)، والنسائي في «الكبرىٰ» (٦١٤، ٦١٥) وأحمد (٦/ ٤٠٨ - ٤٠٩) وغيرهم عن عمار بن ياسر رضي الله عنه، وصححه ابن حبان، والعراقي.

(٢) أخرجه مسلم (١١٦٢) من حديث أبي قتادة رضي الله عنه.

ويالله العجب! فليت العبد إذا أتىٰ بهذه المكفِّرات كلِّها أن تُكَفَّر عنه سيئاته باجتماع بعضها إلىٰ بعض. والتكفيرُ بهذه مشروطٌ بشروطٍ، موقوفٌ علىٰ انتفاء موانع في العمل وخارجه؛ فإنْ عَلِم العبد أنه جاء بالشروط كلِّها، وانتفت عنه الموانع كلُّها، فحينئذ يقع التكفير، وأما عَمَلٌ شَمِلتْهُ الغفلة أو لأكثره، وفَقَدَ الإخلاص الذي هو رُوحه ولُبُّه ولم يُوف حَقّه، ولم يقدّره حق قدره = فأيُّ شيء يكفِّر هذا العمل؟!

فإنْ وثق العبد من عمله بأنه وفّاه حقَّه الذي ينبغي له ظاهرًا وباطنًا، ولم يعرض له مانع يمنع تكفيره، ولا مُبْطِل يحبطه من عُجْبٍ أو رؤيةِ نفسه فيه، أو مَنٍّ به، أو يطلب من العباد تعظيمه به، أو يستشرف بقلبه لمن يعظِّمه عليه، أو يُعادي من لا يعظمه عليه، ويرىٰ أنه قد بخسه حقه، وأنه قد استهان بحرمته = فهذا أيُّ شيء يُكَفِّر؟!

ومحبطاتُ الأعمال ومفسداتُها أكثر من أن تحصر، وليس الشأن في العمل، إنما الشأن في حفظ العمل مما يفسده ويحبطه.

فالرياء -وإن دَقَّ- محبطٌ للعمل، وهو أبواب كثيرة لا تحصر. وكونُ العمل غير مُقَيَّد باتباع السنة أيضًا موجبٌ لكونه باطلًا، والمَنُّ به علىٰ الله تعالىٰ بقلبه مُفْسِدٌ له، وكذلك المَنُّ بالصدقة والمعروف، والبِرّ والإحسان والصِّلَةِ مُفْسِدٌ لها، كما قال سبحانه وتعالىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُبْطِلُوا۟ صَدَقَٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ ﴾ [البقرة:٢٦٤].

وأكثر الناس ما عندهم خَبَرٌ من السيئات التي تحبط الحسنات، وقد قال تعالىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَرْفَعُوٓا۟ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِىِّ وَلَا تَجْهَرُوا۟ لَهُۥ بِٱلْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَٰلُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴾ [الحجرات:٢].

فحذر سبحانه المؤمنين من حبوط أعمالهم بالجهر لرسول الله ﷺ كما يجهر بعضهم لبعض، وليس هذا بردَّة، بل معصيةٌ يحبط بها العمل وصاحبُها لا يشعرُ بها.

فما الظَّنُّ بِمَنْ قَدَّم علىٰ قولِ الرسولِ ﷺ وهديه وطريقه قولَ غيره وهديَه وطريقَه؟! أليس هذا قد حبط عمله وهو لا يشعر؟!

ومن هذا قوله ﷺ: «**من ترك صلاة العصر فقد حبط عمله**»[١].

ومن هذا قول عائشة رضي الله تعالىٰ عنها وعن أبيها لزيد بن أرقم رضي الله عنه لما باع بالعِينة: «إنه قد أبطل جهاده مع رسول الله ﷺ إلا أن يتوب»[٢].

وليس التبايُع بالعِينة رِدَّةً، وإنما غايته أن يكون معصية.

فمعرفةُ ما يفسدُ الأعمال في حَالِ وقوعها، ويبطِلُها ويحبطُها بعد وقوعها مِنْ أهم ما ينبغي أن يُفَتِّشَ عليه العبد، ويحرص علىٰ علمه، ويحذره.

وقد جاء في أثرٍ معروف: «إن العبد ليعمل العمل سرًّا لله لا يطَّلع عليه أحد إلا الله تعالىٰ، فيتحدث به، فينتقل من ديوان السِّرِّ إلىٰ ديوان العلانية، ثم يصير في ذلك الديوان علىٰ حسب العلانية»[٣]؛ فإن تحدَّث به للسمعة وطلب الجاه والمنزلة عند غير الله تعالىٰ أبطله، كما لو فعله لذلك.

فإن قيل: فإذا تاب هذا هل يعود إليه ثواب العمل؟

قيل: إنْ كان قد عمله لغير الله تعالىٰ، وأوقعه بهذه النية، فإنه لا ينقلب صالحًا بالتوبة؛ بَلْ حَسْبُ التوبة أن تمحو عنه عقابه، فيصير لا له ولا عليه.

وأما إنْ عمله لله تعالىٰ خالصًا، ثم عرض له عُجْبٌ أو رياء، أو تحدَّث به، ثم تاب من بعد ذلك وندم، فهذا قد يعود له ثواب عمله ولا يحبط. وقد يقال: إنه لا يعود إليه، بل يستأنف العمل.

---

(١) أخرجه البخاري (٥٥٣، ٥٩٤) من حديث بريدة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه أبو القاسم البغوي في «الجعديّات» (١/ ١٥٥)، وعبد الرزاق في «المصنف» (٨/ ١٨٤ - ١٨٥)، والدارقطني في «السنن» (٣/ ٥٢)، وغيرهم، وأُعِلَّ بالجهالة.

(٣) جاء بمعناه من حديث أبي الدرداء مرفوعًا عند البيهقي في «الشُّعب» (١٢/ ١٨٥ - ١٨٦) وأعلَّه، وضعفه العراقي.

والمسألة مبنية علىٰ أصْلٍ، وهو أن الردّة هل تحبط العمل بمجرَّدِها، أولا يحبطه إلا الموت عليها؟ فيه للعلماء قولان مشهوران، وهما روايتان عن الإمام أحمد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

فإن قلنا: تحبط العمل بنفسها، فمتىٰ أسلم استأنف العمل وبطل ما كان قد عمل قبل الإسلام، وإن قلنا: لا يحبط العمل إلا إذا مات مُرتَدًّا، فمتىٰ عاد إلىٰ الإسلام عاد إليه ثواب عمله.

وهكذا العبد إذا فعل حسنة، ثم فعل سيئة تحبطها، ثم تاب من تلك السيئة، هل يعود إليه ثواب تلك الحسنة المتقدمة؟ يُخرَّجُ علىٰ هذا الأصل.

ولم يزل في نفسي شيء من هذه المسألة، ولم أزل حريصًا علىٰ الصواب فيها، وما رأيت أحدًا شفىٰ فيها، والذي يظهر لي -والله تعالىٰ أعلم، وبه المستعان، ولا قوة إلا به- أن الحسنات والسيئات تتدافع وتتقابل، ويكون الحكم فيها للغالب، وهو يقهر المغلوب، ويكون الحكم له، حتىٰ كأنّ المغلوب لم يكن، فإذا غلبت علىٰ العبد الحسنات دفعت حسناتُه الكثيرةُ سيئاتِه، ومتىٰ تاب من السيئة ترتَّبَ علىٰ توبته منها حسنات كثيرةٌ قد تربي وتزيد علىٰ الحسنة التي حبطت بالسيئة، فإذا عزمت التوبة، وصحَّت، ونشأت من صميم القلب، أحرقت ما مرّت عليه من السيئات، حتىٰ كأنها لم تكن؛ فإن التائب من الذنب كمن لا ذنب له.

وقد سأل حكيمُ بن حزام رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ النبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن عتاقةٍ وصِلَةٍ وبِرٍّ فعله في الشرك: هل يُثابُ عليه؟ فقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ له: «**أسلمت علىٰ ما أسلفت مِنْ خَيْرٍ**»[١].

فهذا يقتضي أن الإسلام أعاد عليه ثواب تلك الحسنات التي كانت باطلة بالشرك، فلما تاب من الشرك عاد إليه ثوابُ حسناته المتقدمة.

---

(١) أخرجه البخاري (١٤٣٦، ٢٢٢٠)، ومسلم (١٢٣) واللفظ له، عن حكيم بن حزام رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

فهكذا إذا تاب العبد توبة نصوحًا صادقةً خالصةً أحرقت ما كان قبلها من السيئات، وأعادت عليه ثواب حسناته.

يُوَضِّحُ هذا أنَّ السيئاتِ والذنوب هي أمراضٌ قلبية، كما أن الحمَّىٰ والأوجاع أمراضٌ بدنيةٌ، والمريضُ إذا عُوفِي من مرضه عافية تامة عادت إليه قوته وأفضل منها، حتىٰ كأنه لم يَضْعُفْ قط؛ فالقوةُ المتقدِّمة بمنزلة الحسنات، والمرضُ بمنزلة الذنوب، والصحةُ والعافيةُ بمنزلة التوبة سواء بسواء.

وكما أن من المرضىٰ من لا تعود إليه صحته أبدًا؛ لضعف عافيته، ومنهم من تعود صحته كما كانت؛ لتقاوم الأسباب وتدافعها، وعَوْدِ البدن إلىٰ كماله الأول، ومنهم من يعود أصحَّ مما كان وأقوىٰ وأنشط؛ لقوة أسباب العافية وقهرها وغلبتها لأسباب الضعف والمرض، حتىٰ ربما كان مرض هذا سببًا لعافيته، كما قال الشاعر:

لعـل عَتْبَـك محمـودٌ عواقِبُه ... وربما صَحَّت الأجسام بالعِلَل

فهكذا العبد بعد التوبة علىٰ هذه المنازل الثلاث، والله الموفق، لا إله غيره، ولا رب سواه.

ص(٢٦)

فصـل

وأما علامات تعظيم المناهي: فالحرص علىٰ التباعد من مظانِّها وأسبابها وما يدعو إليها، ومجانبة كل وسيلة تُقَرِّبُ منها، كمن يهرب من الأماكن التي فيها الصُّوَر التي تقع بها الفتنة خشية الافتتان بها، وأنْ يَدَعَ ما لا بأس به حذرًا مما به البأس، وأن يجانب الفُضول من المباحات خشية الوقوع في المكروهات، ومجانبة من يجاهر بارتكابها ويحسِّنها ويدعو إليها، ويتهاون بها، ولا يبالي ما ركِبَ منها؛ فإن مخالطة مثل هذا داعية إلىٰ سخط الله تعالىٰ وغضبه، ولا يخالطه إلا من سقط من قلبه تعظيم الله تعالىٰ وحُرُماتِه.

ومن علامات تعظيم النّهي: أن يغضب لله ﷻ إذا انتُهِكت محارمه، وأن يجد في قلبه حُزنًا وكسْرةً إذا عُصِيَ الله تعالىٰ في أرضه، ولم يُطَع بإقامة حدوده وأوامره، ولم يستطع هو أن يُغَيِّر ذلك.

ومن علامات تعظيم الأمر والنهي: أن لا يسترسل مع الرخصة إلىٰ حَدٍّ يكون صاحبه جافيًا غير مستقيم علىٰ المنهج الوسط.

مثال ذلك: أن السُّنةَ وردت بالإبراد بالظهر في شدة الحر[1]، فالترخص الجافي أن يُبْرِد إلىٰ فوات الوقت، أو مقاربة خروجه؛ فيكون مُتَرَخِّصًا جافيًا.

وحكمة هذه الرخصة أن الصلاة في شدة الحر تمنع صاحبها من الخشوع والحضور، ويفعل العبادة بِتكرُّهٍ وضجر، فمن حكمة الشارع ﷺ أنْ أمرهم بتأخيرها حتىٰ ينكسر الحَرُّ، فيصلي العبد بقلبٍ حاضر، ويحصل له مقصود الصلاة من الخشوع والإقبال علىٰ الله تعالىٰ.

ومن هذا نهيه ﷺ أن يصلي الرجل بحضرة الطعام، أو عند مدافعة البول والغائط[2]؛ لِتَعَلُّق قلبه من ذلك بما يُشَوِّشُ عليه مقصود الصلاة، فلا يحصل المراد منها. فَمِنْ فِقْهِ الرجل في عبادته أن يُقْبِل علىٰ شغله فيعمله، ثم يفرغ قلبه للصلاة، فيقوم فيها وقد فرغ قلبه لله تعالىٰ ونَصَبَ وجهه له، وأقبل بِكُلِّيته عليه، فركعتان من هذه الصلاة يُغْفَرُ للمصلي بهما ما تقدم من ذنبه.

والمقصود أنّه لا يترخص ترخّصًا جافيًا.

ومن ذلك أنه رخّص للمسافر في الجمع بين الصلاتين عند العذر، وتعذُّرِ فعلِ كل صلاة في وقتها؛ لمواصلة السير، وتعذر النزول أو تعسُّرِه عليه. فإذا أقام في

---

(١) أخرجه البخاري (٥٣٣، ٥٣٤)، ومسلم (٦١٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه مسلم (٥٦٠) من حديث عائشة رضي الله عنها.

المنزل اليومين والثلاثة، أو أقام اليوم فَجَمْعُه بين الصلاتين لا موجب له؛ لتمكنه من فعل كل صلاة في وقتها من غير مشقة، فالجمع ليس سُنّةً راتبةً كما يعتقده أكثر المسافرين أن سنة السفر الجمع، سواء وُجِدَ عذرٌ أوْ لم يوجد، بل الجمع رخصة عارضة، والقصر سُنة راتبة، فسنة المسافر قصر الرباعية، سواء وُجد له عذرٌ أو لم يُوجَد؛ وأما جمعه بين الصلاتين، فحاجة ورخصة، فهذا لونٌ، وهذا لونٌ.

ومن هذا: أن الشِّبَع في الأكل رخصة غير مُحَرَّمة[1]؛ فلا ينبغي أن يَجْفُوَ العبد فيها حتىٰ يصل به الشِّبَع إلىٰ حد التُّخمة والامتلاء، فيتطلَّبَ ما يُصَرِّفُ به الطعام، فيكون هَمُّه بطنه قبل الأكل وبعده!، بل ينبغي للعبد أن يجوع ويشبع، ويدع الطعام وهو يشتهيه، وميزان ذلك قول النبي ﷺ: «**ثلث لطعامه، وثلث لشرابه، وثلث لِنَفَسِه**»[2]. فلا يجعل الثلاثة الأثلاث كلها للطعام وحده.

وأما تعريض الأمر والنهي للتشديد الغالي، فهو كمن يتوسوس في الوضوء متغاليًا فيه حتىٰ يفوت الوقت، أو يردِّد تكبيرة الإحرام إلىٰ أن تفوته مع الإمام قراءة الفاتحة، أو تكاد تفوته الركعة، أو يتشدد في الورع الغالي حتىٰ لا يأكل شيئًا من طعام عامّة المسلمين؛ خشية دخول الشبهات عليه.

ولقد دخل هذا الورع الفاسد علىٰ بعض العبَّاد الذين نقص حظهم من العلم، حتىٰ امتنع أن يأكل شيئًا من بلاد المسلمين، وكان يتقوَّت بما يُحْمَلُ إليه من بلاد النصارىٰ، ويَبْعَثُ بالقَصْدِ لتحصيل ذلك، فأوقعه الجهل المفرط، والغلوُّ الزائد في إساءة الظن بالمسلمين، وحُسْنِ الظن بالنصارىٰ، نعوذ بالله من الخذلان.

فحقيقة التعظيم للأمر والنهي أن لا يُعارَضا بتَرَخُّصٍ جافٍ، ولا يُعَرَّضا لتشديدٍ

(١) انظر: «صحيح مسلم» (٢٠٣٩)، و«المفهم» للقرطبي (٥/ ٣٠٧).

(٢) أخرجه أحمد (٥/ ٨٥٤)، والترمذي (٢٣٨٠)، والنسائي في «الكبرىٰ» (٦٧٣٧)، وابن ماجه (٣٣٤٩) من حديث المقدام بن معدي كرب رضي الله عنه، وقال الترمذي: «هذا حديث صحيح».

غالٍ، فإن المقصود هو الصراط المستقيم المُوصِل إلىٰ الله ﷻ بِسَالِكِه.

وما أمر الله ﷻ بأمرٍ إلا وللشيطان فيه نزغتان: إما تقصيرٌ وتفريطٌ، وإما إفراطٌ وغُلوٌّ، فلا يبالي بما ظفر من العبد من الخطيئتين، فإنه يأتي إلىٰ قلب العبد فيُشامُّه، فإن وجد فيه تقصيرًا وفتورًا وتوانيًا وترخيصًا أخذه من هذه الخطة، فثبَّطه وأقعده، وضربه بالكسل والتواني والفتور، وفتح له باب التأويلات والرجاء وغير ذلك، حتىٰ ربما ترك العبدُ المأمورَ جملة.

وإن وجد عنده حذرًا وجِدًّا، وتشميرًا ونهضة، وأَيِسَ أن يأخذه من هذا الباب أمره بالاجتهاد الزائد، وسوَّل له أن هذا لا يكفيك، وهِمَّتُك فوق هذا، وينبغي لك أن تزيد علىٰ العاملين، وأن لا ترقد إذا رقدوا، ولا تفطر إذا أفطروا، وأن لا تَفْتُر إذا فتروا، وإذا غسل أحدهم يديه ووجهه ثلاث مرات فاغتسل أنت سبعًا، وإذا توضأ للصلاة فاغتسل أنت لها، ونحو ذلك من الإفراط والتعدِّي، فيحمله علىٰ الغلوِّ والمجاوزة وتعدِّي الصراط المستقيم، كما يَحْمِلُ الأولَ علىٰ التقصير دونه، وأن لا يَقْرَبَه.

ومقصودُه من الرجلين إخراجهما عن الصراط المستقيم، هذا بأن لا يَقْرَبَه ولا يدنو منه، وهذا بأن يتجاوزه ويتعدّاه.

وقد فتن بهذا أكثر الخلق، ولا يُنْجِي من ذلك إلا عِلمٌ راسخ، وإيمانٌ، وقُوَّةٌ علىٰ محاربته، ولزومُ الوسط. والله المستعان.

فصل

ص(٣١)

ومن علامات تعظيم الأمر والنهي: أن لا يَحْمِلَ الأمر علىٰ عِلَّةٍ تُضْعِفُ الانقياد والتسليم لأمر الله ﷻ، بل يُسَلِّم لأمر الله تعالىٰ وحكمه، ممتثلًا ما أمر به، سواء ظهرت له حكمة الشرع في أمره ونهيه أو لم تظهر. فإن ظهرت له حكمة الشرع في أمره ونهيه، حمله ذلك علىٰ مزيد الانقياد بالبذل والتسليم لأمر الله، ولا يحمله ذلك

علىٰ الانسلاخ منه وتركه جملة، كما حَمَل ذلك كثيرًا من زنادقة الفقراء والمنتسبين إلىٰ التصوّف.

فإن الله ﷻ شرع الصلوات الخمس إقامةً لذكره، واستعمالًا للقلب والجوارح واللسان في العبودية، وإعطاء كلٍّ منها قِسْطَه من العبودية التي هي المقصود بخَلْقِ العبد، فَوُضِعَت الصلاةُ علىٰ أكمل مراتب العبودية.

فإن الله سبحانه وتعالىٰ خلق الآدميّ، واختاره من بين سائر البَرِيّة، وجعل قلبه محل كنوزه من الإيمان، والتوحيد، والإخلاص، والمحبة، والحياء، والتعظيم، والمراقبة، وجعل ثوابه إذا قَدِم عليه أكمل الثواب وأفضله، وهو النظر إلىٰ وجهه، والفوز برضوانه، ومجاورته في جنته.

وكان مع ذلك قد ابتلاه بالشهوة والغضب والغفلة، وابتلاه بعدوّه إبليس لا يفتر عنه، فهو يدخل عليه من الأبواب التي هي مِنْ نفسه وطبعه، فتميل نفسه معه؛ لأنه يدخل عليها بما تحب، فيتفق هو ونفسه وهواه علىٰ العبد، ثلاثةٌ مُسَلَّطون آمرون، فيبعثون الجوارح في قضاء وَطَرِهِم، والجوارح آلة منقادة، فلا يمكنها إلا الانبعاث، فهذا شأن هذه الثلاثة، وشأن الجوارح، فلا تزال الجوارح في طاعتهم كيف أَمَروا، وأين يَمَّموا.

هذا مقتضىٰ حال العبد، فاقتضت رحمة ربه العزيز الرحيم به أن أعانه بِجُنْدٍ آخر، وأمدّه بِمَدَدٍ آخر، يقاوم به هذا الجند الذي يريد هلاكه، فأرسل إليه رسوله، وأنزل عليه كتابه، وأيّده بمَلَكٍ كريم يقابل عدوه الشيطان، فإذا أمره الشيطان بأمره، أمره المَلَك بأمر ربه، وبيَّن له ما في طاعة العدو من الهلاك. فهذا يُلِمُّ به مرة، وهذا مرة، والمنصورُ من نصره الله ﷻ، والمحفوظُ من حفظه الله تعالىٰ.

وجَعَل له مقابل نفسه الأَمَّارةِ نفسًا مطمئنة، إذا أمرته النفسُ الأَمَّارة بالسوء نَهَتْهُ عنه النفس المطمئنة، وإذا نهته الأَمَّارة عن الخير أمرته به النفس المطمئنة. فهو

يطيع هذه مرة، وهذه مرة، وهو للغالب عليه منهما، وربما انقهرت إحداهما بالكلية قهرًا لا تقوم معه أبدًا.

وجَعَلَ له مقابل الهوىٰ الحاملِ له علىٰ طاعة الشيطان والنفس الأمَّارةِ نورًا، وبصيرةً، وعقلًا يرده عن الذهاب مع الهوىٰ؛ فكلما أراد أن يذهب مع الهوىٰ ناداه العقل والبصيرة والنور: الحذر الحذر!؛ فإن المهالك والمتالف بين يديك، وأنت صيد الحرامِيَّة[1]، وقُطّاعِ الطريق؛ إنْ سِرْت خلف هذا الدليل.

فهو يطيع الناصح مرة فيبين له رشده ونصحه، ويمشي خلف دليل الهوىٰ مرة فَيُقْطَعُ عليه الطريق، ويُؤخَذُ مالُه، وتُسْلَب ثيابُه، فيقول: تُرىٰ من أين أُتِيت؟! والعجبُ أنه يعلم من أين أُتِي، ويعرف الطريق التي قُطِعت عليه وأُخِذ فيها، ويأبىٰ إلا سلوكها؛ لأن دليلها قد تمكن منه وتحكَّم فيه، وقوِيَ عليه! ولو أضعفه بالمخالفة له، وزَجْرِه إذا دعاه، وبمحاربته إذا أراد أخذه لم يتمكَّنْ منه، ولكنْ هو مكَّنَهُ من نفسه، وهو أعطاه يده، فهو بمنزلة الرجل يضع يده في يد عدوه، فيأسره ثم يسومه سوء العذاب، فهو يستغيث فلا يُغاث، فهكذا العبد يستأسر للشيطان والهوىٰ، ولنفسه الأمارة، ثم يطلب الخلاص، فيعجز عنه.

فلما أن بُلِي العبدُ بما بُلِي به أُعِين بالعساكر والعُدَدِ والحُصون، وقيل له: قاتِلْ عدوك وجاهِدْهُ، فهذه الجنود خُذْ منها ما شئت، وهذه العُدَدُ الْبَسْ منها ما شئت، وهذه الحصون تَحَصَّنْ منها بأي حصن شئت، ورابِطْ إلىٰ الموت، فالأمر قريب، ومدة المرابطة يسيرة جدًّا، فكأنك بالمَلِك الأعظم وقد أَرْسَلَ إليك رُسُلَه، فنقلوك إلىٰ داره، واسترحت من هذا الجهاد، وفُرِّقَ بينك وبين عدوك، وأُطْلِقْتَ في دار

---

(١) جمع «حراميّ» بمعنىٰ فاعل الحرام، وغلب استعماله علىٰ اللصّ في اصطلاح العامّة، وهي كلمة مولَّدة مستعملة في هذا المعنىٰ من قديم.

الكرامة تتقلَّب فيها كيف شئت، وسُجِن عدوك في أصعب الحُبوس وأنت تراه، فالسجنُ الذي كان يريد أن يُودِعَك فيه قد أُدْخِلَه وأُغْلِقت عليه أبوابه، وأَيِسَ من الخروج والفرج، وأنت فيما اشتهت نفسك، وقَرّت عينك؛ جزَاءً على صبرك في تلك المدة اليسيرة، ولزومك الثغر للرِّباط، وما كانت إلا ساعةً ثم انقَضَتْ، وكأنّ الشدة لم تكن.

فإن ضَعُفَت النفسُ عن ملاحظة قِصَر الوقت، وسرعة انقضائه فليتدبر قوله ﷻ: ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍ﴾ [الأحقاف:٣٥]، وقوله ﷻ: ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَىٰهَا﴾ [النازعات:٤٦]، وقوله ﷻ: ﴿قَٰلَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِى ٱلْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ ﴿١١٢﴾ قَالُوا۟ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَسْـَٔلِ ٱلْعَآدِّينَ ﴿١١٣﴾ قَٰلَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا ۖ لَّوْ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [المؤمنون:١١٢-١١٤] ، وقوله ﷻ: ﴿يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ ۚ وَنَحْشُرُ ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا ﴿١٠٢﴾ يَتَخَٰفَتُونَ بَيْنَهُمْ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا عَشْرًا ﴿١٠٣﴾ نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا يَوْمًا﴾ [طه:١٠٢-١٠٤].

وخطب النبي ﷺ أصحابه يومًا، فلما كانت الشمس علىٰ رؤوس الجبال، وذلك عند الغروب قال: «**إنَّهُ لَمْ يَبْقَ من الدُّنْيَا فيما مضىٰ إلا كما بقي من يومكم هذا فيما مضىٰ منه**»[1].

فلْيتأمل العاقل الناصح لنفسه هذا الحديث، ولْيَعْلَمْ أيُّ شيءٍ حصل له من هذا الوقت الذي قد بقي من الدنيا بأسرها؛ ليعلم أنه في غرور وأضغاث أحلام، وأنه قد باع سعادة الأبد والنعيم المقيم بِحَظٍّ خسيسٍ لا يساوي شيئًا، ولو طلب الله تعالىٰ والدار الآخرة لأعطاه ذلك الحظ هنيئًا مُوَفَّرًا وأكمل منه، كما في بعض الآثار: «ابنَ

---

(١) أخرجه الترمذي (٢١٩١)، وأحمد (٤/ ٥١ - ٥٢)، وأبو يعلىٰ (١١٠١)، وغيرهم، وحسّنه ابن حجر.

آدم، بِع الدنيا بالآخرة تَرْبَحْهُما جميعًا، ولا تبع الآخرة بالدنيا تَخْسَرْهُما جميعًا»[١].

وقال بعض السلف: «ابنَ آدم، أنت محتاج إلىٰ نصيبك من الدنيا، وأنت إلىٰ نصيبك من الآخرة أحوج. فإن بدأت بنصيبك من الدنيا أضعت نصيبك من الآخرة، وكنت من نصيب الدنيا علىٰ خطر، وإن بدأت بنصيبك من الآخرة فُزْتَ بنصيبك من الدنيا فانتظمته انتظامًا»[٢].

وكان عمر بن عبد العزيز ﵁ يقول في خطبته: «أيها الناس، إنكم لم تُخلقوا عبثًا، ولم تُتركوا سدىٰ، وإن لكم مَعَادًا يجمعكم الله ﷻ فيه للحكم فيكم، والفصل بينكم، فخاب وشَقِيَ عبد أخرجه الله ﷻ من رحمته التي وسعت كل شيء، وجنته التي عرضها السموات والأرض، وإنما يكون الأمان غدًا لمن خاف الله تعالىٰ واتقىٰ، وباع قليلًا بكثير، وفانيًا بباقٍ، وشقاوة بسعادة، ألا ترون أنكم في أسلاب الهالكين، وسيخلفكم بعدكم الباقون؟!، ألا ترون أنكم في كل يوم تشيِّعون غاديًا إلىٰ الله ورائحًا قد قضىٰ نحبه، وانقطع أمله، فتضعونه في بَطْنِ صدْعٍ من الأرض غير موسّد ولا مُمَهَّد، قد خلع الأسلاب، وفارق الأحباب، وواجه الحساب؟! »[٣].

والمقصود أن الله ﷻ قد أَمَدَّ العبد في هذه المدة اليسيرة بالجنود، والعُدَد، والإمداد، وبَيَّن له بماذا يُحْرِزُ نفسه من عدوه، وبماذا يَسْتَفِكُّ نفسه إذا أسره.

وقد روىٰ الإمام أحمد ﵁، والترمذي، من حديث الحارث الأشعري، عن النبي ﷺ أنه قال: «**إن الله سبحانه وتعالىٰ أمر يحيىٰ بن زكريا ﵉ بخمس كلمات، أن يعمل بها، ويأمر بني اسرائيل أن يعملوا بها، وأنه كاد أن يُبطئ بها، فقال**

---

(١) أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٢/ ١٤٣) من قول الحسن البصري بإسنادٍ حسن.

(٢) أخرجه هنّاد في «الزهد» (٥٣٠، ٥٣١)، وابن أبي شيبة في «المصنف» (١٣/ ٣٤٦)، والطبراني في «الكبير» (٢٠/ ٣٥) عن معاذ بن جبل ﵁ موقوفًا، وهو منقطع.

(٣) أخرجها أبو نعيم في «الحلية» (٥/ ٢٦٦، ٢٨٧، ٢٩٥).

له عيسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ: إن الله تعالىٰ أمرك بخمس كلمات لتعمل بها، وتأمر بني إسرائيل أن يعملوا بها، فإما أن تأمرهم، وإما أن آمُرَهُم، فقال يحيىٰ: أخشىٰ إن سبقتني بها أن يُخْسَف بي أو أُعَذَّبَ، فجمع يحيىٰ الناس في بيت المقدس، فامتلأ المسجد، وقعدوا علىٰ الشُّرَفِ، فقال: إن الله تبارك وتعالىٰ أمرني بخمس كلمات أن أعْمَلَهُن، وآمُركم أن تَعَمَلُوا بهن.

أوّلهن: أن تعبدوا الله ولا تُشركوا به شيئًا، فإنَّ مَثَلَ من أشرك بالله كمثل رجلٍ اشترىٰ عبدًا من خالص ماله بذهب أو وَرِقٍ، فقال له: هذه داري، وهذا عملي، فاعمل وأدِّ إليَّ، فكان يعمل ويؤدي إلىٰ غير سيده، فأيُّكُم يرضىٰ أن يكون عبده كذلك؟!

وإنّ الله أمركم بالصَّلاة، فإذا صليتم فلا تلتفتوا؛ فإن الله ينصب وجهه لوجْهِ عبده في صلاته، مالم يلتفِتْ.

وأمَرَكم بالصِّيَامِ؛ فإنّ مَثَلَ ذلك كمَثَل رجلٍ في عصابة، معه صُرّة فيها مسك، فكلهم يعجب أو يعجبه ريحه، وإن ريح الصائم أطيب عند الله تعالىٰ من ريح المسك.

وأمركم بالصدقة؛ فإن مَثَل ذلك مَثَل رجل أسره العدو، فأوثقوا يده إلىٰ عنقه، وقدَّموه ليضربوا عنقه، فقال: أنا أفتدي منكم بالقليل والكثير، ففدىٰ نفسه منهم.

وأمركم أن تذكروا الله تعالىٰ؛ فإن مَثَل ذلك كمَثَل رجل خرج العدو في إثره سراعًا، حتىٰ إذا أتىٰ علىٰ حصن حصين، فأحرز نفسه منهم، كذلك العبد لا يحرز نفسه من الشيطان إلا بذكر الله تعالىٰ.

قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وأنا آمركم بخمسٍ اللهُ أمرني بهن: السمع، والطاعة، والجهاد، والهجرة، والجماعة؛ فإنه من فارق الجماعة قِيْد شِبرٍ فقد خلع رِبْقة الإسلام من عنقه إلا أن يُراجِع، ومن ادَّعىٰ دعوىٰ الجاهلية، فإنه من جثا جهنم».

فقال رجل: يا رسول الله! وإن صلىٰ وصام؟ قال: «**وإن صلىٰ وصام، فادعوا بدعوىٰ الله الذي سماكم المسلمين المؤمنين عباد الله**» قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح[1].

فقد ذكر النبي ﷺ في هذا الحديث الصحيح العظيم الشأن -الذي ينبغي لكل مسلم حفظه وتَعَقُّله- ما ينجي من الشيطان، وما يحصل للعبد به الفوز والنجاة في دنياه وأخراه.

فَذَكَر مَثَلَ المُوَحِّد والمشرك: فالموحِّدُ كمن عمل لسيِّده في داره، وأدّىٰ لسيِّده ما استعمله فيه، والمشركُ كمن استعمله سيده في داره، فكان يعمل ويؤدي خراجه وعمله إلىٰ غير سيِّده، فهكذا المشرك يعمل لغير الله تعالىٰ في دار الله تعالىٰ، ويتقرب إلىٰ عدو الله تعالىٰ بنعم الله تعالىٰ عليه.

ومعلوم أن العبد من بني آدم لو كان له مملوك كذلك لكان أمقت المماليك عنده، وكان أشد شيء غضبًا عليه، وطردًا له وإبعادًا، وهو مخلوق مثله، كلاهما في نعمة غيرهما، فكيف برب العالمين الذي ما بالعبد من نعمةٍ فمنه وحده لا شريك له، ولا يأتي بالحسنات إلا هو، ولا يصرف السيئات إلا هو، وهو وحده المنفرد بخلق عبده، ورحمته، وتدبيره، ورزقه، ومعافاته وقضاء حوائجه؟!

فكيف يليق به مع هذا أن يَعْدِلَ به غيرَه في الحب، والخوف، والرجاء، والحلف، والنذر، والمعاملة، فيحب غيره كما يحبه أو أكثر، ويخاف غيره ويرجوه كما يخافه أو أكثر؟!.

وشواهدُ أحوالهم -بل وأقوالهم وأعمالهم- ناطقةٌ بأنهم يحبون أندادهم من الأحياء والأموات، ويخافونهم، ويرجونهم، ويعاملونهم، ويطلبون رضاهم،

(١) أخرجه أحمد (٥/ ٨٤٩، ٨٥٠)، والترمذي (٢٨٦٣) وغيرهما، وصحّحه الترمذيُّ.

ويهربون من سخطهم = أعظمَ مما يحبون الله تعالىٰ، ويخافونه، ويرجونه، ويهربون من سخطه.

وهذا هو الشرك الذي لا يغفره الله ﷻ، قال الله سبحانه وتعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ﴾ [النساء:٤٨، ١١٦].

والظلم عند الله ﷻ يوم القيامة له دواوين ثلاثة: ديوانٌ لا يغفر الله منه شيئًا، وهو الشِّرك به؛ فإن الله لا يغفر أن يُشْرَك به.

وديوان لا يترك الله تعالىٰ منه شيئًا، وهو ظلم العباد بعضهم بعضًا؛ فإن الله تعالىٰ يستوفيه كله.

وديوانٌ لا يعبأ الله به شيئًا، وهو ظلم العبد نفسه بينه وبين ربه ﷻ(١)؛ فإن هذا الديوان أخف الدواوين وأسرعها محوًا، فإنه يُمْحىٰ بالتوبة والاستغفار، والحسنات الماحية، والمصائب المكفرة، ونحو ذلك. بخلاف ديوان الشرك، فإنه لا يُمْحىٰ إلا بالتوحيد. وديوانُ المظالم لا يُمْحىٰ إلا بالخروج منها إلىٰ أربابها، واستحلالهم منها.

ولما كان الشرك أعظم الدواوين الثلاثة عند الله ﷻ، حرَّم الجنة علىٰ أهله؛ فلا يدخل الجنة نفسٌ مشركة، وإنما يدخلها أهل التوحيد، فإن التوحيد هو مفتاح بابها، فمن لم يكن معه مفتاح لم يُفْتَحْ له بابها، وكذلك إن أتىٰ بمفتاح لا أسنان له لم يُمْكِنِ الفَتْحُ به.

وأسنان هذا المفتاح هي: الصلاة، والصيام، والزكاة، والحج، والجهاد، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وصدق الحديث، وأداء الأمانة، وصلة الرحم، وبر الوالدين، فأيُّ عبد اتخذ في هذه الدار مفتاحًا صالحًا من التوحيد، وركَّب

(١) ورد هذا المعنىٰ في حديث «الدّواوين عند الله ثلاثة»، أخرجه أحمد (٨/ ٤٧٠)، والحاكم (٤/ ٥٧٥ - ٥٧٦) وغيرهما عن عائشة رضي الله عنها مرفوعًا، وله شواهد يُحسَّن الحديث بها.

فيه أسنانًا من الأوامر جاء يوم القيامة إلىٰ باب الجنة ومعه مفتاحها الذي لا تُفْتَحُ إلا به، فلم يُعِقْهُ عن الفتح عائق، اللهم إلا أن تكون له ذنوب وخطايا وأوزار لم يذهب عنه أثرها في هذه الدار بالتوبة والاستغفار؛ فإنه يحبس عن الجنة حتىٰ يتطهر منها، وإن لم يطهره الموقف وأهواله وشدائده، فلابد من دخول النار ليخرج خبثه فيها، ويتطهر من ذنوبه ووسخه، ثم يخرج منها فيدخل الجنة، فإنها دار الطيبين لا يدخلها إلا طيِّب.

قال الله تعالىٰ: ﴿ ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمُ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ ﴾ [النحل:٣٢].

وقال تعالىٰ: ﴿ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ ﴾ [الزمر:٧٣].

فعقَّب دخولها علىٰ الطِّيب بحرف الفاء الذي يُؤْذِن بأنه سبب للدخول، أي: بسبب طيبكم قيل لكم: ادخلوها.

وأما النار، فإنها دار الخبث في الأقوال والأعمال، والمآكل والمشارب، ودار الخبيثين، قال الله تعالىٰ: ﴿ لِيَمِيزَ ٱللَّهُ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ ٱلْخَبِيثَ بَعْضَهُۥ عَلَىٰ بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُۥ جَمِيعًا فَيَجْعَلَهُۥ فِى جَهَنَّمَ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴾ [الأنفال:٣٧]؛ فالله تعالىٰ يجمع الخبيث بعضه إلىٰ بعض، فيَرْكُمَه كما يُرْكَمُ الشيءُ المتراكب بعضه علىٰ بعض، ثم يَجْعَلُه في جهنم مع أهله، فليس فيها إلا خبيث.

ولما كان الناس علىٰ ثلاث طبقات: طَيِّبٌ لا يشوبه خبث، وخبيثٌ لا طِيْبَ فيه، وآخرون فيهم خُبث وطِيبْ، كانت دُورهم ثلاثة: دار الطيب المحض، ودار الخبيث المحض، وهاتان الداران لا تفنيان، ودار لمن معه خبث وطيب، وهي الدار التي تفنىٰ، وهي دار العصاة، فإنه لا يبقىٰ في جهنم من عصاة الموحدين أحد، فإنهم

إذا عذبوا بقدر أعمالهم أُخْرِجوا من النار، فأُدْخِلوا الجنة، ولا يبقىٰ إلا دار الطيب المحض، ودار الخبيث المحض.

وقوله في الحديث: «**وأمركم بالصلاة، فإذا صليتم فلا تلتفتوا؛ فإنّ الله يَنْصِبُ وجهه لوجه عبده في صلاته مالم يلتفت**».

الالتفاتُ المنهيُّ عنه في الصلاة قسمان:

أحدهما: التفات القلب عن الله ﷻ إلىٰ غير الله تعالىٰ.

والثاني: التفات البصر. وكلاهما منهي عنه.

ولا يزال الله مقبلًا علىٰ عبده مادام العبد مقبلًا علىٰ صلاته، فإذا التفت بقلبه أو بصره، أعرض الله تعالىٰ عنه.

وقد سئل رسول الله ﷺ عن التفات الرجل في صلاته فقال: «**هو اخْتِلاسٌ يَخْتَلِسُهُ الشَّيْطانُ مِنْ صَلاةِ الْعَبْد**»[1].

وفي أثر آخر: يقول الله تعالىٰ: «**إلىٰ خيرٍ مني؟!، إلىٰ خيرٍ مني؟!** »[2].

ومَثَلُ من يلتفت في صلاته ببصره أو بقلبه، مثل رجل قد استدعاه السلطان، فأوقفه بين يديه، وأقبل يناديه ويخاطبه، وهو في خلال ذلك يلتفت عن السلطان يمينًا وشمالًا، أو قد انصرف قلبه عن السلطان فلا يَفْهَمُ ما يخاطبه به؛ لأن قلبه ليس حاضرًا معه، فما ظن هذا الرّجل أن يَفْعَل به السلطان؟!، أفليس أقل المراتب في حقه أن ينصرف من بين يديه ممقوتًا مُبْعَدًا وقد سقط من عينيه؟!، فهذا المصلي لا يستوي والحاضرُ القلبِ، المقبلُ علىٰ الله تعالىٰ في صلاته، الذي قد أشعر قلبه

(١) أخرجه البخاري (٧٥١، ٣٢٩١) من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٢) أخرجه البزار (١/ ٢٦٧-٢٦٨) كما في «كشف الأستار» من حديثَي جابر وأبي هريرة رضي الله عنهما مرفوعًا، ولا يصح، والمحفوظ أنه من قول عطاء كما عند العقيليِّ في «الضعفاء» (١/ ٧١)، وعبد الرزاق في «المصنف» (٢/ ٢٥٧).

عظمةَ من هو واقف بين يديه، فامتلأ قلبه من هيبته، وذَلَّتْ عنقه له، واسْتَحْيَىٰ من ربه تعالىٰ أن يقبل علىٰ غيره، أو يلتفت عنه. وبين صلاتيهما كما قال حسان بن عطية: «إن الرجلين ليكونان في الصلاة الواحدة، وإن ما بينهما في الفضل كما بين السماء والأرض»[1].

وذلك أن أحدهما مقبل بقلبه علىٰ الله ﷻ، والآخر ساهٍ غافل.

فإذا أقبل العبد علىٰ مخلوق مثله، وبينه وبينه حجاب، لم يكن إقبالًا ولا تقريبًا، فما الظن بالخالق ﷻ؟!

وإذا أقبل علىٰ الخالق ﷻ، وبينه وبينه حجاب الشهوات والوساوس، والنفسُ مشغوفةٌ بها، مَلأىٰ منها، فكيف يكون ذلك إقبالًا وقد أَلْهَتْهُ الوساوس والأفكار، وذهبت به كلَّ مَذْهب؟!

والعبدُ إذا قام في الصلاة غار الشيطان منه، فإنه قد قام في أعظم مقام، وأقربِه، وأغيظِه للشيطان، وأشدِّه عليه، فهو يحرص ويجتهد كل الاجتهاد أن لا يقيمه فيه، بل لا يزال به يَعِدُه ويُمَنِّيه ويُنْسِيه، ويجلب عليه بخيله ورَجِلِه حتىٰ يُهوِّن عليه شأن الصلاة، فيتهاون بها، فيتركها.

فإن عجز عن ذلك منه، وعصاه العبد، وقام في ذلك المقام، أقبل عدو الله تعالىٰ حتىٰ يخطر بينه وبين نفسه، ويَحُول بينه وبين قلبه، فيذكِّره في الصلاة ما لم يكن يذكر قبل دخوله فيها، حتىٰ ربما كان قد نسي الشيء والحاجة، وأَيِس منها، فَيُذَكِّره إياها في الصلاة؛ ليشغل قلبه بها، ويأخذه عن الله ﷻ، فيقوم فيها بلا قلب؛ فلا ينال من إقبال الله تعالىٰ وكرامته وقربه ما يناله المقبلُ علىٰ ربه ﷻ، الحاضرُ بقلبه في صلاته، فينصرف من صلاته مثل ما دخل فيها، بخطاياه وذنوبه وأثقاله، لم تَخِفَّ عنه بالصلاة.

---

(١) أخرجه ابن المبارك في «الزهد» (٢٤ - زوائد رواية نعيم بن حمّاد).

فإن الصلاة إنما تُكَفِّرُ سيئات من أدّىٰ حقها، وأكمل خشوعها، ووقف بين يدي الله تعالىٰ بقلبه وقالبه؛ فهذا إذا انصرف منها وجد خِفَّةً من نفسه، وأحس بأثقالٍ قد وُضِعَتْ عنه، فوجد نشاطًا وراحةً وروحًا، حتىٰ يتمنىٰ أنه لم يكن خرج منها؛ لأنها قرةُ عينه، ونعيمُ روحه، وجنة قلبه، ومُسْتَراحُه في الدنيا، فلا يزال كأنه في سجن وضيق حتىٰ يدخل فيها، فيستريح بها، لا منها، فالمُحِبُّون يقولون: نصلي فنستريح بصلاتنا، كما قال إمامهم وقدوتهم ونبيهم ﷺ: «**يا بلالُ أرِحنا بالصَّلاة**»[1]، ولم يقل: أرحنا منها.

وقال ﷺ: «**جُعِلت قُرَّة عيني في الصَّلاةِ**»[2]. فمن جُعِلَتْ قرة عينه في الصلاة، فكيف تقر عينه بدونها، وكيف يطيق الصبر عنها؟! فصلاة هذا الحاضر بقلبه الذي قرة عينه في الصلاة، هي التي تصعد ولها نور وبرهان، حتىٰ يُسْتَقْبَلَ بها الرحمن ﷻ فتقول: «حَفِظَكَ اللهُ تعالىٰ كمَا حَفِظْتَني»، وأما صلاة المفرّط المضيّع لحقوقها وحدودها وخشوعها؛ فإنها تُلَفُّ كما يُلَفُّ الثوب الخَلِق، ويُضْرَب بها وجه صاحبها وتقول: «**ضَيَّعَكَ اللهُ كما ضَيَّعْتَنِي**».

وقد رُوِي في حديث مرفوعٍ رواه بكر بن بشر، عن سعيد بن سنان، عن أبي الزاهرية، عن أبي شجرة، عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما يرفعه أنه قال: «**مَا مِنْ مؤمنٍ يُتِمُّ الوضوء إلىٰ أماكنه، ثمَّ يَقومُ إلىٰ الصَّلاةِ في وقتها، فيُؤدِّيها لله ﷻ لم ينقص من وقتها، وركوعها وسجودها، ومعالمها شيئًا، إلَّا رُفِعَتْ له إلىٰ الله ﷻ بيضاءَ مُسْفِرة يَسْتَضِيءُ بنورها ما بين الخافِقَيْن، حتىٰ يُنْتَهىٰ بها إلىٰ الرّحمن ﷻ.**

ومَنْ قام إلىٰ الصلاة فلم يُكمل وضوءها، وأخَّرها عن وقتها، واسْتَرَقَ ركوعها

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٩٤٦)، وأحمد (٧/ ٦٥٣) وصحح إسناده العراقي.

(٢) أخرجه النسائي (٣٩٤٩)، وأحمد (٤/ ٣٣٠) وغيرهما من حديث أنس رضي الله عنه. وصحّحه الحاكم والمصنّف.

وسجودها ومعالمها، رُفِعَتْ عنه سوداء مظلمة، ثم لا تُجاوز شعر رأسه، تقولُ: ضَيَّعك اللهُ كما ضَيَّعْتَني، ضَيَّعَك الله كما ضيَّعْتَني»(١).

فالصلاة المقبولة، والعمل المقبول أن يصلي العبد صلاة تليق بربه ﷻ، فإذا كانت صلاة تصلح لربه تبارك وتعالىٰ وتليق به، كانت مقبولة.

والمقبول من العمل قسمان:

أحدهما: أن يصلي العبد ويعمل سائر الطاعات وقلبه متعلق بالله ﷻ، ذاكرٌ لله ﷻ علىٰ الدوام، فأعمال هذا العبد تُعْرَضُ علىٰ الله ﷻ حتىٰ تقف قبالته، فينظر الله ﷻ إليها، فإذا نظر إليها رآها خالصة لوجهه مرضية، قد صدرت عن قلب سليم مخلص مُحِبٍّ لله ﷻ، متقرِّبٍ إليه = أحبَّها، ورضيها، وقَبِلَها.

القسم الثاني: أن يعمل العبد الأعمال علىٰ العادة والغفلة، وينوي بها الطاعة والتقرب إلىٰ الله، فأركانه مشغولة بالطاعة، وقلبه لاهٍ عن ذكر الله، وكذلك سائر أعماله، فإذا رُفِعَتْ أعمال هذا إلىٰ الله ﷻ لم تقف تجاهه، ولا يقع نظره عليها، ولكن تُوضَع حيث توضع دواوين الأعمال، حتىٰ تعرض عليه يوم القيامة، فَتُمَيَّز، فيثيبه علىٰ ما كان له منها، وَيَرُدُّ عليه ما لم يُرِدْ وجهه به منها.

فهذا قبولُه لهذا العمل إثابتُه عليه بمخلوق من مخلوقاته، من القصور، والأكل والشرب، والحور العين، وإثابة الأول رِضاهُ العمل لنفسه، ورضاه علىٰ عامله، وتقريبه منه، وإعلاء درجته ومنزلته، فهذا يعطيه بغير حساب، فهذا لونٌ، والأول لونٌ.

والناس في الصلاة علىٰ مراتب خمسة:

أحدها: مرتبة الظالم لنفسه، المُفَرِّط، وهو الذي انتقص من وضوئها ومواقيتها وحدودها وأركانها.

---

(١) لم أقف عليه من الوجه الذي ذكره المصنّف، وسعيد بن سنان متروك، لكن أخرجه الطيالسي (٥٨٦)، والبزّار (٧/ ١٤٠، ١٥١)، والشاشي في «مسنده» (١٢٩٠، ١٢٩١) وغيرهم عن عبادة بن الصامت ﵁ مرفوعًا، وفي سنده مَن اختلف في توثيقه، وقد أعله العقيلي.

الثاني: من يحافظ علىٰ مواقيتها وحدودها وأركانها الظاهرة ووضوئها، لكنه قد ضيع مجاهدة نفسه في الوسوسة، فذهب مع الوساوس والأفكار.

الثالث: من حافظ علىٰ حدودها وأركانها، وجاهد نفسه في دفع الوساوس والأفكار، فهو مشغول بمجاهدة عدوه؛ لئلا يسرق منه صلاته، فهو في صلاةٍ وجهاد.

الرابع: من إذا قام إلىٰ الصلاة أكمل حقوقها وأركانها وحدودها، واستغرق قلبه مراعاة حدودها وحقوقها؛ لئلا يُضَيِّع منها شيئًا، بل همُّه كله مصروف إلىٰ إقامتها كما ينبغي، وإكمالها وإتمامها، قد استغرق قلبَه شأنُ الصلاة وعبودية ربه تبارك وتعالىٰ فيها.

الخامس: من إذا قام إلىٰ الصلاة قام إليها كذلك، ولكنْ مع هذا قد أخذ قلبه ووضعه بين يدي ربه ﷻ، ناظرًا بقلبه إليه، مراقبًا له، ممتلئًا من محبته وعظمته، كأنه يراه ويشاهده، وقد اضمحلَّتْ تلك الوساوس والخطرات، وارتفعت حُجُبُها بينه وبين ربه، فهذا بينه وبين غيره في الصلاة أعظم مما بين السماء والأرض، وهذا في صلاته مشغول بربه ﷻ، قرير العين به.

فالقسم الأول معاقَبٌ، والثاني محاسَبٌ، والثالث مكَفَّرٌ عنه، والرابع مثابٌ والخامس مُقَرَّبٌ؛ لأن له نصيبًا ممن جُعِلَتْ قرة عينه في الصلاة، فمن قَرَّتْ عينه بصلاته في الدنيا قَرَّتْ عينه بقربه من ربه ﷻ في الآخرة، وقَرَّتْ عينه -أيضًا- به في الدنيا، ومن قَرَّتْ عينه بالله قَرَّتْ به كلُّ عين، ومن لم تَقَرَّ عينه بالله تعالىٰ تقطَّعَتْ نفسه علىٰ الدنيا حسرات.

وقد روي أن العبد إذا قام يصلي قال الله ﷻ: «ارفعوا الحُجُبَ بيني وبين عبدي، فإذا التفت قال: أرخوها»[1].

(١) ذكر الغزاليُّ في «الإحياء» (١/ ١٧٠) بعضه، وقال العراقي في «المغني» (١/ ١١٩): «لم أجده».

وقد فُسِّر هذا الالتفات بالتفات القلب عن الله ﷻ إلىٰ غيره: فإذا التفت إلىٰ غيره أرخىٰ الحجاب بينه وبين العبد، فدخل الشيطان، وعَرَضَ عليه أمور الدنيا، وأراه إياها في صورة المرآة. وإذا أقبل بقلبه علىٰ الله، ولم يلتفت، لم يقدر الشيطان علىٰ أن يتوسط بين الله تعالىٰ وبين ذلك القلب. وإنما يدخل الشيطان إذا وَقَعَ الحجابُ؛ فإن فر إلىٰ الله تعالىٰ وأحضر قلبه فَرَّ الشيطانُ، فإن التفت حضر الشيطان، فهو هكذا شأنه وشأن عدوه في الصلاة.

فصل

ص(٥٢)

وإنما يَقْوىٰ العبد علىٰ حضوره في الصلاة واشتغاله فيها بربه ﷻ إذا قهر شهوته وهواه، وإلا فقلبٌ قد قهرته الشهوة، وأسره الهوىٰ، ووجد الشيطان فيه مقعدًا تمكَّنَ فيه، كيف يخلص من الوساوس ومن الأفكار؟!

والقلوب ثلاثة:

قلبٌ خالٍ من الإيمان وجميع الخير، فذلك قلب مُظْلِمٌ، قد استراح الشيطان من إلقاء الوساوس إليه؛ لأنه قد اتخذه بيتًا ووطنًا، وتحكَّم فيه بما يريد، وتمكَّن منه غاية التمكُّن.

القلب الثاني: قلبٌ قد استنار بنور الإيمان وأوقد فيه مصباحه، لكن عليه ظلمة الشهوات وعواصف الأهوية، فللشيطان هناك إقبالٌ وإدبارٌ ومجاولات ومطامع، فالحرب دُوَلٌ وسِجال، وتختلف أحوال هذا الصنف بالقلة والكثرة، فمنهم مَن أوقات غلبته لعدوه أكثر، ومنهم من أوقات غلبة عدوه له أكثر، ومنهم من هو تارة وتارة.

القلب الثالث: قلبٌ مَحْشُوٌّ بالإيمان، قد استنار بنور الإيمان، وانقشعت عنه حجب الشهوات، وأقلعت عنه تلك الظلمات، فَلِنُوره في قلبه إشراق، ولذلك الإشراق إيقادٌ، لو دنا منه الوسواس احترق به، فهو كالسماء التي حُرِسَت بالنجوم، فلو دنا منها الشيطان ليتخطاها رُجِم فاحترق.

وليست السماء بأعظم حُرْمَةً من المؤمن، وحراسةُ الله تعالىٰ له أتمُّ من حراسة السماء، والسماء مُتَعبَّدُ الملائكة، ومُسْتَقَرُّ الوحي، وفيها أنوار الطاعات، وقلبُ المؤمن مُسْتَقَرُّ التوحيد والمحبة والمعرفة والإيمان، وفيه أنوارها، فهو حقيقٌ أن يُحْرَس ويُحْفَظَ من كيد العدو، فلا ينال منه شيئًا إلا علىٰ غِرّةٍ وغفلةٍ خَطْفَةً.

وقد مُثِّل ذلك بمثال حسن، وهو ثلاثة بيوت:

بيتٌ للمَلِك، فيه كنوزه وذخائره وجواهره.

وبيتٌ للعبد، فيه كنوز العبد وذخائره وجواهره، وليس فيه جواهر الملك وذخائره.

وبيت خالٍ صِفْرٌ لا شيء فيه.

فجاء اللص ليسرق من أحد البيوت، فمن أيها يسرق؟!

فإن قلت: من البيت الخالي، كان محالًا؛ لأن البيت الخالي ليس فيه شيء يُسْرَق؛ ولهذا قيل لابن عباس رضي الله عنهما: إن اليهود تزعم أنها لا توسوس في صلاتها، فقال: «وما يصنع الشيطان بالقلب الخراب؟!»[(١)].

وإن قلتَ: يَسْرق من بيت الملك، كان ذلك كالمستحيل الممتنع؛ فإنّ عليه من الحرس واليَزَكِ[(٢)] ما لا يستطيع اللص الدُّنُوَّ منه، كيف وحارسه الملك بنفسه؟!، وكيف يستطيع اللص الدُّنُوَّ منه وحوله من الحرس والجند ما حوله؟!

فلم يبق لِلِّصِّ إلا البيت الثالث، فهو الذي يَشُنُّ عليه الغارة.

فليتأمل اللبيب هذا المثال حق التأمل، ولينزله علىٰ القلوب، فإنها علىٰ منواله.

فقلبٌ خلا من الخير كله، وهو قلب الكافر والمنافق، فذلك بيت الشيطان، قد أحرزه لنفسه واستوطنه، واتخذه سكنًا ومستقرًّا، فأيُّ شيء يسرق منه، وفيه خزائنه وذخائره، وشكوكه وخيالاته ووساوسه؟!

---

(١) أخرج أحمد في «الزهد» (٢٥٥)، وأبو نعيم في «الحلية» (٢/ ٢٤٥) عن العلاء بن زيادٍ، قريبًا منه، ولم أقف عليه من قول ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) اليَزَك: كلمة فارسيةٌ، معناها: طلائع الجيش.

وقلبٌ قد امتلأ من جلال الله ﷻ وعظمته، ومحبته ومراقبته، والحياء منه، فأيُّ شيطان يجترئ علىٰ هذا القلب؟!، وإن أراد سرقة شيء منه، فماذا يسرق؟!، وغايته أن يظفر في الأحايين منه بخَطْفَةٍ ونَهْبَةٍ تحصل له علىٰ غِرَّةٍ من العبد وغفلةٍ لابد له منها؛ إذْ هو بشر، وأحكام البشرية جارية عليه من الغفلة والسهو، والذهول وغلبة الطبع.

وقد ذُكِر عن وهب بن منبه رحمه الله تعالىٰ أنه قال: في بعض الكتب الإلهية: «لست أسكن البيوت، ولا تَسَعُني، وأيُّ بيت يسعني والسمواتُ حشو كُرْسِيِّي؟ ولكن أنا في قلب المؤمن الوادع التارك لكل شيء سواي»(١).

وهذا معنىٰ الأثر الآخر: «ما وسعتني سمواتي ولا أرضي، ووسعني قلب عبدي المؤمن»(٢).

وقلبٌ فيه توحيد الله تعالىٰ ومعرفته ومحبته، والإيمان به والتصديق بوعده ووعيده، وفيه شهوات النفس وأخلاقها، ودواعي الهوىٰ والطبع.

وقلبٌ بين هذين الداعيين، فمرة يميل بقلبه داعي الإيمان والمعرفة، والمحبة لله تعالىٰ وإرادته وحده، ومرة يميل بقلبه داعي الهوىٰ والشيطان والطِّباع، فهذا القلب للشيطان فيه مطمع، وله منه منازلات ووقائع، ويُعْطِي الله النصر لمن يشاء ﴿وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ﴾ [آل عمران:١٢٦].

وهذا لا يتمكن الشيطان منه إلا بما عنده من سلاحه، فيدخل الشيطان إليه فيجد سلاحه عنده فيأخذه ويقاتله به؛ فإنّ أسلحته هي الشهوات والشبهات، والخيالات والأماني الكاذبة، وهي في القلب، فيدخل الشيطان فيجدها عنده فيأخذها ويصول بها علىٰ القلب؛ فإنْ كان عند العبد عُدَّةٌ عتيدة من الإيمان تقاوم تلك العُدَّةِ وتزيد

(١) أخرجه أحمد في «الزهد» (٨١)، وأبو نعيم في «الحلية» (٤/ ٢٤)، وغيرهما.

(٢) قال شيخ الإسلام ابن تيمية -كما في «مجموع الفتاوىٰ» (١٨/ ١٢٢، ٣٧٦) -: «هذا مذكور في الإسرائيليات، ليس له إسناد معروف عن النبي ﷺ»، وقال العراقي: «لم أر له أصلًا».

عليها، انتصف من الشيطان، وإلا فالدولة لعدوه عليه، ولا حول ولا قوة إلا بالله العليّ العظيم.

فإذا أَذِنَ العبدُ لعدوه، وفتح له باب بيته، وأدخله عليه، ومَكَّنه من السلاح يقاتله به، فهو المَلُوم.

فنَفْسَك لُمْ ولا تَلُمِ المطايا ومُتْ كمدًا فليس لك اعتذارُ

ص(٥٧)

فصل

عدنا إلىٰ شرح حديث الحارث الذي فيه ذِكْرُ ما يُحْرِزُ العبدَ من عدوّه: قوله ﷺ: «**وأمركم بالصيام، فإن مَثَلَ ذلك مَثَلَ رجل في عصابةٍ معه صُرَّةٌ فيها مِسك، فكلُّهم يعجب أو يعجبه ريحه، وإن ريح الصائم أطيب عند الله من ريح المسك**».

إنما مثَّل ﷺ ذلك بصاحب الصُّرة التي فيها المسك؛ لأنها مستورة عن العيون، مخبوءة تحت ثيابه، كعادة حامل المسك، وهكذا الصائم صومُه مستورٌ عن مشاهدةِ الخلق، لا تدركه حواسُّهم.

والصائم هو الذي صامت جوارحه عن الآثام، ولسانه عن الكذب والفحش وقول الزور، وبطنه عن الطعام والشراب، وفرجه عن الرفث؛ فإن تكلم لم يتكلم بما يجرح صومه، وإن فعل لم يفعل ما يفسد صومه، فيخرج كلامه كله نافعًا صالحًا، وكذلك أعماله، فهي بمنزلة الرائحة التي يشمها مَنْ جَالَس حامل المسك، كذلك مَنْ جَالَس الصائم انتفع بمجالسته له، وأَمِن فيها من الزور والكذب والفجور والظلم.

هذا هو الصوم المشروع، لا مجرد الإمساك عن الطعام والشراب.

ففي الحديث الصحيح: «**من لم يَدَعْ قول الزُّور والعمل به والجهل، فليس لله**

حاجة أن يدع طعامه وشرابه»[(١)]، وفي الحديث: «**رُبَّ صائمٍ حظُّه من صيامه الجوع والعطش**»[(٢)].

فالصوم هو صوم الجوارح عن الآثام، وصوم البطن عن الشراب والطعام، فكما أن الطعام والشراب يقطعه ويفسده، فكذلك الآثام تقطع ثوابه وتفسد ثمرته، فتُصيِّره بمنزلة من لم يَصُمْ.

وقد اخْتُلِفَ في وجود هذه الرائحة من الصائم، هل هي في الدنيا، أو في الآخرة؟ علىٰ قولين.

وقد وقع بين الشيخين الفاضلين أبي محمد بن عبد السلام وأبي عمرو ابن الصلاح في ذلك تنازع، فمال أبو محمد إلىٰ أن تلك في الآخرة خاصة، وصنَّفَ فيه مصنفًا، ومال الشيخ أبو عمرو إلىٰ أن ذلك في الدنيا والآخرة، وصنف فيه مصنفًا رد فيه علىٰ أبي محمد.

وسلك أبو عمرو في ذلك مسلك أبي حاتم بن حبان؛ فإنه في «صحيحه» بَوَّبَ عليه كذلك، فقال: «ذكر البيان بأن خُلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك»، ثم ساق حديث الأعمش، عن أبي صالح، عن أبي هريرة عن النبي ﷺ، قال: «**كُلُّ عمل ابن آدم له إلا الصيام، والصيام لي، وأنا أجزي به، وَلَخُلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك**»[(٣)].

ثم قال: «ذكر البيان بأن خُلوف فم الصائم يكون أطيب عند الله من ريح المسك يوم القيامة»، ثم ساق حديثًا من حديث ابن جريج، عن عطاء، عن أبي صالح الزيات

---

(١) أخرجه البخاري (٦٠٥٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه النسائي في «الكبرىٰ» (٣٢٣٦، ٣٢٣٧)، وابن ماجه (١٦٩٠)، وأحمد (٣/ ٣٧٩) واللفظ له، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وصحّحه ابن خزيمة والحاكم.

(٣) «صحيح ابن حبان» (٨/ ٢١٠). والحديث أخرجه مسلم بهذا الإسناد (١١٥١/ ١٦٤).

أنه سمع أبا هريرة رضي الله عنه يقول: قال رسول الله ﷺ: «**قال الله تعالىٰ: كل عمل ابن آدم له، إلا الصيام، فإنه لي، وأنا أجزي به، والذي نفس محمد بيده لَخُلوف فم الصائم أطيب عند الله يوم القيامة من ريح المسك. للصائم فرحتان: إذا أفطر فرح بفطره، وإذا لقي الله فرح بصومه**».

قال أبو حاتم: «شعار المؤمنين يوم القيامة التحجيلُ بوضوئهم في الدنيا فَرْقًا بينهم وبين سائر الأمم، وشعارهم في القيامة بصومهم طيبُ خُلوف أفواههم أطيب من ريح المسك؛ ليُعْرَفوا من بين سائر الأمم في ذلك الجمع بذلك العمل، جعلنا الله تعالىٰ منهم»[(١)].

ثم قال: «ذكر البيان بأن خُلوف فم الصائم قد يكون أيضًا أطيب من ريح المسك في الدنيا»، ثم ساق من حديث شعبة، عن سليمان، عن ذكوان، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: «**كل حسنة يعملها ابن آدم بعشر حسنات إلىٰ سبعمائة ضعف، يقول الله: إلا الصوم، فهو لي، وأنا أجزي به، يدع الطعام من أجلي، والشراب من أجلي، وللصائم فرحتان: فرحة حين يفطر، وفرحة حين يلقىٰ ربه، ولَخُلوف فم الصائم حين يَخْلُفُ من الطعام أطيب عند الله من ريح المسك**»[(٢)].

واحتج الشيخ أبو محمد بالحديث الذي فيه تقييد الطِّيب بيوم القيامة»[(٣)].

قلت: ويشهد لقوله: الحديثُ المتفق عليه «**والذي نفسي بيده ما من مكلوم يُكْلَمُ في سبيل الله -والله أعلم بمن يُكْلَمُ في سبيله- إلا جاء يوم القيامة وَكَلْمُه يَدْمَىٰ، اللون لون دم، والريح ريح مسك**»[(٤)].

---

(١) «صحيح ابن حبان» (٨/ ٢١٠ - ٢١١). والحديث أخرجه البخاري (٤/ ١٩٠) ومسلم (١١٥١/ ١٦٣) بهذا الإسناد، وليس عند البخاري قوله: «يوم القيامة».

(٢) «صحيح ابن حبان» (٨/ ٢١١)، وأخرجه أحمد (٣/ ٦٦٢ - ٦٦٣) وإسناده صحيح.

(٣) تقدم قريبًا.

(٤) صحيح البخاري (٢٣٧، ٢٨٠٣)، ومسلم (١٨٧٦) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

فأخبر ﷺ عن رائحة كَلْمِ المكلوم في سبيل الله ﷻ بأنها كريح المسك يوم القيامة، وهو نظير إخباره عن خُلوف فم الصائم؛ فإن الحِسّ يدل علىٰ أن هذا دم في الدنيا، وهذا خُلوف، ولكنْ يجعل الله تعالىٰ رائحة هذا وهذا مِسْكًا يوم القيامة.

واحتج **الشيخ أبو عمرو** بما ذكره أبو حاتم في «صحيحه» من تقييدِهِ ذلك بوقت إخلافه، وذلك يدل علىٰ أنه في الدنيا، فلما قَيَّد المبتدأ وهو «خُلوف فم الصائم» بالظرفِ وهو قوله: «حين يخلف» = كان الخبر عنه -وهو قوله: «أطيب عند الله»- خبرًا عنه في حال تقييده؛ فإنّ المبتدأ إذا تقيد بوصفٍ أو حالٍ أو ظرفٍ كان الخبر عنه حال كونه مقيدًا، فدل علىٰ أن طِيبه عند الله تعالىٰ ثابتٌ حال إخلافه.

قال: وروىٰ الحسن بن سفيان في «مسنده» عن جابر أن النبي ﷺ قال: «**أُعْطِيَتْ أمتي في شهر رمضان خمسًا**. . .» فذكر الحديث، وقال فيه: «**وأما الثانية: فإنهم يُمْسُون وريح أفواههم أطيب عند الله من ريح المسك**»[1].

ثم ذكر كلام الشُّرّاح في معنىٰ طِيبه، وتأويلَهم إياه بالثناء علىٰ الصائم والرضىٰ بفعله، علىٰ عادة كثير منهم بالتأويل من غير ضرورة، حتىٰ كأنه قد بُورِكَ له فيه[2]، فهو مُوَكَّلٌ به!.

وأيُّ ضرورة تدعو إلىٰ تأويل كونه أطيب عند الله من ريح المسك بالثناء علىٰ فاعله والرضىٰ بفعله، وإخراج اللفظ عن حقيقته؟!

وكثيرٌ من هؤلاء يُنْشِئ للّفظ معنىٰ، ثم يدَّعي إرادة ذلك المعنىٰ بلفظِ النصّ، من غير نظرٍ منه إلىٰ استعمال ذلك اللفظ في المعنىٰ الذي عَيَّنه، أو احتمالِ اللغة له.

ومعلوم أن هذا يتضمن الشهادة علىٰ الله تعالىٰ ورسوله ﷺ بأن مراده من

---

(١) أخرجه البيهقي في «شعب الإيمان» (٧/ ٢١١)، وابن شاهين في «فضائل شهر رمضان» (١٩)، والأصبهاني في «الترغيب والترهيب» (١٨٢٠)، وحسَّنه أبو بكر السمعاني.

(٢) الضمير في «له» يعود إلىٰ الكثير من الشُّراح، وقوله: «فيه» أي: في التأويل من غير ضرورة.

كلامه كيت وكيت، فإن لم يكن ذلك معلومًا بوضع اللفظ لذلك المعنىٰ، أو عُرْفِ الشارع ﷺ، أوْ عادته المطردة أو الغالبة باستعمال ذلك اللفظ في هذا المعنىٰ، أو تفسيره له به = وإلا كانت شهادة باطلة، وأدنىٰ أحوالها أن تكون شهادة بلا علم.

ومن المعلوم أن أطيب ما عند الناس من الرائحة رائحة المسك، فمَثَّل النبي ﷺ طيب هذا الخُلوف عند الله تعالىٰ بطيب رائحة المسك عندنا، وأعظم.

ونسبةُ استطابة ذلك إليه سبحانه وتعالىٰ كنسبة سائر صفاته وأفعاله إليه؛ فإنها استطابةٌ لا تماثل استطابة المخلوقين، كما أن رضاه وغضبه وفرحه وكراهته وحبه وبغضه لا تماثل ما للمخلوق من ذلك، كما أن ذاته سبحانه وتعالىٰ لا تشبه ذوات خلقه، وصفاته لا تشبه صفاتهم، وأفعاله لا تشبه أفعالهم، وهو سبحانه وتعالىٰ يستطيب الكلمَ الطيب فيصعد إليه، والعملَ الصالح فيرفعه، وليست هذه الاستطابة كاستطابتنا.

ثم إن تأويله لا يرفع الإشكال؛ إذْ ما استشكله هؤلاء من الاستطابة يلزم مثله في الرِّضىٰ؛ فإن قالوا: رضاهُ ليس كرضىٰ المخلوقين، فقولوا: استطابتهُ ليست كاستطابة المخلوقين، وعلىٰ هذا جميع ما يجيء من هذا الباب.

ثم قال[1]: وأما ذِكْرُ يوم القيامة في الحديث؛ فلأنه يوم الجزاء، وفيه يظهر رجحان الخُلوف في الميزان علىٰ المسك المستعمل لدفع الرائحة الكريهة طلبًا لرضىٰ الله تعالىٰ حيث يؤمر باجتنابها واجتلاب الرائحة الطيبة، كما في المساجد والصلوات وغيرها من العبادات، فَخَصَّ يوم القيامة بالذكر في بعض الروايات كما خَصَّ في قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ﴾ [العاديات:١١]، وأطلق في باقيها نظرًا إلىٰ أن أصل أفضليَّته[2] ثابت في الدارين.

---

(١) أي: أبو عمرو بن الصّلاح.

(٢) أي: أفضليّة خلوف الصائم علىٰ المسك.

قلتُ: ومن العجب رَدُّه علىٰ أبي محمد بما لا ينكره أبو محمد ولا غيره؛ فإن الذي فسَّر به الاستطابةَ المذكورة في الدنيا بثناء الله تعالىٰ علىٰ الصائمين ورضاه بفعلهم أمرٌ لا ينكره مسلم؛ فإن الله تعالىٰ قد أثنىٰ عليهم في كتابه، وفيما بلَّغه عنه رسول الله ﷺ ورضي بفعلهم؛ فإن كانت هذه هي الاستطابة، أفترىٰ الشيخ أبا محمد ينكرها؟!.

والذي ذكره الشيخ أبو محمد: أن هذه الرائحة إنما يظهر طِيبها علىٰ طيب المسك في اليوم الذي يظهر فيه طيب دم الشهيد، ويكون كرائحة المسك، ولا ريب أن ذلك يوم القيامة؛ فإن الصائم في ذلك اليوم يجيءُ ورائحة فمه أطيب من رائحة المسك، كما يجيء المكلوم في سبيل الله ﷻ ورائحة دمه كذلك، لا سيما والجهاد أفضل من الصيام؛ فإذا كان طِيب رائحته إنما يظهر يوم القيامة فكذلك الصائم.

وأما حديث جابر: «**فإنهم يُمْسُون وخلوف أفواههم أطيب من ريح المسك**» فهذه جملة حالية لا خبرية، فإن خبر «أمسىٰ» لا يقترن بالواو؛ لأنه خبر مبتدأ، فلا يجوز اقترانه بالواو. وإذا كانت الجملة حاليَّةً فلأبي محمد أن يقول: هي حالٌ مقدَّرة، والحالُ المقدرة يجوز تأخيرها عن زمن الفعل العامل فيها، ولهذا لو صَرَّح بيوم القيامة في مثل هذا، فقال: «يمسون وخلوف أفواههم أطيب من ريح المسك يوم القيامة» لم يكن التركيب فاسدًا، كأنه قال: «يمسون وهذا لهم يوم القيامة».

وأما قوله: «**لَخُلوف فم الصائم حين يخلف**» فهذا الظَّرفُ تحقيقٌ لمعنىٰ المبتدأ، وتأكيد له، وبيان إرادة الحقيقة المفهومة منه، لا مَجازُه ولا استعارته، وهذا كما تقول: جهاد المؤمن حين يجاهد، وصلاته حين يصلي يجزيه الله تعالىٰ بها يوم القيامة، ويرفع بها درجته يوم القيامة. وهذا قريب من قوله ﷺ: «**لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن**»[1].

---

(١) أخرجه البخاري (٦٨١٠)، ومسلم (٥٧) عن أبي هريرة، وتكملة الحديث: «والتوبةُ معروضةٌ بَعْدُ».

وليس المراد تقييد نفىٰ الإيمان المطلق عنه حالة مباشرته تلك الأفعال فقط، بحيث إذا كَمُلَتْ مباشرته وانقطع فعله عاد إليه الإيمان، بل هذا النفي مستمر إلىٰ حين التوبة، وإلا فما دام مُصِرًّا وإن لم يباشر الفعل فالنفي لاحِقٌ به، ولا يزول عنه اسم الذم والأحكام المترتبة علىٰ المباشرة إلا بالتوبة النصوح، والله سبحانه وتعالىٰ أعلم.

قلتُ: وفصلُ النزاع في المسألة أن يقال: حيث أخبر النبي ﷺ بأن ذلك الطِّيب يكون يوم القيامة؛ فلأنه الوقت الذي يظهر فيه ثواب الأعمال ومُوجِباتها من الخير والشر، فيظهر للخلق طِيبُ ذلك الخُلوف علىٰ المسك، كما يظهر فيه رائحة دم المكلوم في سبيله كرائحة المسك، وكما تظهر فيه السرائر وتبدو علىٰ الوجوه وتصير علانية، ويظهر فيه قبح رائحة الكفار وسواد وجوههم.

وحيثُ أخبر بأن ذلك «حين يَخْلُف» و«حين يُمْسُون»؛ فلأنه وقت ظهور أثر العبادة، ويكون حينئذ طِيبُها زائدًا علىٰ ريح المسك عند الله تعالىٰ وعند ملائكته، وإن كانت تلك الرائحة كريهةً للعباد، فَرُبَّ مكروهٍ عند الناس محبوبٍ عند الله تعالىٰ، وبالعكس؛ فإن الناس يكرهونه لمنافرته طباعهم، والله تعالىٰ يستطيبه ويحبه لموافقته أمره ورضاه ومحبته، فيكون عنده أطيب من ريح المسك عندنا، فإذا كان يوم القيامة ظهر هذا الطيب للعباد، وصار علانية، وهكذا سائر آثار الأعمال من الخير والشر، وإنما يكمل ظهورها ويصير علانية في الآخرة.

وقد يَقْوَىٰ العملُ ويتزايد حتىٰ يستلزم ظهور بعض أثره علىٰ العبد في الدنيا في الخير والشر، كما هو مُشاهَدٌ بالبصر والبصيرة.

قال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «إن للحسنة ضياءً في الوجه، ونورًا في القلب، وقوّةً في البدن، وسَعَةً في الرزق، ومحبةً في قلوب الخلق، وإن للسيئة سَوادًا في الوجه، وظلمةً

في القلب، وَوَهَنًا في البدن، ونقصًا في الرزق، وبِغْضَةً في قلوب الخلق»[١].

وقال عثمان بن عفان رضي الله عنه: «ما عمل رجل عملًا إلا ألبسه الله تعالىٰ رداءه، إنْ خيرًا فخير، وإن شرًّا فشرّ»[٢].

وهذا أمر معلوم يشترك فيه وفي العلم به أصحاب البصائر وغيرهم، حتىٰ إنَّ الرجل الطِّيِّب البَرَّ لتشمُّ منه رائحة طيبة وإن لم يَمَسَّ طِيبًا، فيظهر طيب رائحة روحه علىٰ بدنه وثيابه، والفاجر بالعكس، والمزكوم الذي أصابه الهواء لا يشمُّ لا هذا، ولا هذا، بل زكامه يحمله علىٰ الإنكار، فهذا فصل الخطاب في هذه المسألة، والله سبحانه وتعالىٰ أعلم بالصواب.

فصل

ص(٦٩)

وقوله: «**وأمركم بالصدقة؛ فإن مَثَل ذلك مَثَل رجل أسره العدو، فأوثقوا يده إلىٰ عنقه وقدَّموه ليضربوا عنقه، فقال: أنا أفتدي منكم بالقليل والكثير، ففدىٰ نفسه منهم**».

هذا أيضًا من الكلام الذي برهانُه وجودُه، ودليلُه وقوعُه، فإن للصدقة تأثيرًا عجيبًا في دفع أنواع البلاء، ولو كانت من فاجر أو ظالم، بل من كافر؛ فإن الله تعالىٰ يدفع بها عنه أنواعًا من البلاء، وهذا أمر معلوم عند الناس خاصتهم وعامتهم، وأهلُ الأرضِ كلُّهم مُقِرُّون به؛ لأنهم قد جرَّبوه.

وقد روىٰ الترمذي في «جامعه» من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي ﷺ

(١) ورد قريبًا منه عند ابن أبي شيبة (١٣/ ٥٠٠) من قول الحسن البصري. وعند أبي نعيم في «الحلية» من قول سليمان التيمي، والحسن بن صالح. ولم أقف عليه من قول ابن عباس. وروي مرفوعًا، ولا يصحّ.

(٢) أخرجه أحمد في «الزهد» (١٥٧)، وأبو داود في «الزهد» (١١١ - ١١٢)، وابن أبي شيبة (١٢/ ٥٥٨)، وغيرهم من طرقٍ عن عثمان رضي الله عنه موقوفًا، والأشبه في حديث ابن مسعود وقفه عليه.

قال: «**إن الصدقة تُطفئ غضب الرَّبِّ، وتدفع مِيتة السوء**»[١].

وكما أنها تُطْفِئُ غضب الرب تبارك وتعالىٰ، فهي تُطْفِئُ الذنوب والخطايا كما يُطْفِئُ الماء النار.

وفي «الترمذي» عن معاذ بن جبل قال: كنت مع رسول الله ﷺ في سفرٍ، فأصبحت يومًا قريبًا منه ونحن نسير، فقال: «**ألا أدلك علىٰ أبواب الخير؟ الصومُ جُنَّة، والصدقة تطفئ الخطيئة كما يطفئ الماء النار، وصلاة الرجل في جوف الليل،**[٢] **ثم تلا** ﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴾ [السجدة:١٦] »[٣].

وفي بعض الآثار: «**باكِرُوا بالصدقة، فإن البلاء لا يتخطىٰ الصدقة**»[٤].

وفي تمثيل النبي ﷺ ذلك بمن قُدِّم ليضرب عنقه فافتدىٰ نفسه منهم بِمالِه كفايةٌ؛ فإنّ الصدقة تفدي العبد من عذاب الله ﷻ؛ فإن ذنوبه وخطاياه تقتضي هلاكه، فتجيء الصدقة تفديه من العذاب، وتَفُكُّهُ منه.

ولهذا قال النبي ﷺ في الحديث الصحيح لما خطب النساء يوم العيد: «**يا معشر النساء تَصدَّقْن ولو من حُليِّكُن؛ فإني رأيتُكُنَّ أكثر أهل النار**»[٥]. وكأنه حثَّهن ورغَّبهن علىٰ ما يفدين به أنفسهن من النار.

---

(١) أخرجه الترمذي (٦٦٤)، وقال: «حسن غريب من هذا الوجه»، وصحّحه ابن حبان (٣٣٠٩).

(٢) ورد في بعض مطبوعات الكتاب زيادة «شعار الصالحين»، وهي مقحمة، والمعنىٰ: أن صلاة الرجل في جوف الليل تطفئ الخطيئة -أيضًا- كالصدقة».

(٣) أخرجه الترمذي (٢٦١٦)، وقال: «حسن صحيح»، والنسائي في «الكبرىٰ» (١١٣٣٠)، وابن ماجه (٣٩٧٣).

(٤) أخرجه ابن عدي في «الكامل» (٢/ ٤٤٨)، والبيهقي في «الشعب» (٦/ ٥٢٩)، وغيرهما عن أنس رضي الله عنه مرفوعًا، ولا يصح، والأشبه وقفه عليه كما مال إليه البيهقي والمنذري.

(٥) أخرجه البخاري (١٤٦٢)، ومسلم (٨٨٩) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، واللفظ للبخاري، وليس عنده «ولو من حُلِيِّكن».

وفي «الصحيحين» عن عدي بن حاتم قال: قال رسول الله ﷺ: **«ما منكم من أحدٍ إلا سَيُكَلِّمُه ربُّه ليس بينه وبينه ترجمان، فينظرُ أَيْمَنَ منه، فلا يرىٰ إلَّا ما قَدَّم، وينظرُ أَشْأمَ منه، فلا يرىٰ إلا ما قَدَّمَ، وينظر بين يديه، فلا يرىٰ إلا النار تِلْقاء وجهه، فاتقوا النار ولو بشقِّ تمرة»**[1].

وفي حديث أبي ذر أنه قال: سألت رسول الله ﷺ: ماذا ينجي العبد من النار؟ قال: **«الإيمان بالله»**، قلت: يا نبي الله، مع الإيمان عمل؟ قال: **«أن تَرْضَخَ مما خوَّلك الله، أو تَرْضَخ مما رزقك الله»**، قلت: يا نبي الله، فإن كان فقيرًا لا يجد ما يرضخ؟ قال: **«يأمر بالمعروف وينهىٰ عن المنكر»**، قلت: إن كان لا يستطيع أن يأمر بالمعروف وينهىٰ عن المنكر؟ قال: **«فَلْيُعِن الأخْرَق»**، قلت: يا رسول الله، أرأيت إن كان لا يحسن أن يصنع؟ قال: **«فَلْيُعِن مظلومًا»**، قلت: يا رسول الله، أرأيت إن كان ضعيفًا لا يستطيع أن يُعينَ مظلومًا؟ قال: **«ما تريد أن تترك في صاحبك من خير؟! لِيُمْسِكْ أذاهُ عن الناس»**، قلت: يا رسول الله، أرأيت إن فعل هذا يدخل الجنة؟ قال: **«ما من مُؤمن يصيب خَصْلَةً من هذه الخصال إلا أَخَذَتْ بيده حتىٰ أَدْخَلَتْهُ الجنة»** ذكره البيهقي في كتاب «شعب الإيمان»[2].

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «ذُكِر لي أن الأعمال تتباهىٰ، فتقول الصدقة: أنا أفضلكم»[3].

وفي «الصحيحين» عن أبي هريرة قال: **«ضَرب رسولُ الله ﷺ مَثَل البخيل**

---

(١) صحيح البخاري (٧٥١٢)، ومسلم (١٠١٦).

(٢) أخرجه البيهقي في «شعب الإيمان» (٦/ ٥٠٢، ٥٠٣، ٥٠٤، ٥٠٦)، والطبراني في «الكبير» (٦/ ١٥٦، ١٥٧). وصححه ابن حبان (٣٧٣)، والحاكم (١/ ٦٣) علىٰ شرط مسلم.

(٣) أخرجه البيهقي في «شعب الإيمان» (٦/ ٥٠٥)، وابن خزيمة (٤/ ٩٥)، والحديث صحّحه الحاكم (١/ ٤١٦).

والمُتَصَدِّق كمَثَلِ رجلين عليهما جُبَّتان من حديد، أو جُنَّتان من حديد، قد اضطرت أيديهما إلىٰ ثُدِيِّهما وتراقيهما، فجعلَ المتصدقُ كلما تصدَّق بصدقةٍ انبسطت عنه حتىٰ تُغَشِّي أنامِلَهُ، وتَعْفُوَ أثره، وجعل البخيلُ كلما هَمَّ بصدقة، قَلَصت وأخذت كل حلْقة مكانها».

قال أبو هريرة: فأنا رأيت رسول الله ﷺ يقول بإصبعه هكذا في جَيْبِه، فلو رأيته يُوسعها ولا تتّسع[1].

وروىٰ البخاري هذا الحديث في كتاب الزكاة عن أبي هريرة أيضًا، ولفظه: أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «**مَثَلُ البخيل والمنفق كمَثَلِ رجلين عليهما جبتان من حديد، من ثُدِيِّهما إلىٰ تراقيهما، فأما المنفق فلا ينفق إلا سَبَغَتْ أو وَفَرَتْ علىٰ جلده حتىٰ تُخْفِي بنَانه، وتعفو أثره، وأما البخيل فلا يريد أن ينفق شيئًا إلا لَزِقَتْ كل حلقة مكانها، فهو يوسعها ولا تتسع**»[2].

وروىٰ عن أبي بردة عن أبيه عن النبي ﷺ قال: «**علىٰ كل مسلم صدقة**» قالوا: يا رسول الله، فمن لم يجد؟ قال: «**يعمل بيده، فينفع نفسه ويتصدق**» قالوا: فإن لم يجد؟ قال: «**يُعِين ذا الحاجة الملهوف**» قالوا: فإن لم يجد؟ قال: «**فليعمل بالمعروف، وَلْيُمْسِك عن الشر؛ فإنها له صدقة**[3]».

ولما كان البخيل محبوسًا عن الإحسان، ممنوعًا عن البِر والخير، كان جزاؤه من جنس عمله؛ فهو ضَيِّقُ الصدر، ممنوعٌ من الانشراح، ضَيِّق العطَن، صغير النفس، قليل الفرح، كثير الهم والغم والحزن، لا يكاد تُقْضَىٰ له حاجة، ولا يُعان علىٰ مطلوب.

---

(١) صحيح البخاري (٥٧٩٧)، ومسلم (١٠٢١).

(٢) «صحيح البخاري» (١٤٤٣).

(٣) «صحيح البخاري» (١٤٤٥، ٦٠٢٢). وأخرجه مسلم (١٠٠٨).

فهو كرجل عليه جبة من حديد، قد جُمِعت يداه إلىٰ عنقه بحيث لا يتمكن مِن إخراجها ولا حركتها، وكلما أراد إخراجها، أو توسيع تلك الجبة لزمت كل حَلقة من حِلَقها موضعها.

وهكذا البخيل كلما أراد أن يتصدق مَنَعَهُ البخل، فيبقىٰ قلبه في سجنه كما هو، والمتصدقُ كلما تصدق بصدقة انشرح لها قلبه، وانفسح بها صدره، فهو بمنزلة اتساع تلك الجُبّة عليه، فكلما تصدق اتسع وانفسح وانشرح، وقَوِيَ فرحه، وعَظُمَ سروره.

ولو لم يكن في الصدقة إلا هذه الفائدة وحدها لكان العبد حقيقًا بالاستكثار منها والمبادرة إليها. وقد قال تعالىٰ: ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر:٩].

وكان عبد الرحمن بن عوف -أو سعد بن أبي وقاص- يطوف بالبيت وليس له دأب إلا هذه الدعوة: «ربِّ قني شُحَّ نفسي، ربِّ قني شُحَّ نفسي». فقيل له: أما تدعو بغير هذه الدعوة؟ فقال: «إذا وُقِيتُ شُحَّ نفسي فقد أفلحتُ»[1].

والفرق بين الشُّحِّ والبخل أن الشُّحَّ: هو شدة الحرص علىٰ الشيء، والإحفاء في طلبه، والاستقصاء في تحصيله، وجَشَعُ النفس عليه.

والبخل: منعُ إنفاقه بعد حصوله، وحُبُّه وإمساكُه، فهو شحيحٌ قبل حصوله، بخيلٌ بعد حصوله.

فالبخلُ ثمرة الشُّحِّ، والشُّحُّ يدعو إلىٰ البخل، والشُّحُّ كامِنٌ في النفس، فمن بخل فقد أطاع شُحَّه، ومن لم يبخل فقد عصىٰ شُحَّه، وَوُقِي شره، وذلك هو المفلح ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾.

(١) أخرجه الطبري في «التفسير» (٢٣/ ٢٨٦)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٣٥/ ٢٩٤)، وغيرهما عنه بنحوه.

والسخيُّ قريب من الله تعالىٰ، ومن خَلْقِه، ومن أهله، وقريب من الجنة، وبعيد من النار، والبخيلُ بعيد من الله، بعيد من خَلْقِه، بعيد من الجنة، قريب من النار، فجودُ الرجل يُحَبِّبُه إلىٰ أضداده، وبخله يُبَغِّضُه إلىٰ أولاده، كما قيل:

ويُظْهِرُ عَيْبَ المَرْءِ فِي الناسِ بُخْلُهُ ... ويَسْتُرُه عنهم جمِيعًا سَخاؤُه

تَغَطَّ بأثوابِ السَّخاءِ فإنني ... أرىٰ كُلَّ عيبٍ فالسّخاء غِطاؤُه

وقارِنْ إذا قَارَنْتَ حُرًّا فإنَّما ... يَزِينُ ويُزرِي بالفتىٰ قُرناؤه

وأقْلِلْ إذَا ما اسْطَعْتَ قَوْلًا فإنَّهُ ... إذَا قلَّ قولُ المرْءِ قَلَّ خَطَاؤُه

إذَا قَلَّ مالُ المرءِ قَلَّ صَدِيقُه ... وضَاقَتْ عليه أرضه وسماؤه

وأصبح لا يدري وإن كان حازِمًا ... أَقُدَّامُه خيرٌ له أمْ وَرَاؤُه

إذا المرءُ لم يختر صديقًا لنفسهِ ... فَنَادِ به في الناس هذا جزاؤُه

وحدُّ السخاء: بَذْلُ ما يُحْتاج إليه عند الحاجة، وأن يُوصل ذلك إلىٰ مُسْتَحِقِّه بقدر الطاقة. وليس كما قال بعضُ مَنْ نَقَصَ عِلْمُه: حَدُّ الجودِ بَذْلُ الموجود. ولو كان كما قال هذا القائل لارتفع اسم السَّرَفِ والتبذير، وقد ورد الكتاب بذمهما، وجاءت السنة بالنهي عنهما.

وإذا كان السخاء محمودًا، فمن وقف علىٰ حدِّه سُمِّي كريمًا، وكان للحمد مستوجبًا، ومن قصر عنه كان بخيلًا، وكان للذم مستوجبًا، وقد رُوِي في أثرٍ: «إن الله عَجَّلَ أقسم بِعزّته ألَّا يجاوره بخيل»[1].

والسخاء نوعان:

فأشرفهما: سخاؤك عما بيد غيرك.

---

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا في «صفة الجنة» (٢٠) عن أنسٍ رضي الله عنه مرفوعًا بإسنادٍ شديد الضعف.
وأخرجه الطبراني في «الكبير» (١٢/ ١١٤) وغيره، عن ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعًا بإسناد ضعيف.

والثاني: سخاؤك ببذل ما في يدك.

فقد يكون الرجل من أسخىٰ الناس وهو لا يعطيهم شيئًا؛ لأنه سخا عما في أيديهم، وهذا معنىٰ قول بعضهم: السخاء أن تكون بمالك متبرِّعًا، وعن مال غيرك متورِّعًا.

وسمعت شيخ الإسلام ابن تيمية قدس الله روحه يقول: «إنّ الله أوحىٰ إلىٰ إبراهيم ﷺ «أتدري لم اتخذتك خليلًا؟» قال: لا، قال: «لأني رأيت العطاء أحب إليك من الأخذ»[١].

وهذه صفة من صفات الرب جل جلاله؛ فإنه يعطي ولا يأخذ، ويُطعِم ولا يُطْعَم، وهو أجود الأجودين، وأكرم الأكرمين، وأحبُّ الخلق إليه من اتصف بصفاته؛ فإنه كريم يحب الكريم من عباده، وعالم يحب العلماء، وقادر يحب الشجعان، وجميل يحب الجمال.

روىٰ الترمذي في «جامعه» قال: حدثنا محمد بن بشار: حدثنا أبو عامر: أخبرنا خالد بن إلياس، عن صالح بن أبي حسان، قال: سمعت سعيد بن المسيب يقول: **«إن الله طيب يحب الطيب، نظيف يحب النظافة، كريم يحب الكرم، جواد يحب الجود، فنظفوا أخبيتكم**[٢] **ولا تَشَبَّهوا باليَهود»**. قال: فذكرت ذلك للمهاجر بن مسمار فقال: حدَّثنيه عامر بن سعد عن أبيه رضي الله تعالىٰ عنه عن النبي ﷺ مثله، إلا أنه قال: **«فَنَظِّفُوا أفنيتكم»** هذا حديث غريب، خالد بن إلياس يُضَعَّف[٣].

وفي الترمذي أيضًا في «كتاب البر» قال: حدثنا الحسن بن عرفة: حدثنا سعيد بن

---

(١) ورد في هذا آثارٌ عن بعض السلف. انظر: «تاريخ دمشق» لابن عساكر (٦/ ٢١٦ - ٢١٨)، و«حلية الأولياء» (٣/ ٢٧٥، ٨/ ٢٤٢)، و«الدر المنثور» (٢/ ٧٠٦).

(٢) أي: أفنيتكم.

(٣) أخرجه الترمذي (٢٧٩٩)، والبزّار (٣/ ٣٢٠)، وأبو يعلىٰ (٢/ ١٢٢ - ١٢٣) وغيرهم. وإسناده ضعيف جدًّا.

محمد الوراق، عن يحيىٰ بن سعيد، عن الأعرج، عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «**السَّخِيُّ قريبٌ من الله، قريب من الجنةِ، قريب من الناسِ، بعيد من النار. والبخيل بعيد من الله، بعيد من الجنة، بعيد من الناس، قريب من النار. ولَجَاهل سَخِيٌّ أحبُّ إلىٰ الله تعالىٰ من عابد بخيل**[١]».

وفي الصحيح: «**إنَّ اللهَ تعالىٰ وِتْر يحبُّ الوِتْرَ**»[٢].

وهو سبحانه وتعالىٰ رحيم يحب الرحماء، وإنما يرحم من عباده الرُّحماء، وهو سِتِّيرٌ يحب من يستر علىٰ عباده، وعفوٌّ يحب من يعفو عنهم، وغفورٌ يحب من يغفر لهم، ولطيفٌ يحب اللطيف من عباده، ويبغض الفَظَّ الغليظ القاسي الجَعْظَرِيَّ الجَوَّاظ، ورفيقٌ يحب الرفق، وحليمٌ يحب الحلم، وبَرٌّ يحب البِرّ وأهله، وعَدْلٌ يحب العدل، وقابلٌ للمعاذير يحب من يقبل معاذير عباده، ويجازي عبده بحسب هذه الصفات فيه وجودًا وعدمًا، فمن عفا عفا عنه، ومن غَفَر غَفَر له، ومن سامح سامحه، ومن حاقَقَ حاقَقَه، ومن رفق بعباده رفق به، ومن رحم خلقه رحمه، ومن أحسن إليهم أحسن إليه، ومن صفح عنهم صفح عنه، ومن جاد عليهم جاد عليه، ومن نفعهم نفعه، ومن سترهم ستره، ومن تتبع عوراتهم تتبع عورته، ومن هتكهم هتكه وفضحه، ومن منعهم خيره منعه خيره، ومن شاقَّ الله شاقَّ الله تعالىٰ به، ومن مكر مكر به، ومن خادَع خادَعه، ومن عامل خلقه بصفةٍ عامله الله تعالىٰ بتلك الصفة بعينها في الدنيا والآخرة؛ فالله تعالىٰ لعبده علىٰ حسب ما يكون العبد لخلقه.

ولهذا جاء في الحديث: «**منْ سَتَر مسلمًا سَتَرَه الله تعالىٰ في الدنيا والآخرة، ومن نَفَّس عن مؤمن كُرْبةً مِنْ كُرَبِ الدُّنيا نَفَّس الله تعالىٰ عنه كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يوم القيامة،**

---

(١) أخرجه الترمذي (١٩٦١) وأعله بالإرسال، وابن عديّ في «الكامل» (٣/ ٤٠٣)، وقال أبوحاتم: «منكر»، وقال العقيلي: «ليس له أصلٌ»، وعدّه المصنّفُ من الأحاديث الباطلة.

(٢) أخرجه البخاري (٦٤١٠)، ومسلم (٢٦٧٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

ومَنْ يسَّر علىٰ مُعْسِرٍ يسَّر الله تعالىٰ عليه حسابه»(١) .

و«**من أقال نادمًا أقالَه الله تعالىٰ عثرته**»(٢) .

و«**من أَنْظَرَ مُعْسِرًا أَوْ وَضَع عنه، أظلَّه الله تعالىٰ في ظل عرشه**»(٣) ؛ لأنه لما جعله في ظِلِّ الإنظار والصبر، ونجاه من حَرِّ المطالبة، وحرارة تَكَلُّفِ الأداء مع عسرته وعجزه = نجَّاه الله تعالىٰ من حر الشمس يوم القيامة إلىٰ ظل العرش.

وكذلك الحديث الذي في الترمذي وغيره، عن النبي ﷺ أنه قال في خطبته يومًا: «**يا معشر من آمن بلسانه ولم يَدْخُل الإيمانُ إلىٰ قلبه، لا تُؤْذُوا المسلمين، ولا تَتبَّعوا عوراتهم؛ فإنَّه من تَتبَّعَ عورة أخيه تتبَّعَ الله عورتَهُ، ومن تتبَّعَ الله عورته يَفْضَحْهُ ولو في جوف بيته**»(٤).

فكما تدين تُدان، وَكُنْ كيف شئت؛ فإن الله تعالىٰ لك كما تكون أنت له ولعباده.

ولما أظهر المنافقون الإسلام، وأسرُّوا الكفر أظهر الله تعالىٰ لهم يوم القيامة نورًا علىٰ الصراط، وأظهر لهم أنهم يَجُوزون الصراط، وأَسَرَّ لهم أن يُطْفِئ نورهم، وأن يُحال بينهم وبين قطع الصراط جزاءً من جنس أعمالهم.

وكذلك من يُظْهِر للخلق خلاف ما يَعْلَمُه الله فيه؛ فإن الله تعالىٰ يُظْهِرُ له في الدنيا والآخرة أسباب الفلاح والنجاح والفوز، ويُبْطِنُ له خلافها.

وفي الحديث: «**من راءىٰ راءىٰ الله به، ومن سَمَّعَ سَمَّعَ الله به**»(٥).

---

(١) أخرجه مسلم (٢٦٩٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه أبو داود (٣٤٥٤)، وابن ماجه (٢١٩٩) وغيرهما عن أبي هريرة رضي الله عنه، وصححه ابن حبان (٥٠٢٩) واللفظ له، والحاكم (٢/ ٤٥) علىٰ شرط الشيخين.

(٣) أخرجه مسلم (٣٠٠٦) من حديث أبي اليَسَر رضي الله عنه.

(٤) أخرجه الترمذي (٢٠٣٢) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما، وقال: «حسن غريب».

(٥) أخرجه البخاري (٦٤٩٩)، ومسلم (٢٩٨٧) من حديث جندب رضي الله عنه.

والمقصود أن الكريم المُتصدِّق يعطيه الله ما لا يعطي البخيل المُمْسِك، ويُوسِّع عليه في ذاته، وخُلُقِه، ورزقه، ونفسه، وأسباب معيشته، جزاءً له من جنس عمله.

فصل

ص(٨٣)

وقوله ﷺ: «**وأمركم أن تذكروا الله تعالىٰ؛ فإن مَثَل ذلك مَثَل رجلٍ خرج العدو في إثره سراعًا، حتىٰ إذا أتىٰ علىٰ حصن حصين، فأحرز نفسه منهم، كذلك العبد لا يحرز نفسه من الشيطان إلا بذكر الله**».

فلو لم يكن في الذكر إلا هذه الخصلة الواحدة لكان حقيقًا بالعبد أن لا يفتر لسانه من ذكر الله تعالىٰ، وأن لا يزال لَهِجًا بذكره؛ فإنّه لا يُحْرِزُ نفسه من عدوه إلا بالذكر، ولا يَدْخُل عليه العدو إلا من باب الغفلة، فهو يَرْصُدُه، فإذا غفل وثَبَ عليه وافترسه، وإذا ذكر الله تعالىٰ انخنس عدو الله وتصاغر وانقمع، حتىٰ يكون كالوصْع[1] وكالذباب، ولهذا سُمِّي الوسواس الخناس، أي: يوسوس في الصدور؛ فإذا ذُكِر الله تعالىٰ خَنَس، أي: كف وانقبض.

وقال ابن عباس: «الشيطان جاثم علىٰ قلب ابن آدم، فإذا سها وغفلَ وَسْوَسَ، فإذا ذكر الله تعالىٰ خَنَس»[2].

وفي مسند الإمام أحمد عن عبد العزيز بن أبي سلمة الماجشون، عن زياد بن أبي زياد مولىٰ عبد الله بن عياش بن أبي ربيعة، أنه بلغه عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**ما عَمِل آدميٌّ عملًا قطُّ أنجىٰ له من عذاب الله من ذكر الله عز وجل**».

وقال معاذ: قال رسول الله ﷺ: «**ألا أخبركم بخير أعمالِكم وأزكاها عند**

(١) «الوَصْع»: الصغير من العصافير.

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة في «المصنف» (١٣/ ٣٦٩-٣٧٠)، والضياء في «المختارة» (١٠/ ٣٦٧) بإسناد صحيح.

مليكِكُم، وأرفعها في درجاتِكم، وخير لكم من إنفاق الذَّهب والفضَّة، ومن أن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم، ويضربوا أعناقكم؟ » قالوا: بلىٰ يا رسول الله، قال: «**ذِكْرُ الله** ﷻ»[1].

وفي «صحيح مسلم» عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ يسير في طريق مكة، فمر علىٰ جبل يقال له «جُمْدَان»، فقال: «**سيروا، هذا جُمْدَان، سَبَق المُفَرِّدُونَ**» قيل: وما المُفَرِّدون يا رسول الله؟ قال: «**الذّاكرون الله كثيرًا والذّاكرات**»[2].

وفي «سنن أبي داود» عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**ما من قومٍ يقومون من مجلسٍ لا يذكرون الله تعالىٰ فيه، إلا قاموا عن مِثْلِ جِيفة حمارٍ، وكان عليهم حسرة**»[3].

وفي رواية الترمذي: «**ما جلس قوم مجلسًا لم يذكروا الله فيه، ولم يُصَلُّوا علىٰ نَبِيِّهم، إلا كان عليهم تِرَةً**[4]، **فإن شاء عَذَّبَهم، وإن شاء غَفَرَ لهم**»[5].

وفي «صحيح مسلم»، عن الأغرِّ أبي مسلم قال: أشهدُ علىٰ أبي هريرة وأبي سعيد أنهما شهدا علىٰ رسول الله ﷺ أنه قال: «**لا يَقْعُدُ قومٌ يذكرونَ الله إلا حَفَّتْهُم**

(١) أخرجه أحمد (٧/ ٣٦٧) قال المنذري: «إسناده جيّد، إلاّ أنّ فيه انقطاعًا»، ورجّح الدارقطنيُّ وقفه. وورد القسم الثاني من الحديث عن أبي الدرداء رضي الله عنه عند الترمذي (٣٤٣٧)، وابن ماجه (٣٧٩٠)، والحاكم (١/ ٤٩٦) وغيرهم. واختلف في رفعه ووقفه، وفي إرساله ووصله.

(٢) «صحيح مسلم» (٢٦٧٦).

(٣) أخرجه أبو داود (٤٨٢١)، وأحمد (٣/ ٤٢٢)، والنسائي في «عمل اليوم والليلة» (٤٠٨). وصحّحه الحاكم.

(٤) التِّرَةُ: النَّقص. وقيل: التَّبِعَة.

(٥) أخرجه الترمذي (٣٣٨٠)، وأحمد (٣/ ٥٧٣)، وغيرهما. قال الترمذي: «هذا حديث حسن صحيح».

الملائكة، وغَشِيَتْهم الرّحمةُ، ونزلت عليهم السَّكينةُ، وذَكَرَهم الله فيمن عنده»[١] .

وفي «الترمذي» عن عبد الله بن بسر أن رجلًا قال: يا رسول الله، إن أبواب الخير كثيرة، ولا أستطيع القيام بكلِّها، فأخبرني بشيء أتشبَّثُ به، ولا تُكْثِرْ عليَّ فأنسىٰ.

وفي رواية: إن شرائعَ الإسلام قد كَثُرَتْ عليَّ، وأنا قد كبرت، فأخبرني بشيء أتشبَّث به، ولا تُكْثِرْ عليَّ فأنسىٰ.

قال: «**لا يزالُ لِسَانُكَ رَطْبًا بذكر الله تعالىٰ**»[٢] .

وفي «الترمذي» أيضًا عن أبي سعيد، أن رسول الله ﷺ سئل: أي العباد أفضلُ وأرفَعُ درجةً عند الله يوم القيامة؟ قال: «**الذَّاكِرُونَ الله كثيرًا**» قيل: يا رسول الله، وَمِنَ الغازي في سبيل الله؟ قال: «**لو ضَربَ بسيفِه في الكفار والمشركين حتىٰ يَنكَسِرَ ويختَضِبَ دمًا كان الذَّاكِرُ لله تعالىٰ أفضل منه درجة**»[٣] .

وفي «صحيح البخاري» عن أبي موسىٰ، عن النبي ﷺ قال: «**مَثَلُ الذي يذكرُ رَبَّهُ، والذي لا يذكرُ ربَّهُ، مَثَلُ الحيِّ والميِّت**»[٤] .

وفي «الصحيحين» عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**يقول اللهُ تبارك وتعالىٰ: أنا عند ظَنِّ عبدي بي، وأنا معه إذا ذكرني؛ فإن ذكرني في نفسه ذكرتهُ في نفسي، وإن ذكرني في ملأٍ ذكرته في ملأٍ خيرٍ منهم، وإن تقرَّب إليَّ شِبْرًا تقرَّبْتُ إليه ذراعًا، وإن تقرَّب إليَّ ذراعًا تقرَبْتُ إليه باعًا، وإن أتاني يمشي أتيته هرولةً**»[٥] .

---

(١) «صحيح مسلم» (٢٧٠٠).

(٢) أخرجه الترمذي (٣٣٧٥)، وأحمد (٦/ ٧٣)، وابن ماجه (٣٧٩٣)، وحسنه الترمذي، وصححه ابن حبان، والحاكم.

(٣) أخرجه الترمذي (٣٣٧٦)، وأحمد (٤/ ١٩٠)، وأبو يعلىٰ (٢/ ٥٣٠ - ٥٣١) وغيرهم. قال الترمذيّ: «هذا حديث غريب، إنما نعرفه من حديث درّاج». ودراج ضعيف.

(٤) «صحيح البخاري» (٦٤٠٧).

(٥) «صحيح البخاري» (٧٤٠٥)، و«مسلم» (٢٦٧٥).

وفي «الترمذي» عن أنس، أن رسول الله ﷺ قال: «**إذا مَرَرْتُم بِرياضِ الجنَّةِ فارْتَعُوا**» قالوا: يا رسول الله، وما رياض الجنة؟ قال: «**حِلَق الذِّكر**»[(١)] .

وفي «الترمذي» أيضًا عن النبي ﷺ عن الله ﷻ أنه يقول: «**إنَّ عبدي كُلَّ عبدي الذي يذكرني وهو مُلاقٍ قِرْنَهُ**»[(٢)].

وهذا الحديث هو فصل الخطاب في التفضيل بين الذاكر والمجاهد، فإن الذاكرَ المجاهد أفضلُ من الذاكر بلا جهادٍ والمجاهدِ الغافلِ، والذاكرُ بلا جهادٍ أفضلُ من المجاهد الغافل عن الله تعالىٰ.

فأفضل الذاكرين المجاهدون، وأفضل المجاهدين الذاكرون.

قال الله تعالىٰ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُواْ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الأنفال:٤٥]؛ فأمرهم بالذكر الكثير والجهاد معًا، ليكونوا علىٰ رجاء من الفلاح، وقد قال الله تعالىٰ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾ [الأحزاب:٤١]، وقال تعالىٰ: ﴿وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ﴾ [الأحزاب:٣٥] أي: كثيرًا.

وقال تعالىٰ: ﴿فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَـٰسِكَكُمْ فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَذِكْرِكُمْ ءَابَآءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا﴾ [البقرة:٢٠٠].

فَقَيَّد الأمر بالذكر بالكثرة والشدة؛ لشدة حاجة العبد إليه، وعدم استغنائه عنه طرفة عين، فأيُّ لحظةٍ خلا فيها العبد عن ذكر الله ﷻ كانت عليه لا له، وكان خُسرانه فيها أعظم مما ربح في غفلته عن الله ﷻ.

---

(١) أخرجه الترمذي (٣٥١٠)، وأحمد (٤/ ٣٨٧)، وأبو يعلىٰ (٦/ ١٥٥) وغيرهم. وفي سنده مقال، وله شواهد.

(٢) أخرجه الترمذي (٣٥٨٠)، وابن أبي عاصم في «الآحاد والمثاني» (٥/ ١٥١)، وغيرهما من حديث عمارة بن زعكرة ﵁. ولم يصحح إسناده البخاري، ولم يقوّه الترمذي.

وقال بعض العارفين: لو أقبل عبدٌ علىٰ الله تعالىٰ كذا وكذا سنةً، ثم أعرض عنه لحظة، لكان ما فاته أعظم مما حَصَّله.

وذكر البيهقي عن عائشة رضي الله عنها وعن أبيها عن النبي ﷺ أنه قال: **«ما مِن ساعةٍ تَمُرُّ بابنِ آدم لا يَذْكُر الله تعالىٰ فيها إلا تَحَسَّرَ عليها يوم القيامة»**[١] .

وذكر عن معاذ بن جبل يرفعه أيضًا: **«ليس يَتَحَسَّرُ أهل الجنة إلا علىٰ ساعةٍ مرَّت بهم لم يذكروا الله عز وجل فيها»**[٢] .

وعن أم حبيبة زوج النبي ﷺ قالت: قال رسول الله ﷺ: **«كلام ابن آدم كلُّه عليه لا له، إلا أمْرًا بمعروف، أوْ نَهْيًا عن منكر، أو ذِكرًا لله عز وجل»**[٣] .

وعن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: سألت رسول الله ﷺ: أي الأعمال أحب إلىٰ الله عز وجل؟ قال: **«أنْ تَموتَ ولِسَانُكَ رَطْبٌ من ذِكْر الله عز وجل»**[٤] .

وقال أبو الدرداء رضي الله تعالىٰ عنه: «لكل شيء جِلاء، وإنّ جِلاءَ القلوبِ ذِكرُ الله عز وجل»[٥] .

وذكر البيهقيُّ مرفوعًا من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه كان يقول: **«لكل شيء سِقالة**[٦] **، وإنّ سِقالةَ القلوبِ ذكرُ الله عز وجل، وما من شيء أنجىٰ من**

(١) أخرجه البيهقي في «شعب الإيمان» (٢/ ٤٠٨ - ٤٠٩)، والطبراني في «الأوسط» (٨/ ١٩٥)، وأبو نعيم في «الحلية» (٥/ ٣٦٢) بإسنادٍ ضعيف، وله شواهد كما ذكر البيهقي.

(٢) أخرجه البيهقي في «شعب الإيمان» (٢/ ٤٠٨)، ويعقوب بن سفيان في «المعرفة والتاريخ» (٢/ ٣١٢)، وغيرهما، وجوَّد المنذريُّ أحدَ إسنادي البيهقيِّ.

(٣) أخرجه الترمذي (٢٤١٢)، وابن ماجه (٣٩٧٤)، والحاكم (١/ ٥١٢ - ٥١٣) وغيرهم، وحسَّنه الترمذي.

(٤) أخرجه الطبرانيُّ في «الكبير» (٢٠/ ١٠٧ - ١٠٨)، وغيرُه، وحسَّنه ابن حجر.

(٥) أخرجه البيهقي في «شعب الإيمان» (٢/ ٤١٩).

(٦) أي: جِلاء.

عذاب الله ﷻ من ذكر الله» قالوا: ولا الجهاد في سبيل الله ﷻ؟ قال: «**ولو أنْ يضرب بسيفه حتىٰ ينقطع**»[١].

ولا ريب أن القلب يصدأ كما يصدأ النحاس والفضة وغيرهما، وجلاؤه بالذكر، فإنه يجلوه حتىٰ يدعه كالمرآة البيضاء؛ فإذا تُرِكَ الذكرُ صَدِئ؛ فإذا ذُكِر جلاه.

وصدأُ القلب بأمرين: بالغفلة والذنب، وجلاؤه بشيئين: بالاستغفار والذكر؛ فمن كانت الغفلة أغلب أوقاته كان الصدأ متراكبًا علىٰ قلبه، وصداؤه بحسب غفلته، وإذا صدئ القلب لم تنطبع فيه صور المعلومات علىٰ ما هي عليه، فيرىٰ الباطل في صورة الحق، والحق في صورة الباطل؛ لأنه لما تراكم عليه الصدأ أَظْلَم، فلم تظهر فيه صور الحقائق كما هي عليه.

فإذا تراكم عليه الصدأ واسْوَدَّ، ورَكِبَه الرَّانُ، فَسَدَ تصوُّره وإدراكه، فلا يقبل حقًّا، ولا ينكر باطلًا، وهذا أعظم عقوبات القلب. وأصلُ ذلك من الغفلة، واتباع الهوىٰ؛ فإنهما يطمسان نور القلب، ويعميان بصره.

قال الله تعالىٰ: ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا﴾ [الكهف:٢٨].

فإذا أراد العبد أن يقتدي برجل فلينظر: هل هو من أهل الذكر، أو هو من الغافلين؟ وهل الحاكم عليه الهوىٰ أو الوحي؟؛ فإن كان الحاكم عليه هو الهوىٰ، وهو من أهل الغفلة، وأمره فُرُطٌ = لم يَقْتَدِ به ولم يَتبعه؛ فإنه يقوده إلىٰ الهلاك.

ومعنىٰ الفُرُط قد فُسِّر بالتضييع[٢]، أي: أمره الذي يجب أن يلزمه ويقوم به، وبه رشده وفلاحه ضائعٌ قد فَرَّطَ فيه.

(١) «شعب الإيمان» (٢/ ٤١٨ - ٤١٩). وإسناده ضعيف جدًّا.

(٢) أخرجه الطبريّ (١٨/ ٨) عن مجاهد.

وفُسِّر بالإسراف[١]، أي: قد أفرط، وفُسِّر بِالهلاك[٢]، وفُسِّر بالخلاف للحق[٣]، وكلها أقوال متقاربة.

والمقصودُ أن الله سبحانه وتعالىٰ نهىٰ عن طاعةِ مَنْ جَمَع هذه الصفات، فينبغي للرجل أن ينظر في شيخه وقدوته ومتبوعه؛ فإن وجده كذلك فَلْيُبْعِدْ عنه، وإن وجده ممن غلب عليه ذكر الله تعالىٰ واتباع السنة، وأمره غير مفروط عليه، بل هو حازم في أمره = فليتمسّك بِغَرْزِه.

ولا فرق بين الحي والميت إلا بالذكر، فمثل الذي يذكر ربه، والذي لا يذكر ربه كمثل الحي والميت.

وفي «المسند» مرفوعًا: «**أكثِروا ذِكْر اللهِ تعالىٰ حتىٰ يُقَال: مَجْنون**»[٤].

ص(٩٤)

فصل

وفي الذكر نحوٌ من مائة فائدة:

إحداها: أنه يطرد الشيطان ويَقْمَعُه ويَكْسِرُه.

الثانية: أنه يُرضِي الرحمن ﷻ.

الثالثة: أنه يزيل الهم والغم عن القلب.

الرابعة: أنه يجلب للقلب الفرح والسرور والبَسْط.

الخامسة: أنه يُقَوِّي القلب والبدن.

السادسة: أنه يُنَوِّر الوجه والقلب.

---

(١) نسبه البغوي في «تفسيره» (٥/ ١٦٧) إلىٰ مقاتل بن حيّان.

(٢) أخرجه الطبري (١٨/ ٩) عن خبّاب بن الأرتّ رضي الله عنه.

(٣) أخرجه الطبري (١٨/ ٩) عن ابن زيد.

(٤) «مسند أحمد» (٤/ ١٧٣). وهو من رواية درّاج بن سمعان عن أبي الهيثم عن أبي سعيد الخدريّ رضي الله عنه.

السابعة: أنه يَجْلِب الرزق.

الثامنة: أنه يكسو الذاكر المهابة والحلاوة والنَّضْرة.

التاسعة: أنه يورثه المحبة التي هي روح الإسلام، وقطبُ رَحىٰ الدين، ومدار السعادة والنجاة، وقد جعل الله لكل شيء سببًا، وجعل سبب المحبة دوام الذكر؛ فمن أراد أن ينال محبة الله ﷻ فَلْيَلْهَجْ بذكره، فإنّ الدرس والمذاكرة كما أنه باب العلم، فالذكر باب المحبة، وشارعها الأعظم، وصراطها الأقوم.

العاشرة: أنه يورثه المراقبة حتىٰ يُدْخِلَه في باب الإحسان، فيعبد الله كأنه يراه، ولا سبيل للغافل عن الذِّكر إلىٰ مقام الإحسان، كما لا سبيل للقاعد إلىٰ الوصول إلىٰ البيت.

الحادية عشرة: أنه يورثه الإنابة، وهي الرجوع إلىٰ الله ﷻ، فمتىٰ أكثر الرجوع إليه بذكره أورثه ذلك رجوعه بقلبه إليه في كل أحواله، فيبقىٰ الله ﷻ مَفْزَعه وملجاه، ومَلاذه ومَعاذه، وقِبْلة قلبه، وَمَهْرَبَه عند النوازل والبلايا.

الثانية عشرة: أنه يُورِثه القُرْبَ منه؛ فعلىٰ قدر ذكره لله ﷻ يكون قُرْبُه منه، وعلىٰ قدر غفلته يكون بُعْده منه.

الثالثة عشرة: أنه يفتح له بابًا عظيمًا من أبواب المعرفة، وكلّما أكْثَر من الذكر ازداد من المعرفة.

الرابعة عشرة: أنه يُورِثه الهيبة لربه ﷻ وإجلالِه؛ لشدة استيلائه علىٰ قلبه، وحضوره مع الله تعالىٰ، بخلاف الغافل؛ فإن حجاب الهيبة رقيقٌ في قلبه.

الخامسة عشرة: أنه يورثه ذكر الله تعالىٰ له، كما قال تعالىٰ: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾ [البقرة:١٥٢].

ولو لم يكن في الذكر إلا هذه وحدها لكفىٰ بها فضلًا وشرفًا.

وقال النبي ﷺ فيما يروي عن ربه تبارك وتعالىٰ: «**مَنْ ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، ومن ذكرني في ملأٍ ذكرته في ملأٍ خيرٍ منهم**»(١).

السادسة عشرة: أنه يورث حياة القلب، وسمعت شيخ الإسلام ابن تيمية قدس الله روحه يقول: الذكرُ للقلب مثلُ الماء للسمك، فكيف يكون حال السمك إذا فارق الماء؟!

السابعة عشرة: أنه قُوتُ القلب والروح؛ فإذا فَقَده العبد صار بمنزلة الجسم إذا حيل بينه وبين قُوتِه.

وحضرتُ شيخ الإسلام ابن تيمية مرةً صلىٰ الفجر، ثم جلس يذكر الله تعالىٰ إلىٰ قريب من انتصاف النهار، ثم التفت إليَّ وقال: هذه غدوتي، ولو لم أتَغَدَّ هذا الغداء لسقطت قوَّتِي، أو كلامًا قريبًا من هذا.

وقال لي مرة: لا أترك الذكر إلا بنية إجمام نفسي وإراحتها؛ لأستعِدَّ بتلك الراحة لذكرٍ آخر، أو كلامًا هذا معناه.

الثامنة عشرة: أنه يورث جَلاء القلب من صَداه، كما تقدم في الحديث.

وكلُّ شيء له صدأ، وصدأ القلب الغفلة والهوىٰ، وجِلاؤه الذكر والتوبة والاستغفار، وقد تقدم هذا المعنىٰ(٢).

التاسعة عشرة: أنه يَحُطُّ الخطايا ويُذْهِبها؛ فإنه من أعظم الحسنات، والحسناتُ يُذْهِبْن السيئاتِ.

العشرون: أنه يزيل الوحشة بين العبد وبين ربه تبارك وتعالىٰ؛ فإن الغافل بينه وبين الله ﷻ وَحْشَةٌ لا تزول إلا بالذكر.

---

(١) تقدم تخريجه ص(٦٠).

(٢) انظر: ص(٦٣).

الحادية والعشرون: أن ما يَذْكُر به العبدُ ربَّه ﷻ من جلاله وتسبيحه وتحميده، يُذَكِّرُ بصاحبه عند الشدة؛ فقد روىٰ الإمام أحمد رحمه الله تعالىٰ في «المسند» عن النبي ﷺ أنه قال: «**إنَّ مِمّا تَذْكُرُونَ مِنْ جَلالِ الله ﷻ، مِنَ التَّهْليلِ والتكبير والتحميد، يتَعَاطَفْنَ حول العَرْشِ، لَهُنَّ دَوِيٌّ كدَوِيِّ النَّحْلِ، يُذَكِّرْنَ بصاحبهنّ، أفلا يحبُّ أحدكم أن يكون له ما يُذَكِّرُ به؟!**»[1]. هذا الحديث أو معناه.

الثانية والعشرون: أن العبد إذا تعرَّف إلىٰ الله تعالىٰ، بذكره في الرخاء = عَرَفه في الشدّة، وقد جاء أثرٌ معناه: أن العبد المطيع الذاكر لله تعالىٰ إذا أصابته شدّة، أو سأل الله تعالىٰ حاجة قالت الملائكة: يا ربّ! صوتٌ معروفٌ من عبدٍ معروفٍ.

والغافل المعرض عن ذكر الله ﷻ إذا دعاه أو سأله قالت الملائكة: يا ربّ! صوتٌ منكرٌ من عبدٍ منكر[2].

الثالثة والعشرون: أنه منجاةٌ مِنْ عذاب الله تعالىٰ، كما قال معاذٌ رضي الله عنه، -ويُرْوَىٰ مرفوعًا-: «**ما عمل آدمي عملًا أنجىٰ له من عذاب الله ﷻ من ذكر الله تعالىٰ**»[3].

الرابعة والعشرون: أنه سبب نُزول السكينة، وغِشْيان الرحمة، وحُفُوفِ الملائكة بالذاكر، كما أخبر به النبي ﷺ.

الخامسة والعشرون: أنه سبب اشتغال اللسان عن الغيبة والنميمة، والكذب، والفحش، والباطل؛ فإن العبد لابُدَّ له من أن يتكلم، فإن لم يتكلم بذكر الله تعالىٰ،

---

(١) أخرجه أحمد (٦/ ٢٧٣)، وابنُ ماجه (٣٨٠٩)، والبزّار (٨/ ١٩٩) وغيرهم من حديث النعمان بن بشير، وصححه الحاكم (١/ ٥٠٣) علىٰ شرط مسلم.

(٢) أخرجه محمد بن فضيل الضّبي في «الدعاء» (٨٥)، ومِنْ طريقه ابن أبي شيبة في «المصنف» (١٠/ ٣٠٩ - ٣١٠)، و(١٣/ ٣٣٣ - ٣٣٤)، وغيره، عن سلمان الفارسي موقوفًا. وإسنادُ الضبيّ صحيحٌ عالٍ.

(٣) تقدم تخريجه ص(٥٨).

وذِكْرِ أوامره تكلم بهذه المحرمات أو ببعضها؛ فلا سبيل إلىٰ السلامة منها ألبتة إلا بذكر الله تعالىٰ.

والمشاهدة والتجربةُ شاهدان بذلك؛ فمن عوَّد لسانه ذِكْرَ اللهِ صانَ اللهُ لسانَه عن الباطل واللغو، ومن يَبِسَ لسانُه عن ذكر الله تعالىٰ تَرَطَّبَ بكل باطلٍ ولَغْوٍ وفُحْشٍ، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

السادسة والعشرون: أنّ مجالسَ الذكر مجالسُ الملائكة، ومجالسَ اللغو والغفلة مجالسُ الشياطين، فَلْيَتَخَيَّرِ العبدُ أعجبهما إليه، وأولاهما به؛ فهو مع أهله في الدنيا والآخرة.

السابعة والعشرون: أنه يَسْعَدُ الذاكرُ بذكره، ويَسْعَدُ به جليسُه، وهذا هو المبارك أينما كان، والغافلُ واللاغي يشقىٰ بلغوه وغفلته، ويشقىٰ به مُجالِسُه.

الثامنة والعشرون: أنه يؤمِّن العبد من الحسرة يوم القيامة؛ فإنّ كل مجلس لا يَذْكُرُ العبدُ فيه ربَّه تعالىٰ كان عليه حسرةً وتِرَةً يوم القيامة.

التاسعة والعشرون: أنه مع البكاء في الخلوة سببٌ لإظلال الله تعالىٰ العبدَ يوم الحَرِّ الأكبر في ظِلِّ عرشه، والناسُ في حَرِّ الشمس قد صَهَرَتْهُم في الموقف، وهذا الذاكرُ مُسْتَظِلٌّ بظل عرش الرحمن ﷻ.

الثلاثون: أن الاشتغال به سببٌ لعطاء الله الذاكرَ أفضلَ ما يُعْطِي السائلين؛ ففي الحديث عن عمر بن الخطاب قال: قال رسول الله ﷺ: «**قال الله: من شغله ذكري عن مسألتي أعطيته أفضل ما أُعْطِي السائلين**»[1].

الحادية والثلاثون: أنه أيسر العبادات، وهو من أجلِّها وأفضلها؛ فإن حركة

---

(١) أخرجه البخاري في «التاريخ الكبير» (٢/ ١١٥)، والبزار (١/ ٢٤٧) وغيرهما. وأورده ابن حبان وقال: موضوع، وتبعه ابن الجوزي، ونُوزِعا في ذلك، فحسّنه ابن حجر، وذكر هو والسيوطي له شواهد قد تنفعه.

اللسان أخف حركات الجوارح وأيسرها، ولو تحرك عضو من أعضاء الإنسان في اليوم والليلة بقدر حركة لسانه لشق عليه غاية المشقة، بل لا يمكنه ذلك.

الثانية والثلاثون: أنه غِراسُ الجنة، فقد روىٰ الترمذي في «جامعه» من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**لقيت إبراهيم ليلة أسري بي فقال: يا محمد، أقْرِئْ أمَّتك مِنِّي السَّلام، وأخبرهم أن الجنة طيِّبَةُ التُّرْبَةِ، عَذْبَةُ الماء، وأنَّها قِيعانٌ، وَأنَّ غِراسَها سُبحان الله، والحمدُ لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر**». قال الترمذي: حديث حسن غريب من حديث ابن مسعود[١].

وفي «الترمذي» من حديث أبي الزبير، عن جابر عن النبي ﷺ قال: «**من قال: سبحان الله وبِحَمْده، غُرِسَتْ له نخلةٌ في الجنَّة**» قال الترمذي: حديث حسن صحيح[٢].

الثالثة والثلاثون: أن العطاء والفضل الذي رُتِّب عليه لم يُرَتَّبْ علىٰ غيره من الأعمال.

ففي «الصحيحين» عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «**من قال: لا إله إلا اللهُ وحده لا شريك له، له المُلْكُ وله الحمدُ وهو علىٰ كلِّ شيءٍ قدير في يومٍ مائة مرةٍ كانت له عَدْل عَشْرِ رقابٍ، وَكُتِبَتْ له مائةُ حسَنةٍ، ومُحِيَتْ عنهُ مائةُ سيئةٍ، وكانت له حِرْزًا من الشيطان يومه ذلك حتىٰ يُمسي، ولم يأت أحَدٌ بأفضل مما جاء به إلَّا رجلٌ عمل أكثر منه.**

ومن قال: سبحان الله وبحمده في يوم مائة مرَّة حُطَّتْ خطاياهُ وإن كانت مِثْلَ زَبَدِ البحر»[٣].

---

(١) أخرجه الترمذي (٣٤٦٢)، والطبراني في «الكبير» (١٠/ ١٧٣)، وأعلّه أبو حاتم وأبو زرعة بالانقطاع، وأعله المنذري به وبغيره، قال ابن حجر -معلّقًا علىٰ تحسين الترمذيّ-: «وحسّنه لشواهده».

(٢) أخرجه الترمذي (٣٤٦٤)، والنسائي في «عمل اليوم والليلة» (٨٢٧). وصحّحه ابن حبان (٨٢٦)، والحاكم (١/ ٥٠١ - ٥٠٢) علىٰ شرط مسلم ولم يتعقبه الذهبي.

(٣) «صحيح البخاري» (٣٢٩٣، ٦٤٠٣)، و«مسلم» (٢٦٩١).

وفي «صحيح مسلم» عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«لأن أقولَ: سبحانَ الله، والحمدُ لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، أَحَبُّ إليَّ مما طَلَعتْ عليه الشَّمْس»**[١] .

وفي «الترمذي» من حديث أنس بن مالك، أن رسول الله ﷺ قال: **«من قال حين يُصْبِح أو يُمْسِي: اللهم إنّي أصبحتُ أُشهِدُكَ، وأُشْهِدُ حَمَلَةَ عَرشِكَ، وملائِكتَك، وجميع خلقك، أنَّك أنت الله لا إله إلَّا أنت، وأن محمدًا عبدك ورسولُك = أعْتَق اللهُ رُبعه من النَّار، ومن قالها مرتين أعتق الله نصفه من النار، ومن قالها ثلاثًا أعتق الله ثلاثة أرباعه من النار، ومن قالها أربعًا أعتقهُ الله تعالىٰ من النار»**[٢] .

وفيه عن ثوبان، أن رسول الله ﷺ قال: **«من قال حين يُمسِي وإذا أصْبَح: رضيتُ بالله ربًّا، وبالإسلام دينًا، وبمحمّدٍ ﷺ رسولًا = كان حقًّا علىٰ الله أنْ يُرْضِيَهُ»**[٣] .

وفي الترمذي: **«من دخل السُّوق فقال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، يُحْيِي ويميت، وهو حَيٌّ لا يموت، بيده الخَيْرُ، وهو علىٰ كلِّ شيءٍ قدير = كتب الله له ألْفَ ألْفَ حسنة، ومحا عنه ألْف ألْف سيئة، ورفع له ألْفَ ألْفَ درجة»**[٤].

الرابعة والثلاثون: أن دوامَ ذِكر الرب تبارك وتعالىٰ يُوجِب الأمان من نسيانه الذي هو سبب شقاء العبد في معاشه ومعاده؛ فإن نسيان الرب سبحانه وتعالىٰ

(١) «صحيح مسلم» (٢٦٩٥).

(٢) أخرجه أبو داود (٥/ ٣٨٦) واللفظ له، والبخاريُّ في «الأدب المفرد» (١٢٠١)، والترمذي (٣٥٠١)، والنسائي في «عمل اليوم والليلة» (٩)، وغيرهم. قال الترمذيّ: «هذا حديث غريب»، وحسَّنه ابن حجر.

(٣) أخرجه الترمذي (٣٣٨٩)، والطبراني في «الدعاء» (٢/ ٩٣٢)، وحسّنه ابن حجر.

(٤) أخرجه الترمذي (٣٤٢٨)، والدارميُّ (٢/ ٧٤٧)، وابن عديّ في «الكامل» (١/ ٤٣٠)، وغيرهم، وإسناده ضعيف، وأعله المصنّف في «تهذيب سنن أبي داود» (٧/ ٢٥٨).

يوجب نسيان نفسه ومصالحها، قال تعالىٰ: ﴿ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمْ أَنفُسَهُمْ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَـٰسِقُونَ ﴾ [الحشر:١٩].

وإذا نسي العبدُ نفسه أعرض عن مصالحها، ونَسِيَها، واشتغل عنها؛ فهلكت وفسدت ولابُدّ، كمن له زرعٌ أو بستانٌ أو ماشيةٌ أو غير ذلك مِمّا صلاحُه وفلاحه بتعاهده والقيام عليه، فأهمله ونسيه، واشتغل عنه بغيره، وضَيَّع مصالحه؛ فإنه يفسد ولا بُدّ. هذا مع إمكان قيام غيره مقامه فيه؛ فكيف الظن بفساد نفسه وهلاكها وشقائها إذا أهملها ونسيها، واشتغل عن مصالحها، وعطَّل مراعاتها، وترك القيام عليها بما يصلحها؟! فما شئت من فسادٍ وهلاكٍ وخيبةٍ وحرمان!.

وهذا هو الذي صار أمره كله فُرُطًا، فانفرط عليه أمره، وضاعت مصالحه، وأحاطت به أسباب القُطوع والخيبة والهلاك.

ولا سبيل إلىٰ الأمان من ذلك إلا بدوام ذكر الله تعالىٰ، واللَّهَجِ به، وأن لا يزال اللسان رطبًا به، وأن يُنزله منزلة حياته التي لا غنىٰ له عنها، ومنزلة غذائه الذي إذا فقده فسد جسمُه وهلك، وبمنزلة الماء عند شدة العطش، وبمنزلة اللباس في الحر والبرد، وبمنزلة الكِنِّ[١] في شدة الشتاء والسَّموم[٢].

فحقيقٌ بالعبد أن يُنزِل ذكر الله منه بهذه المنزلة، وأعظم؛ فأين هلاك الروح والقلب وفسادها من هلاك البدن وفساده؟!، وهذا هلاكٌ لابُدَّ منه وقد يعقبه صلاح الأبد، وأما هلاك القلب والروح فهلاكٌ لا يُرجَىٰ معه صلاح ولا فلاح، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

ولو لم يكن في فوائد الذكر وإدامته إلا هذه الفائدة وحدها لكفىٰ بها.

(١) هو ما يردُّ الحرّ والبرد من الأبنية والمساكن.

(٢) السَّموم: هي الريح الحارّة. قال أبو عبيدة: «السَّموم بالنهار، وقد تكون بالليل».

فمن نسي الله تعالىٰ أنساه نفسه في الدنيا، ونسيه في العذاب يوم القيامة.

قال الله تعالىٰ: ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴾ [طه:١٢٤-١٢٦]، أي تُنْسَىٰ في العذاب كما نسيت آياتنا، فلم تذكرها ولم تعمل بما فيها.

وإعراضُه عن ذكره يتناول إعراضَه عن الذكر الذي أنزله، وهو كتابه، وهو المراد، ويتناول إعراضَه عن أن يَذْكُرَ ربه بكتابه، وأسمائه، وصفاته، وأوامره، وآلائه، ونعمه؛ فإن هذه كلها توابع إعراضه عن كتاب ربه تعالىٰ، فإن الذكر في الآية إما مصدرٌ مضافٌ إلىٰ معموله الذي هو المذكور، وإما اسمٌ مضافٌ إلىٰ الفاعل، أو مضافٌ إضافة الأسماء المحضة، أي: من أعرض عن كتابي ولم يَتْلُه، ولم يتدبره، ولم يعمل به، ولم يفهمه = فإن حياته ومعيشته لا تكون إلا مُضَيَّقةً عليه، مُنكَّدة، مُعذَّبًا فيها.

والضَّنْكُ: الضيق والشدة والبلاء، وَوصْفُ المعيشةِ نَفْسِها بالضنك مبالغةٌ، «وفُسِّرت هذه المعيشة بعذاب البرزخ، والصحيح: أنها تتناول معيشته في الدنيا، وعذابه في البرزخ؛ فإنه يكون في ضَنْكٍ في الحالَيْن، وهو شدة وجَهْدٌ وضِيق، وفي الآخرة يُنْسَىٰ في العذاب.

وهذا عكسُ أهل السعادة والفلاح؛ فإن حياتهم في الدنيا أطيب الحياة، وفي البرزخ، ولهم في الآخرة أفضل الثواب، قال تعالىٰ: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ﴾ [النحل:٩٧] فهذا في الدنيا، ثم قال: ﴿ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ [النحل:٩٧] فهذا في البرزخ والآخرة.

وقال تعالىٰ: ﴿ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ فِي ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُواْ لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَلَأَجْرُ ٱلْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ﴾ [النحل:٤١]، وقال تعالىٰ: ﴿ وَأَنِ ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ﴾ [هود:٣] فهذا في الدنيا، ثم قال: ﴿وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُۥ ﴾ [هود:٣].

وقال تعالىٰ: ﴿ قُلْ يَٰعِبَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْ لِلَّذِينَ أَحْسَنُواْ فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَأَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٌ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ [الزمر:١٠].

فهذه أربعة مواضع ذكر الله تعالىٰ فيها أنه يَجْزِي المحسن بإحسانه جزائين: جزاءً في الدنيا، وجزاءً في الآخرة. فالإحسانُ له جزاءٌ مُعَجَّلٌ ولابُدّ، والإساءة لها جزاءٌ مُعَجَّلٌ ولا بُدّ.

ولو لم يكن إلا ما يُجَازىٰ به المُحْسِنُ: من انشراح صدره، وانفساح قلبه، وسروره، ولذته بمعاملة ربه ﷻ، وطاعته، وذكره، ونعيم روحه بمحبته وذكره، وفرحه بربه سبحانه وتعالىٰ أعظم مما يفرح القريب من السلطان الكريم عليه بسلطانه.

وما يُجَازىٰ به المسيء: مِنْ ضيق الصدر، وقسوة القلب، وتَشَتُّتِه، وظُلْمَتِه، وحزازاته، وغمه، وهمه، وحزنه، وخوفه، وهذا أمر لا يكاد من له أدنىٰ حِسٍّ وحياة يرتابُ فيه، بل الغموم والهموم والأحزان والضيق عقوباتٌ عاجلة، ونارٌ دنيوية، وجهنَّمُ حاضرةٌ.

والإقبالُ علىٰ الله تعالىٰ، والإنابة إليه، والرضىٰ به وعنه، وامتلاء القلب من محبته، واللَّهج بذكره، والفرح والسرور بمعرفته = ثوابٌ عاجل، وجَنَّةٌ حاضرة، وعَيْشٌ لا نسبة لعيش الملوك إليه ألبتة.

وسمعت شيخ الإسلام ابن تيمية قدس الله روحه يقول: «إنّ في الدنيا جَنَّةً من لم يدخلها لا يدخل جنة الآخرة».

وقال لي مرة: «ما يصنع أعدائي بي؟!، أنا جنتي وبستاني في صدري، أين رُحْتُ فهي معي لا تفارقني، أنا حبسي خلوة، وقتلي شهادة، وإخراجي من بلدي سياحة».

وكان يقول في محبسه بالقلعة: «لو بذلت لهم ملء هذه القلعة ذهبًا ما عدل عندي شكر هذه النعمة»، أو قال: «ما جزيتهم علىٰ ما تسبَّبوا لي فيه من الخير»، ونحو هذا.

وكان يقول في سجوده وهو محبوس: «اللهم أعنِّي علىٰ ذكرك وشكرك وحسن عبادتك» ما شاء الله.

وقال لي مرة: «المحبوس من حُبِس قلبه عن ربه تعالىٰ، والمأسور من أسره هواه».

ولما أُدخِل إلىٰ القلعة وصار داخل سورها نظر إليه وقال: ﴿فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُۥ بَابُۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ﴾ [الحديد:١٣].

وعَلِمَ اللهُ ما رأيت أحدًا أطيب عيشًا منه قط، مع ما كان فيه من ضيق العيش، وخلاف الرفاهية والنعيم، بل ضِدِّها، ومع ما كان فيه من الحبس والتهديد والإرجاف، وهو مع ذلك من أطيب الناس عيشًا، وأشرحهم صدرًا، وأقواهم قلبًا، وأسرِّهم نفسًا، تلوح نضرة النعيم علىٰ وجهه.

وكنا إذا اشتد بنا الخوف، وساءت منا الظنون، وضاقت بنا الأرض = أتيناه، فما هو إلا أن نراه، ونسمع كلامه، فيذهب ذلك كله، وينقلب انشراحًا وقوةً ويقينًا وطمأنينةً.

فسبحان من أشهد عباده جنته قبل لقائه، وفتح لهم أبوابها في دار العمل، فأتاهم من رَوْحِها ونسيمها وطِيبها ما استفرغ قُواهم لطلبها، والمسابقة إليها.

وكان بعض العارفين يقول: «لو علم الملوك وأبناء الملوك ما نحن فيه لجالدونا عليه بالسيوف»(١).

---

(١) أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٧/ ٣٧٠)، والبيهقي في «الزهد» (٢/ ٨١) عن إبراهيم بن أدهم.

وقال آخر: «مساكينُ أهل الدنيا، خرجوا منها وما ذاقوا أطيب ما فيها! » قيل: وما أطيب ما فيها؟ قال: «محبةُ الله تعالىٰ ومعرفته وذِكره»، أو نحو هذا.

وقال آخر: «إنه لتمرُّ بالقلبِ أوقاتٌ يرقُص فيها طربًا».

وقال آخر: «إنه لتمرُّ بي أوقات أقول: إن كان أهل الجنة في مثل هذا إنهم لفي عَيْشٍ طيِّب».

فمحبةُ الله تعالىٰ، ومعرفته، ودوام ذكره، والسكون إليه، والطمأنينة إليه، وإفراده بالحب، والخوف، والرجاء، والتوكل، والمعاملة، بحيث يكون هو وحده المستولي علىٰ هموم العبد وعزماته وإرادته = هو جَنَّةُ الدنيا، والنعيم الذي لا يشبهه نعيم، وهو قرة عين المُحِبّين، وحياة العارفين.

وإنما تَقَرُّ أعين الناس بهم علىٰ حسب قرة أعينهم بالله ﷻ؛ فمن قَرَّتْ عينه بالله قَرَّتْ له كُلُّ عين، ومن لم تَقَرَّ عينه بالله تقطَّعت نفسه علىٰ الدنيا حسرات.

وإنما يصدِّق بهذه الأمور من في قلبه حياة، وأما ميت القلب فيوحِشُك، ثُمَّ فاسْتأنِسْ بغيبته ما أمكنك، فإنك لا يوحشك إلا حضوره عندك، فإذا ابتليت به، فأعطه ظاهرك، وتَرَحَّلْ عنه بقلبك، وفارقه بسرِّك، ولا تشتغل به عما هو أولىٰ بك.

واعلم أن الحسرة كلَّ الحسرة الاشتغالُ بمن لا يُجْدِي عليك الاشتغال به إلا فوت نصيبك وحظك من الله ﷻ، وانقطاعك عنه، وضياع وقتك عليك، وَشَتَاتِ قلبك عليك، وضعف عزيمتك، وتفرُّقِ همِّك.

فإذا بُلِيت بهذا -ولابُدَّ لك منه- فعامِل الله تعالىٰ فيه، واحتسب عليه ما أمكنك، وتقرَّب إلىٰ الله بمرضاته فيه، واجعل اجتماعك به مَتْجَرًا لك، لا تجعله خسارة، وكن معه كرجلٍ سائرٍ في طريقه عَرَضَ له رجلٌ وَقَفَهُ عن سيره، فاجْتَهِدْ أن تأخذه معك وتسير به، فَتَحْمِله ولا يحملك؛ فإن أبىٰ ولم تَلْقَ في سيره مطمعًا،

فلا تقف معه، بل اركب الدَّرْبَ ودَعْهُ ولا تلتفت إليه؛ فإنه قاطعُ طريقٍ، ولو كان من كان، فانْجُ بقلبك، وضِنَّ بيومك وليلتك، لا تغرب عليك الشمس قبل وصول المنزلة فَتُؤْخَذ، أو يطلع عليك الفجر وأنت في المنزلة فَيَسِيرَ الرِّفاقُ فتصبح وحدك، وأنَّىٰ لك بِلَحاقهم!.

الخامسة والثلاثون: أن الذكر يُسَيِّر العبدَ وهو قاعد علىٰ فراشه، وفي سوقه، وفي حال صحته وسقمه، وفي حال نعيمه ولذته، ومعاشه، وقيامه وقعوده واضطجاعه، وسفره وإقامته، فليس في الأعمال شيءٌ يَعُمُّ الأوقات والأحوال مثله، حتىٰ إنه يُسَيِّر العبدَ وهو نائمٌ علىٰ فراشه، فيسبق القائم مع الغفلة، فيصبح هذا وقد قطع الرَّكْبَ وهو مُسْتَلْقٍ علىٰ فراشه، ويصبح ذلك القائم الغافل في ساقَةِ الرَّكْبِ، وذلك فضلُ الله يؤتيه من يشاء.

وحُكِي عن رجل من العُبّاد: أنه نزل برجل من العُبّاد ضيفًا، فقام العابد ليله يصلي، وذلك الرجل مُسْتَلْقٍ علىٰ فراشه، فلما أصبحا قال له العابد: سبقك الرَّكْبُ، أو كما قال، فقال: ليس الشأنُ فيمن بات ليله مسافرًا وأصبح مع الرَّكْبِ، الشأنُ فيمن بات علىٰ فراشه وأصبح قد قطع الرَّكْبَ!.

وهذا ونحوه له محملٌ صحيح، ومحملٌ فاسد؛ فمن حمله علىٰ أنّ الراقد المضطجع علىٰ فراشه يسبق القائم القانت، فهو باطل، وإنما مَحْمَلُه أن هذا المستلقي علىٰ فراشه عَلَّقَ قلبه بربه ﷻ، وألصق حَبَّةَ قلبه بالعرش، وبات قلبه يطوف حول العرش مع الملائكة، قد غاب عن الدنيا وما فيها، وقد عاقه عن قيام الليل عائقٌ من وَجَعٍ أو بَرْدٍ يمنع القيام، أو خوفٍ علىٰ نفسه من رؤية عدوٍّ يطلبه، أو غير ذلك من الأعذار، فهو مُسْتَلْقٍ علىٰ فراشه، وفي قلبه ما الله أعلمُ به.

وآخرُ قائم يصلي ويتلو، وفي قلبه من الرياء والعُجْبِ، وطلبِ الجاه والمَحْمَدة عند الناس ما الله به عليم، أو قلبه في وادٍ وجسمه في وادٍ، فلا ريب أن ذلك الراقد

يصبح وقد سبق هذا القائم بمراحل كثيرة، فالعمل علىٰ القلوب، لا علىٰ الأبدان، والمعوَّل علىٰ الساكن، لا علىٰ الأطلال، والاعتبار بالمحرِّك الأوّل، فالذكر يُثِير العزم الساكن، ويهيِّج الحُبَّ المتواري، ويبعث الطلب الميِّت.

السادسة والثلاثون: أن الذِّكر نورٌ للذاكر في الدنيا، ونورٌ له في قبره، ونورٌ له في معاده، يسعىٰ بين يديه علىٰ الصراط، فما استنارت القلوب والقبور بمثل ذكر الله تعالىٰ.

قال الله تعالىٰ: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا﴾ [الأنعام:١٢٢]، فالأول هو المؤمن استنار بالإيمان بالله ومحبته ومعرفته وذكره، والآخر هو الغافل عن الله تعالىٰ، المعرض عن ذكره ومحبته.

والشأنُ كلُّ الشأنِ، والفلاحُ كلُّ الفلاحِ في النور، والشقاءُ كلُّ الشقاءِ في فواته.

ولهذا كان النبي ﷺ يبالغ في سؤاله ربه تبارك وتعالىٰ حين يسأله أن يجعله في لحمه، وعظامه، وعصبه، وشعره، وَبَشَره، وسمعه، وبصره، ومن فوقه، ومن تحته، وعن يمينه، وعن شماله، وخلفه، وأمامه، حتىٰ يقول: «**واجعلني نورًا**»(١).

فسأل ربه تبارك وتعالىٰ أن يجعل النور في ذاته الظاهرة والباطنة، وأن يجعله محيطًا به من جميع جهاته، وأن يجعل ذاته وجُمْلَته نورًا.

فدينُ الله ﷻ نورٌ، وكتابه نورٌ، وداره التي أعدها لأوليائه نورٌ يتلألأ، وهو تبارك وتعالىٰ نور السموات والأرض، ومن أسمائه النور، والظلماتُ أشرقت لنور وجهه.

وفي دعاء النبي ﷺ يوم الطائف: «**أعوذ بِنُورِ وَجْهِك الذي أَشْرَقَتْ له الظُّلُمات، وصَلَح عليه أَمْرُ الدنيا والآخرة = أَنْ يَحِلَّ عليَّ غَضَبُك، أو يَنْزِلَ بي سَخَطُك، لك العُتْبىٰ حتىٰ تَرْضىٰ، ولا حول ولا قوة إلّا بك**»(٢).

---

(١) أخرجه مسلم (٧٦٣/ ١٨٧) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) أخرجه الطبراني في «الدعاء» (٢/ ١٢٨٠)، وابن عدي في «الكامل» (٦/ ١١١)، بإسناد حسن.

وقال ابن مسعود رضي الله عنه: «ليس عند ربِّكم ليلٌ ولا نهار، نورُ السموات والأرض من نور وجهه»[١].

وفي بعض ألفاظ هذا الأثر: «نور السماوات والأرض من نور وجهه». ذكره عثمان الدارمي[٢].

وقد قال تعالىٰ: ﴿وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا﴾ [الزمر:٦٩].

فإذا جاء تبارك وتعالىٰ يوم القيامة للفصل بين عباده، أشرقت بنوره الأرض، وليس إشراقها يومئذ بشمسٍ ولا قمر؛ فإن الشمس تُكوَّر، والقمر يخسف، ويَذْهَبُ نورُهما، وحجابُه تبارك وتعالىٰ النور.

قال أبو موسىٰ: قام فينا رسول الله ﷺ بخمس كلماتٍ فقال: «**إن الله لا ينام، ولا ينبغي له أن ينام، يَخْفِضُ القِسْط ويَرْفَعُه، يُرْفَعُ إليه عمل الليلِ قبل عمل النَّهار، وعملُ النهارِ قبل عملِ الليل، حِجابُه النُّور، لو كشفه لأحْرَقَتْ سُبُحَاتُ وجهه ما انتهىٰ إليه بَصَرُه مِن خَلْقِه**». ثم قرأ: ﴿أَنۢ بُورِكَ مَن فِى ٱلنَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ [النمل:٨][٣].

فاستنارة ذلك الحجاب بنور وجهه، ولولاه لأحرقت سبحات وجهه ونوره ما انتهىٰ إليه بصره.

ولهذا لما تجلىٰ تبارك وتعالىٰ للجبل، وكشف من الحجاب شيئًا يسيرًا، ساخ الجبل في الأرض، وتدكدك، ولم يقم لربه تبارك وتعالىٰ.

---

(١) أخرجه الطبراني في «الكبير» (٩/ ١٧٩)، وأبو الشيخ في «العظمة» (٢/ ٤٧٧)، والبيهقي في «الأسماء والصفات» (٢/ ١١١) وغيرهم بإسنادٍ ضعيف.

(٢) «نقض عثمان بن سعيد علىٰ المريسي الجهميّ العنيد» (١١٤). وأبو داود في «الزهد» (١٦٨) بالإسناد السابق.

(٣) أخرجه مسلم (١٧٩) إلاّ قراءة أبي عبيدة (الراوي عن أبي موسىٰ) للآية؛ فإنها عند أحمد (٦/ ٦٠٩)، والطيالسي (١/ ٣٩٦) وغيرهما.

وهذا معنىٰ قول ابن عباس في قوله سبحانه وتعالىٰ: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ [الأنعام:١٠٣] قال: «ذلك الله ﷻ، إذا تجلىٰ بنوره لم يقم له شيء»[1].

وهذا من بديع فَهْمِه رضي الله تعالىٰ عنه، ودقيقِ فِطْنَتِه، وكيف لا وقد دعا له رسول الله ﷺ أن يعلِّمه الله التأويل؟!.

فالربُّ تبارك وتعالىٰ يُرَىٰ يوم القيامة بالأبصار عيانًا، ولكنْ يستحيل إدراك الأبصار له وإن رأته؛ فالإدراكُ أمرٌ وراء الرؤية، وهذه الشمس -ولله المثل الأعلىٰ- نراها ولا ندركها كما هي عليه، ولا قريبًا من ذلك؛ ولذلك قال ابن عباس لمن سأله عن الرؤية وأورد عليه ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾، فقال: ألستَ ترىٰ السماء؟ قال: بلىٰ، قال: أفتدركها؟ قال: لا، قال: فالله تعالىٰ أعظم وأجلُّ[2].

وقد ضرب الله سبحانه وتعالىٰ لنوره في قلب عبده مثلًا لا يعقله إلا العالمون، فقال سبحانه وتعالىٰ: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ۖ ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ ۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِىٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ ۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ ۗ يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَٰلَ لِلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ [النور:٣٥].

قال أبيُّ بنُ كعب: «مَثَلُ نُورِه في قلب المسلم»[3].

---

(١) أخرجه الترمذي (٣٢٧٩)، وابن أبي عاصم في «السنة» (١/ ٣٠٨ - ٣٠٩)، وابن خزيمة في «التوحيد» (٢/ ٤٨١ - ٤٨٣)، وغيرهم، قال الترمذي: «هذا حديث حسن غريب».

(٢) لم أقف عليه. وورد نحوه عن عكرمة عند الطبريّ في «التفسير» (٢٢/ ٥١٣)، وابن أبي عاصم في «السنة» (١/ ٣٠٧).

(٣) ورد قريبٌ منه عن ابن عباس رضي الله عنهما، أخرجه الطبريُّ (١٩/ ١٧٩).

وأخرج عن أبيّ بن كعب رضي الله عنه أنه كان يقول في قوله تعالىٰ: ﴿مَثَلُ نُورِهِۦ﴾: «ذَكَر نور المؤمن فقال: مثل نوره، يقول: مثل نور المؤمن». فجعل الضمير في «نوره» يعود علىٰ المؤمن، وهذا يخالف اختيار المصنّف، ففي نسبة المصنف هذا القول إلىٰ أبي بن كعب نظر؛ بل هو لابن مسعود قراءةً، ولابن عباس وغيره قولًا ورواية. وينظر: حاشية الجواب الصحيح (٣/ ٢٣٩).

وهذا هو النور الذي أودعه في قلبه مِنْ معرفته ومحبته والإيمان به وذكره، وهو نوره الذي أنزله إليهم، فأحياهم به، وجعلهم يمشون به بين الناس، وأصلُه في قلوبهم، ثم تَقْوَىٰ مادته، وتتزايد حتىٰ تظهر علىٰ وجوههم وجوارحهم وأبدانهم، بل وثيابهم ودُورهم، يُبْصِرُه مَنْ هو مِنْ جنسهم، وسائر الخلق له منكرون.

فإذا كان يوم القيامة برز ذلك النور، وصار بأيمانهم يسعىٰ بين أيديهم في ظلمة الجِسْر حتىٰ يقطعوه، وهم فيه علىٰ حسب قوته وضعفه في قلوبهم في الدنيا، فمنهم من نوره كالشمس، وآخر كالقمر، وآخر كالنجم، وآخر كالسراج، وآخر يُعْطَىٰ نورًا علىٰ إبهام قدمه، يضيء مرة ويطفأ أخرىٰ، إذا كانت هذه حال نوره في الدنيا، فأُعْطِيَ علىٰ الجسر بمقدار ذلك، بل هو نفس نوره ظهر له عيانًا، ولما لم يكن للمنافق نور ثابت في الدنيا، بل كان نوره ظاهرًا، لا باطنًا = أُعطِي نورًا ظاهرًا مآله إلىٰ الظلمة والذَّهاب.

وضرب الله ﷻ لهذا النور، ومحلِّه، وحامله، ومادته مثلًا بالمشكاة، وهي الكُوَّة في الحائط، فهي مثل الصَّدْرِ، وفي تلك المشكاة زجاجة من أصفىٰ الزجاج، وحتىٰ شُبِّهت بالكوكب الدُّرِّيِّ في بياضه وصفائه، وهي مثل القلب، وشُبِّه بالزجاجة لأنها جمعت أوصافًا هي في قلب المؤمن، وهي: الصفاء، والرقة، والصلابة، فيرىٰ الحق والهدىٰ بصفائه، وتحصل منه الرأفة والرحمة والشفقة بِرقَّتِه، ويجاهد أعداء الله تعالىٰ، ويغلظ عليهم، ويشتد في الحق، ويصلب فيه بصلابته، فلا تُبْطِل صفةٌ منه صفةً أخرىٰ، ولا تعاديها، بل تساعدها وتُعاضِدُها، ﴿أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ﴾ [الفتح:٢٩]، وقال تعالىٰ: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ﴾ [آل عمران:١٥٩]، وقال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ﴾ [التوبة:٧٣].

وفي أثرٍ: «القُلوبُ آنيةُ الله تعالىٰ في أرْضه، فأَحَبُّها إليْهِ أرَقُّها، وَأَصْلَبُها، وَأَصْفَاها»(١).

(١) أخرجه الطبرانيُّ في «مسند الشاميين» (٢/ ١٩) عن أبي عنبة الخولاني مرفوعًا، وجوَّد إسنادَه العراقيُّ.

وبإزاء هذا القلب قلبان مذمومان في طرفي نقيض:

أحدهما: قلبٌ حَجَرِيٌّ قاسٍ لا رحمة فيه، ولا إحسان ولا بِرّ، ولا له صفاء يَرَىٰ به الحق، بل هو جبارٌ جاهل، لا عالمٌ بالحق، ولا راحمٌ للخلق.

وبإزائه قلبٌ ضعيف مائيّ، لا قوة فيه، ولا استمساك، بل يَقْبَل كل صورة، وليس له قوة حفظ تلك الصُّور، ولا قوة التأثير في غيره، وكلُّ ما خالطه أثَّر فيه، من قويٍّ وضعيف، وطيِّبٍ وخبيث.

وفي الزجاجة مصباح، وهو النور الذي في الفتيلة، وهي حاملته، ولذلك النورِ مادّةٌ، وهي زيتٌ قد عُصِر من زيتونةٍ في أعدل الأماكن، تصيبها الشمس أول النهار وآخره، فزيتُها من أصفىٰ الزيت وأبعده من الكدر، حتىٰ إنه ليكاد من صفائه يضيء بلا نار، فهذه مادة نور المصباح.

وكذلك مادة نور المصباح الذي في قلب المؤمن، هو من شجرة الوحي التي هي أعظم الأشياء بركة، وأبعدها من الانحراف، بل هي أوسط الأمور وأعدلها وأفضلها، لم تنحرف انحراف النصرانية، ولا انحراف اليهودية، بل هي وسط بين الطرفين المذمومَيْن في كل شيء، فهذه مادة مصباح الإيمان في قلب المؤمن.

ولما كان ذلك الزيت قد اشتد صفاؤه حتىٰ كاد أن يضيء بنفسه، ثم خالط النار، فاشتدت بها إضاءته، وقويت مادةُ ضوءِ النار به = كان ذلك نورًا علىٰ نور.

وهكذا المؤمن قلبه مضيء يكاد يعرف الحق بفطرته وعقله، ولكنْ لا مادة له من نفسه، فجاءت مادة الوحي فباشرت قلبه، وخالطت بشاشته، فازداد نورًا بالوحي علىٰ نوره الذي فطره الله تعالىٰ عليه، فاجتمع له نور الوحي إلىٰ نور الفطرة، نورٌ علىٰ نور، فيكاد ينطق بالحق وإن لم يسمع فيه أثرًا، ثم يسمع الأثر مطابقًا لما شهدت به فطرته، فيكون نورًا علىٰ نور، فهذا شأن المؤمن يدرك الحق بفطرته مجملًا، ثم

يسمع الأثر جاء به مفصلًا، فينشأ إيمانه عن شهادة الوحي والفطرة.

فليتأمل اللبيب هذه الآية العظيمة، ومطابقتها لهذه المعاني الشريفة، فَذَكَر سبحانه وتعالىٰ نورَه في السماوات والأرض، ونورَه في قلوب عباده المؤمنين، النورَ المعقولَ المشهودَ بالبصائر والقلوب، الذي استنارت به البصائرُ والقلوبُ، والنورَ المحسوسَ المشهود بالأبصارِ، الذي استنارت به أقطار العالم العُلْوي والسُّفْلِي، فهما نوران عظيمان، وأَحدهما أعظم من الآخر.

وكما أنه إذا فُقِد أحدهما من مكان أو موضع، لم يَعِشْ فيه آدميٌّ ولا غيرُه؛ لأن الحيوان إنما يتكوَّن حيثُ النور، ومواضعُ الظلمة التي لا يشرق عليها نورٌ لا يعيشُ فيها حيوانٌ، ولا يتكوَّنُ ألبتة = فكذلك أمة فُقِد منها نور الوحي والإيمان، وقلبٌ فُقِد منه هذا النور ميّتٌ ولابُدّ، لا حياة له ألبتة، كما لا حياة للحيوان في مكانٍ لا نور فيه.

والله سبحانه وتعالىٰ يَقْرِنُ بين الحياة والنور، كما في قوله ﷻ: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا﴾ [الأنعام:١٢٢]، وكذلك قوله ﷻ: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا﴾ [الشورىٰ:٥٢].

وقد قيل: إن الضمير في «جعلناه» عائد إلىٰ الأمر، وقيل: إلىٰ الكتاب، وقيل: إلىٰ الإيمان، والصواب: أنه عائد إلىٰ الروح، أي: جعلنا ذلك الروح الذي أوحيناه إليك نورًا، فسمّاه رُوحًا لما يحصل به من الحياة، وجعله نورًا لما يحصل به من الإشراق والإضاءة، وهما متلازمان، فحيث وُجِدت هذه الحياة بهذا الروح وُجِدت الإضاءة والاستنارة، وحيث وُجِدت الاستنارة والإضاءة وُجِدت الحياة، فمن لم يقبل قلبه هذا الروح فهو ميّت مظلم، كما أن من فارق بدنَه روحُ الحياة فهو هالك مُضْمَحِلّ.

فلهذا يضرب سبحانه وتعالىٰ المثلين: المائيّ والناريّ معًا؛ لما يحصل بالماء

من الحياة، وبالنار من الإشراق والنور، كما ضرب ذلك في أول سورة البقرة في قوله تعالىٰ: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّآ أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُۥ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِى ظُلُمَٰتٍ لَّا يُبْصِرُونَ﴾ [البقرة:١٧].

وقال: ﴿ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ﴾ ولم يقل: بنارهم؛ لأن النار فيها الإحراق والإشراق، فذهب بما فيه الإضاءة والإشراق، وأبقىٰ عليهم ما فيه الأذىٰ والإحراق.

وكذلك حال المنافقين: ذهب نور إيمانهم بالنفاق، وبقي حرارة الكفر والشكوك والشبهات تغلي في قلوبِهم، وقلوبُهم قد صلِيَتْ بحرِّها وأذاها وسمومها وَوَهَجِها في الدنيا، فأصلاها الله تعالىٰ إياها يوم القيامة نارًا موقدةً تطَّلع علىٰ الأفئدة.

فهذا مَثَلُ من لم يَصْحَبْهُ نور الإيمان في الدنيا، بل خرج منه وفارقه بعد أن استضاء به، وهو حال المنافق، عَرَفَ ثم أنكر، وأقر ثم جحد، فهو في ظلماتٍ أصمُّ أبكمُ أعمىٰ، كما قال تعالىٰ في حق إخوانهم من الكفّار: ﴿وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا صُمٌّ وَبُكْمٌ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ﴾ [الأنعام:٣٩]، وقال تعالىٰ: ﴿وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ كَمَثَلِ ٱلَّذِى يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَآءً وَنِدَآءً ۚ صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [البقرة:١٧١].

وشَبَّه تعالىٰ حال المنافقين في خروجهم من النور بعد أن أضاء لهم بحالِ مُسْتَوقِدِ النار وذهاب نورها عنه بعد أن أضاءت ما حوله؛ لأن المنافقين بمخالطتهم المسلمين، وصلاتهم معهم، وصيامهم معهم، وسماعهم القرآن، ومشاهدتهم أعلام الإسلام ومناره، قد شاهدوا الضوء، ورأوا النور عيانًا؛ ولهذا قال تعالىٰ في حقهم: ﴿فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ [البقرة:١٨]؛ لأنهم فارقوا الإسلام بعد أن تلبَّسوا به، واستناروا به فهم لا يرجعون إليه.

وقال تعالىٰ في حق الكفار: ﴿فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾؛ لأنهم لم يعقلوا الإسلام، ولا دخلوا فيه، ولا استناروا به، بل لم يزالوا في ظلمات الكفر، صمٌّ بكمٌ عُمي.

فسبحان من جعل كلامه لأدواء الصدور شافيًا، وإلىٰ الإيمان وحقائقه مناديًا، وإلىٰ الحياة الأبديةِ والنعيم المقيم داعيًا، وإلىٰ طريق الرشاد هاديًا.

لقد أسمع منادي الإيمان لو صادف آذانًا واعية، وَشَفَتْ مواعظُ القرآن لو وافقت قلوبًا من غَيِّها خالية، ولكن عَصَفَتْ علىٰ القلوب أهوية الشبهات والشهوات فأطفأت مصابيحها، وتمكنت منها أيدي الغفلة والجهالة فأغلقت أبواب رشدها، وأضاعت مفاتيحها، وران عليها كسبُها فلم ينفع فيها الكلام، وسَكِرَتْ بشهوات الغيِّ وشبهات الباطل فلم تُصْغِ بعده إلىٰ الملام، وَوُعِظَتْ بمواعظ أنكىٰ فيها من الأسِنَّة والسِّهام، ولكنْ ماتت في بحر الجهل والغفلة، وأَسْرِ الهوىٰ والشهوة، و«ما لِجُرْحٍ بميِّتٍ إيلام».

ص(١٢٨)

فصل

والمثلُ الثاني المائيُّ قوله تعالىٰ: ﴿ أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فِيهِ ظُلُمَٰتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِم مِّنَ ٱلصَّوَٰعِقِ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ ۚ وَٱللَّهُ مُحِيطٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ [البقرة:١٩].

الصَّيِّبُ: المطر الذي يَصُوبُ من السماء، أي: ينزل منها بسرعة، وهو مَثَل القرآن الذي به حياة القلوب، كالمطر الذي به حياة الأرض والنبات والحيوان، فأدرك المؤمنون ذلك منه، وعلموا ما يحصل به من الحياة التي لا خطر لها، فلم يمنعهم منها ما فيه من الرعد والبرق، وهو الوعيد والتهديد، والعقوبات والمَثُلات التي حذر الله بها من خالف أمره، وأخبر أنه مُنْزِلُها بمن كذَّب رسوله ﷺ أو ما فيه من الأوامر الشديدة، كجهاد الأعداء، والصبر علىٰ اللأواء، والأوامر الشاقة علىٰ النفوس التي هي بخلاف إراداتها، فهي كالظلمات والرعد والبرق، ولكن مَنْ عَلِمَ مواقع الغيث وما يحصل به من الحياةِ لم يستوحش لما معه من الظلمة والرعد والبرق، بل يستأنس لذلك، ويفرح به لما يرجو من الحياة والخِصْب.

وأما المنافق فإنه لِعَمَىٰ قلبه لم يجاوز بصرُه الظلمةَ، ولم يَرَ إلّا برقًا يكاد يخطف البصر، ورعدًا عظيمًا وظلمة، فاستوحش من ذلك وخاف منه، فوضع أصابعه في أذنيه لئلا يسمع صوت الرعد، وهالَه مشاهدة ذلك البرق، وشدة لمعانه، وعِظَمُ نوره، فهو خائف أن يختطف معه بصره؛ لأن بصره أضعف من أن يثبت معه، فهو في ظلمةٍ يسمع أصوات الرعد القاصف، ويرىٰ ذلك البرق الخاطف، فإنْ أضاء له ما بين يديه مشىٰ في ضوئه، وإنْ فقد الضوء قام متحيِّرًا لا يدري أين يذهب، ولجهله لا يعلم أن ذلك من لوازم الصَّيِّبِ الذي به حياةُ الأرض والنبات، وحياتُه هو في نفسه، بل لا يدرك إلا رعدًا، وبرقًا، وظلمةً، ولا شعور له بما وراء ذلك، فالوحشةُ لازمةٌ له، والرعبُ والفزعُ لا يفارقه.

وأما من أَنِس بالصَّيِّب وعلم ما يحصل به من الخيرات والحياة والنفع، وعلم أنه لابُدّ فيه من رعدٍ وبرقٍ وظلمةٍ؛ بسبب الغيم = استأنس بذلك ولم يستوحش منه، ولم يَقْطَعْهُ ذلك عن أخذه بنصيبه من الصَّيِّب.

فهذا مَثَلٌ مُطابِقٌ للصَّيِّب الذي نزل به جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ من عند رب العالمين تبارك وتعالىٰ، علىٰ قلب رسول الله ﷺ؛ ليُحْيِيَ به القلوب والوجود أجمع، اقتضت حكمته أن يقارنه من الغيم والرعد والبرق ما يقارن الصَّيِّب المائيَّ، حكمةً بالغةً، وأسبابًا منتظمةً نظَّمها العزيز الحكيم.

فكان حظ المنافق من ذلك الصَّيِّب سحابُه ورُعُودُه وبُروقُه فقط، لم يعلم ما وراءه، فاستوحش بما أنس به المؤمنون، وارتاب بما اطمأن به العالمون، وشك فيما تيقَّنه المُبْصِرُون العارفون، فبصره في المثل الناري كبصر الخُفّاش في نحر الظهيرة، وسَمْعُه في المثل المائيّ كسَمْعِ من يموت من صوت الرعد. وقد ذُكِر عن بعض الحيوانات أنها تموت من صوت الرعد[1].

---

(١) منها «الخطّاف»، و«السّمان»، وهما طائران، ويقال للثاني: قتيل الرعد.

وإذا صادف هذه العقول والأسماع والأبصار شبهاتٌ شيطانية، وخيالاتٌ فاسدة، وظنونٌ كاذبة، جالت فيها وصالت، وقامت فيها وقعدت، واتسع فيها مجالها، وكَثُرَ بها قِيلُها وقالُها، فملأت الأسماع من هذيانها، والأرض من دويانها[1]، وما أكثر المستجيبين لهؤلاء، والقابلين منهم، والقائمين بدعوتهم، والمحامين عن حوزتهم، والمقاتلين تحت ألويتهم، والمُكَثِّرين لسوادهم عَددًا، وما أقلهم عند الله وأوليائه قدرًا.

ولعموم البلية بهم، وضرر القلوب بكلامهم، هتك الله أستارهم في كتابه غاية الهَتْك، وكشف أسرارهم غاية الكشف، وبَيَّن علاماتهم وأعمالهم وأقوالهم، ولم يزل ﷻ يقول: «ومنهم...»، «ومنهم...»، «ومنهم...» = حتىٰ انكشف أمرهم، وبانت حقائقهم، وظهرت أسرارهم.

وقد ذكر الله سبحانه وتعالىٰ في أول سورة البقرة أوصاف المؤمنين والكفار والمنافقين، فذكر في أوصاف المؤمنين ثلاث آيات، وفي أوصاف الكفار آيتين، وفي أوصاف هؤلاء بضع عشرة آية؛ لعموم الابتلاء بهم، وشدة المصيبة بمخالطتهم، فإنهم من الجَلَدة مظهرون الموافقة والمناصرة، بخلاف الكافر الذي قد نابذ بالعداوة، وأظهر السريرة، ودعاك -بما أظهره- إلىٰ منابذته ومفارقته.

ص(١٣٣)

فصل

ونظيرُ هذين المَثَلَيْن المثلان المذكوران في سورة الرعد في قوله تعالىٰ: ﴿ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَالَتۡ أَوۡدِيَةُۢ بِقَدَرِهَا فَٱحۡتَمَلَ ٱلسَّيۡلُ زَبَدًا رَّابِيًاۚ ﴾ [الرعد:١٧].

---

(١) في بعض النُّسخ: «دواوينها»، وهو محتملٌ؛ ليشمل كلامُه المسموع والمكتوب، فالمسموع مِلْء الأسماع، والمكتوب مِلْء الأرض. والدَّوِيُّ: الصّوت، ودَوِيُّ الرّيح حفيفُها، وكذلك دويُّ النّحل.

فهذا المثل هو المثل المائي، شبَّه سبحانه الوحي الذي أنزله بحياة القلوب، بالماء الذي أنزله من السماء، وشَبَّه القلوب الحاملة له بالأودية الحاملة للسيل.

فقلبٌ كبيرٌ يَسَعُ علمًا عظيمًا كوادٍ كبير يَسَعُ ماءً كثيرًا، وقلبٌ صغيرٌ كوادٍ صغيرٍ يَسَعُ علمًا قليلًا، فحَمَلَتِ القلوب من هذا العلم بقدرها، كما سالت الأودية بقدرها.

ولما كانت الأودية ومجاري السيول فيها الغُثاء ونحوه مما يمرُّ عليه السيل، فيحتمله السيلُ فيطفو علىٰ وجه الماء زبدًا عاليًا، يمرُّ عليه متراكبًا، ولكنّ تحته الماء الفرات الذي به حياة الأرض، فيقذف الوادي ذلك الغثاء إلىٰ جَنبَتَيْه حتىٰ لا يبقىٰ منه شيء، ويبقىٰ الماء الذي تحت الغثاء يسقي الله تعالىٰ به الأرض، فيُحْيِي به البلاد والعباد، والشجر والدواب، والغثاءُ يذهب جُفاءً يُجْفَىٰ، ويُطْرَح علىٰ شفير الوادي.

فكذلك العلم والإيمان الذي أنزله من السماء في القلوبِ، فاحْتَمَلَتْهُ، فأثار منها بسبب مخالطته لها ما فيها من غثاء الشهوات وزبَدِ الشبهات الماطلة، فطفا في أعلاها، واستقرَّ العلم والإيمان والهدىٰ في جَذْرِ القلب، وهو أصله ومستقره، كما قال النبي ﷺ: «**نزل الإيمان في جَذْرِ قلوب الرجال**»[1] . رواه البخاري من حديث حذيفة.

فلا يزال ذلك الغثاء والزَّبَدُ يذهب جفاءً، ويزول شيئًا فشيئًا، حتىٰ يزول كله، ويبقىٰ العلم النافع والإيمان الخالص في جَذْرِ القلب، يَرِدُه الناس، فيشربون ويسقون ويزرعون.

وفي «الصحيح» من حديث أبي موسىٰ عن النبي ﷺ قال: «**مَثَلُ ما بعَثَني الله تعالىٰ به من الهدىٰ والعلم، كَمَثَلِ غَيْثٍ أصاب أرضًا، فكان منها طائفةٌ طيِّبَةٌ قَبِلَتِ الماء فأَنْبَتَتِ الكَلأَ والعُشْبَ الكثير، وكان منها طائفةٌ أجادِبُ أَمْسَكَت الماءَ فَسَقىٰ**

(١) أخرجه البخاري (٦٤٩٧، ٧٠٨٦، ٧٢٧٦)، ومسلم (١٤٣). وهو عندهما جميعًا بلفظ: «الأمانة» بدل «الإيمان».

النَّاسُ وزَرَعُوا، وأصاب منها طائفة أخرىٰ إنما هي قِيعَانٌ، لا تُمْسِكُ مَاءً، ولا تُنْبِتُ كلأً، فذلك مَثَلُ من فَقُهَ في دين الله تعالىٰ، ونفعه بما بعثني الله به، فَعَلِمَ وَعَلَّمَ، ومَثَلُ من لم يرفع بذلك رأسًا، ولم يقبل هُدىٰ اللهِ الذي أُرْسِلْتُ به»[1].

فجعل النبيُّ ﷺ الناسَ بالنسبة إلىٰ الهدىٰ والعلم ثلاث طبقات:

الطبقة الأولىٰ: ورثة الرسل وخلفاء الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وهم الذين قاموا بالدين علمًا وعملًا ودعوةً إلىٰ الله ﷻ ورسوله ﷺ، فهؤلاء أتباع الرسول صلوات الله عليه وسلامه حقًّا، وهم بمنزلة الطائفة الطيبة من الأرض التي زَكَت، فقبلت الماء، فأنبتت الكلأ والعشب الكثير، فَزَكَتْ في نفسها، وزكا الناسُ بها.

وهؤلاء هم الذين جمعوا بين البصيرة في الدين والقوة علىٰ الدعوة، ولذلك كانوا ورثة الأنبياء صلىٰ الله عليهم وسلم الذين قال الله تعالىٰ فيهم: ﴿ وَٱذْكُرْ عِبَٰدَنَآ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ أُو۟لِى ٱلْأَيْدِى وَٱلْأَبْصَٰرِ ﴾ [ص:٤٥]، فالأيدي: القوةُ في أمر الله، والأبصار: البصائر في دين الله ﷻ، فبالبصائر يُدْرَكُ الحق ويُعْرَف، وبالقوة يُتَمَكَّنُ من تبليغه وتنفيذه والدعوة إليه، فهذه الطبقة كان لها قُوّةُ الحفظ والفهم والفقه في الدين، والبصر بالتأويل، ففجَّرت من النصوص أنهار العلوم، واستنبطت منها كنوزها، ورُزِقَتْ فيها فهمًا خاصًّا، كما قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه -وقد سُئل-: هل خصَّكم رسول الله ﷺ بشيءٍ دون الناس؟ فقال: لا والذي فَلَقَ الحَبَّة وَبَرَأ النَّسَمَة، إلّا فهمًا يؤتيه الله عبدًا في كتابه[2].

فهذا الفهم هو بمنزلة الكلأ والعشب الكثير الذي أنبتته الأرض، وهو الذي تميزت به هذه الطبقة عن:

---

(١) أخرجه البخاري (٧٩)، ومسلم (٢٢٨٢).

(٢) أخرجه البخاري (٣٠٤٧).

الطبقة الثانية: فإنها حفظت النصوص، وكان هَمُّها حفظها وضبطها، فوردها الناس وتَلَقَّوْها منهم، فاستنبطوا منها، واستخرجوا كنوزها، واتَّجروا فيها، وبذروها في أرضٍ قابلةٍ للزرع والنبات، فاستخرجوا غوامضها وأسرارها، ووردوها كلٌّ بِحَسَبِه ﴿قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ﴾ [البقرة: ٦٠].

وهؤلاء هم الذين قال فيهم النبي ﷺ: «**نَضَّرَ اللهُ امْرَءًا سَمِع مقالتي فوعاها، فأدَّاها كما سمِعَها، فَرُبَّ حامل فِقْهٍ غير فَقِيهٍ، ورُبَّ حامِلِ فقهٍ إلىٰ من هو أفْقَهُ مِنْه**»(١).

وهذا عبد الله بن عباس حَبْر الأمة وترجمان القرآن، مقدار ما سمع من النبي ﷺ لم يبلغ نحو العشرين حديثًا الذي يقول فيه: «سمعت» و«رأيت»، وسمع الكثير من الصحابة، وبُورِك في فهمه والاستنباط منه حتىٰ ملأ الدنيا علمًا وفقهًا.

قال أبو محمد بن حزم: وجُمِعَتْ فتاويه في سبعة أسفار كبار.

وهي بحسب ما بلغ جامعَها، وإلا فعلم ابن عباس كالبحر، وفقهه واستنباطه وفهمه في القرآن بالموضع الذي فاق به الناس، وقد سَمِع كما سمعوا، وحفظ كما حفظوا، ولكنّ أرضه كانت من أطيب الأراضي وأَقْبَلِها للزرع، فبذر فيها النصوص، فأنبتت من كل زوج كريم: ﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [الجمعة: ٤].

وأين تقع فتاوىٰ ابن عباس، وتفسيره، واستنباطه، من فتاوىٰ أبي هريرة وتفسيره؟! وأبو هريرة أحفظ منه، بل هو حافظ الأمة علىٰ الإطلاق، يُؤَدِّي الحديث كما سمعه، ويَدْرُسُه بالليل درسًا، فكانت هِمَّته مصروفة إلىٰ الحفظ وتبليغ ما حفظه كما سمعه، وهِمَّةُ ابن عباس مصروفة إلىٰ التفقُّه والاستنباط، وتفجير النصوص، وشق الأنهار منها، واستخراج كنوزها.

(١) أخرجه الترمذي (٢٦٥٧)، وابن ماجه (٢٣٢)، وأحمد (٢/ ١٤٨)، وغيرهم عن ابن مسعود رضي الله عنه.
قال الترمذي: «هذا حديث حسن صحيح».

وهكذا الناس بعده قسمان:

قسْمٌ حفاظٌ معتنون بالضبط، والحفظ، والأداء، كما سمعوا، ولا يستنبطون ولا يستخرجون كنوز ما حفظوه.

وقِسْمٌ معتنون بالاستنباط واستخراج الأحكام من النصوص، والتّفقُّه فيها.

فالأول كأبي زرعة، وأبي حاتم، وابن وارة.

وقبلهم: كبُنْدار محمد بن بشار، وعمرو الناقد، وعبد الرزاق.

وقبلهم: كمحمد بن جعفر غندر، وسعيد بن أبي عَرُوبة، وغيرهم من أهل الحفظ والإتقان والضبط لما سمعوه، مِنْ غير استنباطٍ وتَصَرُّفٍ، واستخراج الأحكام من ألفاظ النصوص.

والقسم الثاني: كمالك، والليث، وسفيان، وابن المبارك، والشافعي، والأوزاعي، وإسحاق، وأحمد بن حنبل، والبخاري، وأبي داود، ومحمد بن نصر المروزي، وأمثالهم ممن جمع الاستنباط والفقه إلىٰ الرواية.

فهاتان الطائفتان هما أسعد الخلق بما بعث الله تعالىٰ به رسوله ﷺ، وهم الذين قبلوه ورفعوا به رأسًا.

وأما الطائفة الثالثة: وهم أشقىٰ الخلق، الذين لم يقبلوا هدىٰ الله ولم يرفعوا به رأسًا، فلا حِفْظَ، ولا فَهْمَ، ولا رواية، ولا دراية، ولا رعاية.

فالطبقة الأولىٰ: أهل رواية ورعاية ودراية.

والطبقة الثانية: أهل رواية ورعاية، ولهم نصيب من الدراية، بل حظهم من الرواية أوفر.

والطبقة الثالثة: الأشقياء، لا رواية، ولا دراية، ولا رعاية. ﴿إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ [الفرقان:٤٤] فهم الذين يضيّقون الديار، ويُغلون الأسعار، إنْ

هَمُّ أحدِهم إلا بطنُه وفرجه، فإن ترقَّتْ هِمَّتهُ فوق ذلك كان همُّه -مع ذلك- في لباسه وزينته، فإن ترقَّتْ هِمَّته فوق ذلك كان في داره وبستانه ومركوبه، فإن ترقَّتْ هِمَّته فوق ذلك، كان هَمُّه في الرياسة والانتصار للنفس الكلبيَّة، فإن ارتفعت هِمَّته عن نصرة النَّفس الكلبيَّة، كان همُّه في نصرة النفس السَّبُعيَّة.

وأمّا النفس المَلَكِيّة فلم يُعْطَها أحدٌ من هؤلاء.

فإنّ النفوس ثلاثة: كلبيّة وسَبُعِيّة، ومَلَكية.

فالكلبيّة: تقنع بالعَظْمِ، والكِسْرة، والجِيفة، والعَذِرَة.

والسَّبُعيَّة: لا تقنع بذلك، بل بقهر النفوس، والاستعلاء عليها بالحق والباطل.

وأما المَلَكِيّة: فقد ارتفعت عن ذلك، وشمَّرت إلىٰ الرفيق الأعلىٰ، فهِمَّتُها العلم والإيمان، ومحبة الله تعالىٰ، والإنابة إليه، والطمأنينة به، والسكون إليه، وإيثار محبته ومرضاته، وإنما تأخذ من الدنيا ما تأخذه لتستعين به علىٰ الوصول إلىٰ فاطرها وربِّها ووليِّها، لا لتنقطع به عنه.

فصل

ص(١٤٣)

ثم ضرب الله سبحانه وتعالىٰ مثلًا ثانيًا، وهو المثل الناريّ، فقال: ﴿وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي ٱلنَّارِ ٱبْتِغَآءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَٰعٍ زَبَدٌ مِّثْلُهُۥ﴾ [الرعد:١٧]، وهذا كالحديد، والنحاس، والفضة، والذهب، وغيرها، فإنها تدخل الكِير لِتُمَحَّص وتُخَلَّص من الخَبَث، فيخرج خَبَثُها فيُرْمَىٰ به ويُطْرَح، ويبقىٰ خالصها، فهو الذي ينفع الناس.

ولما ضرب الله سبحانه وتعالىٰ هذين المثلين ذكر حُكْمَ من استجاب له ورفع بهداه رأسًا، وَحُكْمَ من لم يستجب له، ولم يرفع بهداه رأسًا: فقال: ﴿لِلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِرَبِّهِمُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَٱلَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَهُۥ لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لَٱفْتَدَوْا۟ بِهِۦٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ سُوٓءُ ٱلْحِسَابِ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ﴾ [الرعد:١٨].

والمقصود أن الله تعالىٰ جعل الحياة حيث النور، والموت حيث الظلمة، فحياة الوجودَيْن الروحيِّ والجسميِّ بالنور، وهو مادة الحياة، كما أنّه مادة الإضاءة، فلا حياة بدونه، كما لا إضاءة بدونه، وكما أنه به حياة القلب، فَبِه انفساحه وانشراحه وَسَعَتُه، كما في الترمذيّ[1] عن النبي ﷺ أنه قال: «**إذا دخل النُّور القَلْبَ انْفَسَح وانْشَرَح**» قالوا: وما علامة ذلك؟ قال: «**الإنابةُ إلىٰ دارِ الخُلود، والتَّجافي عن دار الغُرور، والاستعدادُ للموت قَبْلَ نُزُوله**»[2].

ونورُ العبد هو الذي يُصْعِدُ عَمَلَه وكَلِمَهُ إلىٰ الله تعالىٰ، فإن الله تعالىٰ لا يَصْعد إليه من الكلم إلا الطَّيِّب -وهو نورٌ، ومصدرُه عن النور-، ولا من العمل إلا الصالح، ولا من الأرواح إلا الطَّيِّبة، وهي أرواح المؤمنين التي استنارت بالنور الذي أنزله علىٰ رسوله ﷺ، والملائكةُ الذين خلقوا من نور، كما في «صحيح مسلم» عن عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ قال: «**خُلِقَت الملائكة مِنْ نُورٍ، وخُلِقَتِ الشَّياطينُ مِنْ نارٍ، وخُلِق آدمُ مِمَّا وُصِفَ لكم**»[3].

فلما كانت مادة الملائكة من نورٍ كانوا هم الذين يَعْرُجُون إلىٰ ربهم تبارك وتعالىٰ، وكذلك أرواح المؤمنين هي التي تعرج إلىٰ ربها وَقْتَ قبضِ الملائكة لها، فيُفْتَح لها باب السماء الدنيا، ثم الثانية، ثم الثالثة، ثم الرابعة، إلىٰ أن يُنْتَهىٰ بها إلىٰ السماء السابعة، فتُوَقَفُ بين يدي الله عز وجل، ثم يأمر أن يكتب كتابه في أهل عِلِّيِّين.

---

(١) لم أقف عليه في «جامع» أبي عيسىٰ الترمذي -المطبوع-، ولا رأيتُ من عزاه إليه إلاّ المصنّف في «زاد المعاد» (٢/ ٢٤)، وقد ذكره الحكيم الترمذي في «نوادر الأصول» (١/ ٤٢٥).

(٢) أخرجه ابن المبارك في «الزهد» (١/ ١٠٦)، ووكيع في «الزهد» (١/ ٢٣٨ - ٢٣٩)، وعبد الرزاق في «التفسير» (١/ ٢١٧ - ٢١٨)، وغيرهم. والصواب أنه عن عبد الله بن المسور مرسلًا، كما قال الدارقطني.

(٣) «صحيح مسلم» (٢٩٩٦).

فلما كانت هذه الروح روحًا زاكية طيبة نيِّرة مشرقة صعدت إلىٰ الله ﷻ مع الملائكة.

وأما الروح المظلمة الخبيثة الكدرة فإنها لا تفتح لها أبواب السماء، ولا تصعد إلىٰ الله تعالىٰ، بل تُرَدُّ من السماء الدنيا إلىٰ عالَمها وعُنْصُرِها؛ لأنها أرضية سُفْلِيّة، والأولىٰ عُلْوِيّة سماوية، فرجعت كل روح إلىٰ عنصرها وما هي منه، وهذا مُبَيَّنٌ في حديث البراء بن عازب الطويل الذي رواه الإمام أحمد، وأبو عوانة الإسفراييني في «صحيحه»، والحاكم، وغيرهم، وهو حديث صحيح[1].

والمقصود: أن الله ﷻ لا يصعد إليه من الأعمال والأقوال والأرواح إلا ما كان منها نورًا، وأعظمُ الخلق نورًا أقربهم إليه، وأكرمُهم عليه.

وفي «المسند» من حديث عبد الله بن عمرو عن النبي ﷺ: «**إنَّ الله تعالىٰ خَلَقَ خَلْقَه في ظُلْمَةٍ، وَأَلْقىٰ عليهم مِنْ نُورِه، فمن أصابَ من ذلك النُّورِ اهْتَدَىٰ، ومن أَخْطَأه ضَلّ**»؛ فلذلك أقول: جَفَّ القلمُ علىٰ عِلْمِ الله تعالىٰ[2].

وهذا الحديث العظيم أصل من أصول الإيمان، وينفتح به باب عظيم من أبواب سر القدر وحكمته، والله تعالىٰ الموفق.

وهذا النور الذي ألقاه عليهم سبحانه وتعالىٰ، هو الذي أحياهم وهداهم، فأصابت الفطرة منه حَظَّها، ولكنْ لمّا لم يستقلَّ بتمامه وكماله أكمله لهم، وأتمه بالوحي الذي ألقاه علىٰ رسله عليهم الصلاة والسلام، والنورِ الذي أوحاه إليهم، فأدركَتْهُ الفطرة بذلك النور السابق الذي حصل لها يوم إلقاء النور، فانضاف نور

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٧٢٠)، وأحمد (٦/ ٣٢١ - ٣٢٢)، والحاكم (١/ ٣٧) وغيرهم، وصححه البيهقي والحاكم، وانتصر لتصحيحه شيخ الإسلام، وحسنه المصنف.

(٢) «المسند» (٢/ ٦٢٤ - ٦٢٥)، والترمذيُّ (٢٦٤٢)، والحاكم (١/ ٣٠ - ٣١) وغيرهما، قال الترمذي: «هذا حديث حسن».

الوحي والنُّبوَّةِ إلىٰ نور الفطرة، نورٌ علىٰ نورٌ، فأشرقت منه القلوب، واستنارت به الوجوه، وحَيِيَتْ به الأرواح، وأذعنت به الجوارح للطاعات طوعًا واختيارًا، فازدادت به القلوب حياةً إلىٰ حياتها.

ثم دلها ذلك النور علىٰ نورٍ آخر هو أعظم منه وأجلُّ، وهو نور الصفات العليا الذي يَضْمَحِلُّ فيه كلُّ نورٍ سواه، فشاهدَتْهُ ببصائر الإيمان مشاهدةً نِسْبَتُها إلىٰ القلب نِسْبَة المرئيّات إلىٰ العَيْن؛ وذلك لاستيلاء اليقين عليها، وانكشاف حقائق الإيمان لها، حتىٰ كأنها تنظر إلىٰ عرش الرحمن تبارك وتعالىٰ بارزًا، وإلىٰ استوائه عليه، كما أخبر به سبحانه وتعالىٰ في كتابه، وكما أخبر به عنه رسول الله ﷺ يدبِّر أمر الممالك، ويأمر وينهىٰ، ويخلق ويرزق، ويميت ويُحْيِي، ويقضي وينفِّذ، ويُعِزُّ ويُذِلُّ، ويقلِّب الليل والنهار، ويُدَاوِلُ الأيام بين الناس، ويُقَلِّبُ الدُّوَل، فيذهب بدولة، ويأتي بأخرىٰ.

والرسلُ من الملائكة عليهم الصلاة والسلام بين صاعدٍ إليه بالأمر، ونازلٍ من عنده به، وأوامرُه ومراسيمه متعاقبةٌ علىٰ تعاقب الأوقات، نافذةٌ بحسب إرادته ومشيئته، فما شاء كان كما شاء في الوقت الذي يشاء علىٰ الوجه الذي يشاء، من غير زيادة ولا نقصان، ولا تَقَدُّمٍ ولا تأخُّر، وأمرُه وسلطانُه نافِذٌ في السموات والأرض وأقطارها، وفي الأرض وما عليها وما تحتها، وفي البحار والجو، وفي سائر أجزاء العالم وذَرَّاتِه، يُقَلِّبها ويُصَرِّفها، ويُحْدِث فيها ما يشاء، وقد أحاط بكل شيءٍ علمًا، وأحصىٰ كل شيءٍ عددًا، ووسع كل شيءٍ رحمةً وحكمة، ووسع سَمْعُهُ الأصوات، فلا تختلف عليه ولا تشتبه عليه، بل يسمع ضجيجَها باختلاف لغاتها علىٰ تَفَنُّنِ حاجاتها، فلا يَشْغَلُه سَمْعٌ عن سَمْعٍ، ولا تُغْلِطُه كثرة المسائل، ولا يتبرَّمُ بإلحاح المُلِحِّين ذوي الحاجات.

وأحاط بصرُه بجميع المرئيات، فيرىٰ دبيب النملة السوداء علىٰ الصخرة الصَّمَّاء في الليلة الظلماء، فالغيب عنده شهادة، والسر عنده علانية، يعلم السر وأخفىٰ من السر؛ فالسر ما انطوىٰ عليه ضمير العبد، وخطر بقلبه، ولم تتحرك به شفتاه، وأخفىٰ منه: ما لم يخطر بقلبه بَعْدُ، فَيَعْلَمُ أنه سيخطر بقلبه كذا وكذا في وقت كذا وكذا.

وله الخلق والأمر، وله الملك وله الحمد، وله الدنيا والآخرة، وله النعمة، وله الفضل، وله الثناء الحسن، وله الملك كله، وله الحمد كله، وبيده الخير كله، وإليه يرجع الأمر كله، شملت قدرته كل شيء، ووسعت رحمته كل شيء، وَسَعَتْ نعمته إلىٰ كل حيّ.

﴿يَسْـَٔلُهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِى شَأْنٍ﴾ [الرحمن:٢٩]: يغفر ذنبًا، ويفرِّج همًّا، ويكشف كربًا، ويَجْبُر كسيرًا، ويُغني فقيرًا، ويُعَلِّمُ جاهلًا، ويهدي ضالًّا، ويُرشِدُ حَيْرانًا، ويُغِيثُ لَهْفَانًا، ويَفُكُّ عانيًا، ويُشبع جائِعًا، ويَكْسُو عاريًا، ويشفي مريضًا، ويُعافي مبتلًىٰ، ويَقْبَلُ تائبًا، ويَجْزي مُحْسِنًا، وينصر مظلومًا، ويَقْصِم جبّارًا، ويُقِيلُ عَثْرَةً، ويستر عورةً، ويُؤَمِّن رَوْعةً، ويرفع أقوامًا، ويضع آخرين.

لا ينام، ولا ينبغي له أن ينام، يخفض القسط ويرفعه، يُرْفَع إليه عمل الليل قبل عمل النهار، وعملُ النهار قبل عمل الليل، حجابُه النور، لو كشفه لأحرقت سُبُحات وجهه ما انتهىٰ إليه بصره من خلقه.

يمينُه مَلأىٰ، لا تَغِيضُها نفقة، سَحَّاء الليل والنهار، أرأيتم ما أنفق منذ خلق الخلق، فإنه لم يَغِضْ ما في يمينه.

قلوبُ العباد ونواصيهم بيده، وأزمَّة الأمور معقودة بقضائه وقدره، الأرضُ جميعًا قبضته يوم القيامة، والسموات مطويات بيمينه، يقبض سماواته كلها بيدِهِ،

والأرض باليد الأخرىٰ، ثم يَهُزُّهن، ثم يقول: أنا الملك، أنا الملك، أنا الذي بدأت الدنيا ولم تكن شيئًا، وأنا الذي أعيدها كما بَدَأْتُها.

لا يتعاظمه ذنب أن يغفره، ولا حاجةٌ يُسْأَلُها أن يعطيها.

لو أن أهل سماواته، وأهل أرضه، وأول خلقه وآخرهم، وإنْسهم وجِنَّهم، كانوا علىٰ أتقىٰ قلب رجل منهم، ما زاد ذلك في ملكه شيئًا، ولو أن أول خلقه وآخرهم، وإنْسهم وجِنَّهم، كانوا علىٰ أفجر قلبِ رجل منهم، ما نقص ذلك من ملكه شيئًا، ولو أن أهل سماواته، وأهل أرضه، وإنْسهم وجِنَّهم، وحَيَّهُمْ ومَيِّتهم، كانوا علىٰ أفجر قلبِ رجل منهم، ما نقص ذلك من ملكه شيئًا، ولو أن أهل سماواته، وأهل أرضه، وإنْسهم وجِنَّهم، وحَيَّهُمْ ومَيِّتهم، ورطبهم ويابسهم، قاموا في صعيد واحد، فسألوه فأعطىٰ كلًّا منهم مسألته، ما نقص ذلك مما عنده مثقال ذرة.

ولو أن أشجار الأرض كلَّها -من حين وُجِدت إلىٰ أن تنقضي الدنيا- أقلامٌ، والبحر وراءه سبعة أبحر تمدُّه من بعده مِدادٌ، فكُتِبَ بتلك الأقلام وذلك المداد، لفنيت الأقلام ونفد المداد، ولم تنفد كلمات الخالق تبارك وتعالىٰ.

وكيف تَفْنَىٰ كلماتُه جَلَّ جلاله وهي لا بداية لها ولا نهاية؟! والمخلوق له بداية ونهاية، فهو أحق بالفناء والنَّفاد، وكيف يُفْنِي المخلوقُ غيرَ المخلوق؟!

هو الأول الذي ليس قبله شيء، والآخر الذي ليس بعده شيء، والظاهر الذي ليس فوقه شيء، والباطن الذي ليس دونه شيء.

تبارك وتعالىٰ، أحقُّ من ذُكِر، وأحقُّ من عُبِد، وأحقُّ من حُمِد، وأولىٰ من شُكِر، وأنصَرُ من ابْتُغِي، وأرأفُ من مَلَك، وأجودُ من سُئِل، وأعْفَىٰ من قَدِر، وأكرم من قُصِد، وأعدل من انْتَقَم.

حكمُه بعد علمه، وعفوُه بعد قدرته، ومغفرتُه عن عِزَّته، ومَنْعُه عن حِكمته،

وموالاتُه عن إحسانه ورحمته.

مـا لِلْعِبَـادِ عَلَيْهِ حَـقٌّ واجِبٌ كَلَّا ولا سَـعْيٌ لَدَيْـهِ ضائِـعُ

إنْ عُذِّبُـوا فَبِعَدْلِـهِ، أَوْ نُعِّمُـوا فَبِفَضْلِهِ، وهـو الكريمُ الواسِعُ

هو الملك الذي لا شريك له، والفرد فلا نِدُّ له، والغنيُّ فلا ظهير له، والصمد فلا ولد له، ولا صاحبة له، والعليُّ فلا شبيه له، ولا سَمِيَّ له، كلُّ شيء هالك إلا وجهه، وكلُّ مُلْكٍ زائل إلا ملكه، وكل ظِلٍّ قَالِصٌ إلا ظِلُّه، وكل فضل منقطع إلا فضله.

لن يُطاع إلا بفضله ورحمته، ولن يُعصىٰ إلا بعلمه وحكمته، يُطاع فَيَشْكُر، ويُعْصَىٰ فيتجاوز وَيَغْفِر، كل نقمة منه عدل، وكل نعمة منه فضل، أقرب شهيد، وأدنىٰ حفيظ، حالَ دون النفوس، وأخذ بالنواصي، ونَسَخ الآثار، وكتب الآجال، فالقلوب له مُفْضِيَةٌ، والسر عنده علانية، والغيب عنده شهادة، عطاؤه كلام، وعذابه كلام، ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [يس:٨٢].

فإذا أشرقت علىٰ القلب أنوار هذه الصفات اضْمَحَلَّ عندها كل نور، ووراء هذا ما لا يخطر بالبال، ولا تناله عبارة.

والمقصود: أن الذكر يُنَوِّر القلب والوجه والأعضاء، وهو نور العبد في دنياه، وفي البرزخ، وفي يوم القيامة.

فصـــل

ص(١٥٥)

وعلىٰ حسب نور الإيمان في قلب العبد تَخْرُجُ أعماله وأقواله ولها نورٌ وبرهان، حتىٰ إن من المؤمنين من يكون نور أعماله إذا صعدت إلىٰ الله تبارك وتعالىٰ كَنُورِ الشمس، وهكذا نور روحه إذا قَدِم بها علىٰ الله ﷻ، وهكذا يكون نورهُ السّاعي بين يديه علىٰ الصراط، وهكذا يكون نور وجهه في يوم القيامة، والله تعالىٰ المستعان وعليه التكلان.

السابعة والثلاثون: أن الذكر رأس الأمور، وطريقُ عامَّةِ الطائفة، ومَنْشُور الوَلاية، فمن فُتِح له فيه فقد فُتِح له باب الدخول علىٰ الله ﷻ، فَلْيَتَطَهَّرْ، وَلْيَدْخُل علىٰ ربه ﷻ يَجِدْ عنده كل ما يريد، فإن وجد ربه ﷻ وَجَد كلَّ شيء، وإن فاته ربه ﷻ فاته كلُّ شيء.

الثامنة والثلاثون: أن في القلب خَلَّةً وفاقةً لا يَسُدُّها شيءٌ ألبته إلا ذكر الله ﷻ، فإذا صار الذكر شِعار القلب، بحيث يكون هو الذاكر بطريق الأصالة، واللسان تَبَعٌ له، فهذا هو الذكر الذي يَسُدُّ الخَلَّة، ويُغْنِي الفاقة، فيكون صاحبه غنيًّا بلا مال، عزيزًا بلا عشيرة، مَهيبًا بلا سلطان، فإذا كان غافلًا عن ذكر الله ﷻ فهو بضد ذلك، فقير مع كثرة جِدَّتَه، ذليل مع سلطانه، حقير مع كثرة عشيرته.

التاسعة والثلاثون: أن الذكر يجمع المتفرِّق، ويفرِّق المُجْتَمِع، ويقرِّب البعيد، ويُبَعِّد القريب؛ فيجمع ما تفرَّق علىٰ العبد من قلبه وإرادته، وهُمومه وعُزُومه، والعذابُ كل العذاب في تَفْرِقَتِها وتشتُّتها عليه، وانفراطها له، والحياةُ كل الحياةِ والنَعيمُ في اجتماع قلبه وهمِّه، وعزمه وإرادته.

ويُفَرِّق ما اجتمع عليه من الهموم، والغموم، والأحزان، والحسراتِ علىٰ فَوْتِ حُظُوظه ومطالبه.

ويُفَرِّقُ أيضًا ما اجتمع عليه من ذنوبه وخطاياه وأوزاره، حتىٰ تتساقط عنه وتتلاشىٰ وتَضْمَحِلّ.

ويفرِّق أيضًا ما اجتمع علىٰ حربه من جند الشيطان؛ فإن إبليس لا يزال يبعث له سَريّة بعد سَرِيَّة، وكلما كان أقوىٰ طلبًا لله سبحانه وتعالىٰ، وأشدَّ تَعَلُّقًا به وإرادةً له كانت السَّرِيَّةُ أكثف وأكثر وأعظم شوكة، بحسب ما عند العبد من مَوادِّ الخير والإرادة، ولا سبيل إلىٰ تفريق هذا الجمع إلا بدوام الذكر.

وأما تقريبه البعيد؛ فإنه يقرِّب إليه الآخرة التي يُبَعِّدها منه الشيطان والأمل، فلا يزال يَلْهَجُ بالذكر حتىٰ كأنه قد دخلها وحضرها، فحينئذ تَصْغُر في عينه الدنيا، وتَعْظُم في قلبه الآخرة.

ويُبَعِّدُ القريب إليه، وهي الدنيا التي هي أدنىٰ إليه من الآخرة، فإن الآخرة متىٰ قَرُبَتْ من قلبه بَعُدَتْ عنه الدنيا، كلما قَرُبَ من هذه مرحلة بَعُد من هذه مرحلة. ولا سبيل إلىٰ هذا إلا بدوام الذكر، والله المستعان.

الأربعون: أن الذكر يُنَبِّه القلب من نومه، ويُوقِظُه من سِنَته، والقلب إذا كان نائمًا فاتَتْهُ الأرباح والمتاجِر، وكان الغالبُ عليه الخسران، فإذا استيقظ وعلم مافاته في نَوْمَتِه شَدَّ المِئْزر، وأحيا بقية عمره، واستدرك ما فاته، ولا تَحْصُلُ يقظته إلا بالذكر، فإن الغفلة نومٌ ثقيل.

الحادية والأربعون: أن الذكر شجرةٌ تُثْمِر المعارف والأحوال التي شمَّر إليها السالكون، فلا سبيل إلىٰ نيل ثمارها إلا من شجرة الذكر، وكلما عظمت تلك الشجرة ورسخ أصلها كان أعظم لثمرتها، فالذكر يثمر المقامات كلَّها، مِنَ اليقظة إلىٰ التوحيد، وهو أصل كل مقام، وقاعدته التي ينبني ذلك المقام عليها، كما يُبْنَىٰ الحائط علىٰ أُسِّه، وكما يقوم السقف علىٰ حائطه، وذلك أن العبد إن لم يستيقظ لم يُمْكِنْه قطع منازل السير، ولا يستيقظ إلا بالذكر كما تقدم، فالغفلة نومُ القلب أو موتُه.

الثانية والأربعون: أن الذاكر قريب من مذكوره، ومذكورُه معه، وهذه المعية مَعِيَّةٌ خاصةٌ غيرُ مَعِيّةِ العلم والإحاطة العامة، فهي مَعِيَّةٌ بِالقُرْبِ والولاية والمحبة والنصرة والتوفيق، كقوله تعالىٰ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحۡسِنُونَ ﴾ [النحل:١٢٨]، ﴿ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ [البقرة:٢٤٩]، ﴿ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴾ [العنكبوت:٦٩]، ﴿ لَا تَحۡزَنۡ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَاۖ ﴾ [التوبة:٤٠].

وللذاكر من هذه المعية نصيب وافر، كما في الحديث الإلهي: «**أنا مع عبدي ما ذَكَرَني وتَحَرَّكَتْ بي شَفَتَاهُ**»[١].

وفي أثرٍ آخر: «**أهل ذكري أهل مجالستي، وأهل شكري أهل زيادتي، وأهل طاعتي أهل كرامتي، وأهل معصيتي لا أُقَنِّطُهُمْ من رحمتي، إن تابوا فأنا حبيبهم، فإني أُحِبُّ التوابين، وأُحِبُّ المتطهرين، وإن لم يتوبوا فأنا طبيبهم، أبتليهم بالمصائب لأطهرهم من المعايب**»[٢].

والمعيةُ الحاصلة للذاكر معيَّةٌ لا يشبهها شيء، وهي أخص من المعية الحاصلة للمُحْسِن والمُتَّقِي، وهي معية لا تدركها العبارة، ولا تنالها الصفة، وإنما تُعْلَم بالذَّوْق، وهي مزلّة أقدامٍ إن لم يَصْحَب العبدَ فيها تمييزٌ بين القديم والمُحْدَث، وبين الرب والعبد، وبين الخالق والمخلوق، والعابد والمعبود، وإلا وقع في حُلُولٍ يضاهي به النصارىٰ، أو اتحادٍ يضاهي به القائلين بوحدة الوجود، وأن وجود الرب عين وجود هذه الموجودات، بل ليس عندهم ربٌّ وعَبْدٌ، ولا خَلْقٌ وحَقّ، بل الرب هو العبد، والعبد هو الرب، والخلق المُشَبَّه هو الحَقُّ المُنَزَّه، تعالىٰ الله عما يقول الظالمون والجاحدون علوًّا كبيرًا.

والمقصود: أنه إن لم يكن مع العبد عقيدة صحيحة، وإلا فإذا استولىٰ عليه سلطان الذكر، وغاب بمذكوره عن ذكره وعن نفسه؛ وَلَج باب الحُلول والاتحاد ولابُدّ.

---

(١) علّقه البخاري في «صحيحه» (١٣/ ٥٠٨ - الفتح)، ووصله في «خلق أفعال العباد» (٤٣٦)، وكذا ابنُ ماجه (٣٧٩٢)، وأحمد (٣/ ٨٢٠)، وغيرهم عن أبي هريرة رضي الله عنه. وصحّحه ابن حبان، والحاكم.

(٢) لم أقف عليه مُسْنَدًا. ونقل ابن عبد الهادي في «العقود الدُّريّة» (٣٤٣) عن شيخ الإسلام ابن تيمية قوله: «يقول الله تعالىٰ في بعض الكتب: ...» فذكره، فكأنه يريد كتب أهل الكتاب، فهو علىٰ هذا من الإسرائيليات.

الثالثة والأربعون: أن الذكر يَعْدِلُ عتق الرقاب، ونفقة الأموال، والحمل علىٰ الخيل في سبيل الله ﷻ، ويَعْدِلُ الضرب بالسيف في سبيل الله ﷻ.

وقد تقدم أن «**من قال في يوم مائة مرة: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو علىٰ كل شيء قدير كانت له عدل عشر رقاب، وكُتِبَتْ له مائة حسنة، ومُحِيَتْ عنه مائة سيئة، وكانت له حرزًا من الشيطان يومه ذلك حتىٰ يمسي...**» الحديث[1].

وذكر ابن أبي الدنيا عن الأعمش، عن سالم بن أبي الجعد قال: قيل لأبي الدرداء رضي الله عنه: إن رجلًا أعتق مائة نسمة. قال: «إن مائة نَسَمةٍ من مال رجلٍ كثيرٌ، وأفضلُ من ذلك إيمان مَلْزُومٌ بالليل والنهار، وأنْ لا يزال لسان أحدكم رطبًا من ذكر الله ﷻ»[2].

وقال ابن مسعود: «لأَنْ أُسَبِّح اللهَ تعالىٰ تسبيحاتٍ أحبُّ إليَّ من أن أنفق عَدَدَهُن دنانير في سبيل الله ﷻ»[3].

وجلس عبد الله بن عمرو، وعبد الله بن مسعود، فقال عبد الله بن مسعود: «لأَنْ آخذ في طريقٍ أقولُ فيه: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر؛ أحبُّ إليَّ من أن أنفق عددهن دنانير في سبيل الله ﷻ»؛ فقال عبد الله بن عمرو: «لأَن آخذ في طريقٍ، فأقولهن أحبُّ إليَّ من أن أحمل عددهن علىٰ الخيل في سبيل الله ﷻ»[4].

---

(١) تقدم تخريجه ص(٦٩).

(٢) أخرجه الضبي في «الدعاء» (٢٦٨)، وأحمد في «الزهد» (١٣٦)، وابن أبي شيبة في «المصنّف» (١٠/ ٣٠٤) وغيرهم، وقال المنذري: رواه ابن أبي الدنيا موقوفًا بإسنادٍ حسن.

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة في «المصنّف» (١٠/ ٢٩١)، والحسين المروزي في زوائده علىٰ «الزهد لابن المبارك» (٤٠٥)، بإسناد جيّد.

(٤) أخرجه البيهقي في «شعب الإيمان» (٢/ ٥٦٧) وفي إسناده من لم أعرفه. ورواه ابن أبي شيبة في «المصنّف» (١٠/ ٢٩٢) مقتصرًا علىٰ قول عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما بإسناد حسن.

وقد تقدَّم حديث أبي الدرداء قال: قال رسول الله ﷺ: «**ألا أنبئكم بخير أعمالكم، وأزكاها عند مَلِيكِكُمُ، وأرفعِها في درجاتكم، وخيرٍ لكم من إنفاق الوَرِقِ والذهب، وخيرٍ لكم من أن تَلقَوْا عدوكم فتضربوا أعناقهم، ويضربوا أعناقكم؟**» قالوا: بلىٰ يا رسول الله. قال: «ذكر الله» رواه ابن ماجه والترمذي، وقال الحاكم: صحيح الإسناد(١).

الرابعة والأربعون: أن الذكر رأس الشكر، فما شَكَرَ الله تعالىٰ من لم يذكره.

وذكر البيهقيُّ عن زيد بن أسلم، أن موسىٰ عليه السلام قال: «يا رب، قد أنْعَمْتَ عليَّ كثيرًا فَدُلَّني علىٰ أن أشكرك كثيرًا» قال: «اذكرني كثيرًا؛ فإذا ذكرتني كثيرًا فقد شكرتني كثيرًا، وإذا نسيتني فقد كفرتني»(٢).

وقد ذكر البيهقي -أيضًا- في كتاب «شعب الإيمان» عن عبد الله بن سلام قال: قال موسىٰ عليه السلام: يا رب، ما الشكر الذي ينبغي لك؟ فأوحىٰ الله تعالىٰ إليه أن لا يزال لسانك رطبًا من ذكري. قال: يا رب إني أكون علىٰ حالٍ أُجِلُّك أن أذكرك فيها. قال: وما هي؟ قال: أكون جنبًا، أو علىٰ الغائط، وإذا بُلْتُ. فقال: وإن كان. قال: يا رب، فما أقول؟ قال: تقول: «سبحانك وبحمدك، وجنبني الأذىٰ، وسبحانك وبحمدك، فقني الأذىٰ»(٣).

قلتُ: قالت عائشة: «كان رسول الله ﷺ يذكر الله تعالىٰ علىٰ كل أحيانه»(٤). ولم تستثن حالة من حالة، وهذا يدل علىٰ أنه كان يذكر ربه تعالىٰ في حال طهارته وجنابته.

---

(١) تقدم تخريجه ص(٥٩)، حيث أورده المصنّف من رواية معاذٍ رضي الله عنه.

(٢) «شعب الإيمان» (٢/ ٥٧٤)، وأخرجه ابن أبي شيبة في «المصنّف» (١٣/ ٢١٢) بنحوه، وابنُ المبارك في «الزهد» (٣٣٠) مختصرًا، ومن طريقه ابن أبي الدّنيا في «الشكر» (١٨ برقم ٣٩).

(٣) «شعب الإيمان» (٢/ ٥٩١).

(٤) أخرجه مسلم (٣٧٣).

وأما في حال التخلِّي، فلم يكن يشاهده أحد يَحْكِي عنه، ولكنْ شَرَع لأمته من الأذكار قبل التخلِّي وبعده ما يدل علىٰ مزيد الاعتناء بالذكر، وأنه لا يُخَلُّ به عند قضاء الحاجة وبعدها، وكذلك شرع لأمته من الذكر عند الجماع أن يقول أحدهم: «بِسْم الله، اللَّهُمَّ جَنِّبْنَا الشَّيْطانَ، وجَنِّب الشَّيطان ما رَزَقْتنا»[١] .

وأما الذكر علىٰ نفس قضاء الحاجة، وجِماع الأهل فلا ريب أنه لا يُكْرَه بالقلب؛ لأنه لابُدَّ لقلبه مِنْ ذِكر، ولا يمكنه صرف قلبه عن ذكر من هو أحبُّ شيءٍ إليه، فلو كُلِّف القلبُ نسيانَه لكان تكليفًا بالمحال، كما قال القائل:

يُـرَادُ مــن القَلْــب نِســيانُكُم ... وتَأبَـىٰ الطِّبـاعُ عَلـىٰ النَّاقِـل

وأمَّا الذكر باللسان علىٰ هذه الحالة، فليس ممَّا شرَعَ لنا، ولا نَدَبَنا إليه رسولُ الله ﷺ، ولا نُقِل عن أحد من الصحابة رضي الله عنهم.

وقال عبد الله بن أبي الهذيل: «إن الله تعالىٰ ليُحِبُّ أن يُذكَرَ في السُّوقِ، ويحبُّ أن يذكرَ علىٰ كُلِّ حالٍ، إلَّا علىٰ الخَلاء»[٢] .

ويكفي في هذه الحال استشعارُ الحياء، والمراقبة، والنِّعمةِ عليه في هذه الحالة، وهي من أجلِّ الذكر، فذِكْرُ كلِّ حالٍ بحسب ما يليق بها، واللائقُ بهذه الحال التَّقَنُّعُ بثوب الحياء من الله تعالىٰ، وإجلالُه، وذِكرُ نعمته عليه، وإحسانِه إليه في إخراج هذا العَدُوِّ المؤذي له الذي لو بقي فيه لقتله، فالنعمة في تيسير خروجه كالنعمة في التغذِّي به.

وكان علي بن أبي طالب إذا خرج من الخلاء مسح بطنه، وقال: يا لَها نِعْمَة لو يعلمُ النَّاسُ قدرَها![٣] .

---

(١) سيأتي تخريجه ص(١٢٩).

(٢) أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٤/ ٣٥٩)، وأخرج البيهقيُّ في «الشعب» (٢/ ٤٦٢) بعضه.

(٣) أخرجه ابن أبي الدنيا في «الشكر» (١٣)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٨/ ٣٩٨) بإسنادٍ ضعيف جدًّا.

وكان بعض السلف يقول: الحمد لله الذي أذاقني لَذَّته، وأبقىٰ فِيَّ منفعته، وأذهب عني مَضَرَّتَهُ(١).

وكذلك ذِكْرُه حال الجماع، ذَكَر هذه النعمة التي مَنَّ بها عليه، وهي من أجلِّ نعم الدنيا، فإذا ذَكَر نعمة الله تعالىٰ عليه بها هاج من قلبه هائج الشكر، فالذكر رأس الشكر.

وقال النبي ﷺ لمعاذ: «**والله يا معاذ إني لأُحِبُّك، فلا تَنْس أن تَقُولَ دُبُرَ كُلِّ صلاةٍ: «اللَّهُمَّ أَعِنِّي علىٰ ذِكْرِكَ، وشُكْرِكَ، وحُسْنِ عِبَادَتِكَ**»(٢).

فجمع بين الذِّكرِ والشُّكْر، كما جمع سبحانه وتعالىٰ بينهما في قوله تعالىٰ: ﴿فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لِى وَلَا تَكْفُرُونِ﴾ [البقرة:١٥٢]، فالذكر والشكر جِماعُ السعادة والفلاح.

الخامسة والأربعون: أن أكرم الخلق علىٰ الله تعالىٰ من المتقين مَنْ لا يزال لسانه رَطْبًا بذكره، فإنه اتقاه في أمره ونهيه، وجَعَل ذكره شعاره.

فالتقوىٰ أوجبت له دخول الجنة والنجاة من النار، وهذا هو الثواب والأجر.

والذِّكرُ يوجب له القرب من الله ﷻ والزلفىٰ لديه، وهذه هي المنزلة.

وعُمَّال الآخرة علىٰ قسمين: منهم من يعمل علىٰ الأجر والثواب، ومنهم من يعمل علىٰ المنزلة والدرجة، فهو ينافس غيره الوسيلة والمنزلة عند الله تعالىٰ، ويسابق إلىٰ القُرْبِ منه.

وقد ذكر الله تعالىٰ النوعين في سورة الحديد في قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلْمُصَّدِّقِينَ وَٱلْمُصَّدِّقَٰتِ وَأَقْرَضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَٰعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾ [الحديد:١٨]

---

(١) أخرجه الطبراني في «الدّعاء» (٢/ ٩٦٧) من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما مرفوعًا، وضعَّفه ابن حجر، وروي عن عائشة مرفوعًا، وإسناده ضعيف. والأشبه أنه من كلام إبراهيم التيمي كما عند ابن أبي شيبة (١/ ٢).

(٢) أخرجه أبو داود (١٥١٧)، والنسائي (١٣٠٢)، وأحمد (٧/ ٣٨٠) وغيرهم. وصححه ابن خزيمة (٧٥١) وغيره.

فهؤلاء أصحاب الأجور والثواب، ثم قال: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصِّدِّيقُونَ﴾ [الحديد:١٩] فهؤلاء أصحاب المنزلة والقُرْبِ، ثم قال: ﴿وَٱلشُّهَدَآءُ عِندَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ﴾ فقيل: هذا عطفٌ علىٰ الخبر عن ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦٓ﴾، أخبر عنهم بأنهم هم الصّدِّيقون، وأنهم الشهداء الذين يشهدون علىٰ الأمم، ثم أخبر عنهم بخبرٍ آخر، وهو قوله تعالىٰ: ﴿لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ﴾؛ فيكون قد أخبر عنهم بأربعة أمور:

أنهم صِدِّيقون، وشهداء، فهذه هي المرتبة والمنزلة، ثمّ أخبر عنهم بأنّ لهم أجرهم ونورهم، فهذا هو الثواب والجزاء.

وقيل: بل تم الكلام عند قوله تعالىٰ: ﴿ٱلصِّدِّيقُونَ﴾، ثم ابتدأ ذِكْرَ حال الشهداء فقال: ﴿وَٱلشُّهَدَآءُ عِندَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ﴾.

فيكون قد ذكر المتصدقين أهلَ البرِّ والإحسان، ثم المؤمنين الذين قد رسخ الإيمان في قلوبهم وامتلؤوا منه، فهم الصِّدِّيقون، وهم أهل العلم والعمل، والأوَّلُون أهلُ البرِّ والإحسان، ولكنَّ هؤلاء أكملُ صِدِّيقيَّةً منهم.

ثم ذكر سبحانه الشهداء، وأنه تعالىٰ يُجري عليهم رزقهم ونورهم؛ لأنهم لما بذلوا أنفسهم لله تعالىٰ أعاضهم عليها أن جعلهم أحياءً عنده يرزقون، فيجري عليهم رزقهم ونورهم، فهؤلاء السعداء.

ثم ذكر الأشقياء فقال: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ﴾ [المائدة:١٠].

والمقصود أنه سبحانه وتعالىٰ ذكر أصحاب الأجور والمراتب، وهذان الأمران هما اللذان وَعَدَ بهما فرعونُ السحرةَ إنْ غَلَبُوا موسىٰ عليه الصلاة والسلام، فقالوا: ﴿أَئِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴿٤١﴾ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذًا لَّمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ﴾ [الشعراء:٤١-٤٢]، أي: أجْمَعُ لكم بين الأجر والمنزلة عندي والقرب مني.

فالعمال عَمِلوا علىٰ الأجور، والعارفون عَمِلوا علىٰ المراتب والمنزلة والزلفىٰ عند الله، وأعمالُ هؤلاء القلبية أكثر من أعمال أولئك، وأعمال أولئك البدنية قد تكون أكثر من أعمال هؤلاء.

وذكر البيهقي عن محمد بن كعب القرظي رحمه الله تعالىٰ قال: قال موسىٰ عليه السلام: يا رب، أيُّ خلقك أكرم عليك؟ قال: الذي لا يزال لسانه رطبًا بذكري. قال: يا رب، أيُّ خلقك أعلم؟ قال: الذي يلتمس إلىٰ علمه علم غيره. قال: يا رب، أيُّ خلقك أعدل؟ قال: الذي يقضي علىٰ نفسه مثل ما يقضي علىٰ الناس. قال: يا رب، أيُّ خلقك أعظم ذنبًا؟ قال: الذي يتَّهِمُني. قال: يا رب، وهل يَتَّهِمُك أحد؟ قال: الذي يستخيرني ولا يَرْضَىٰ بقضائي[١].

وذَكَر أيضًا عن ابن عباس قال: لمّا وفد موسىٰ عليه السلام إلىٰ طور سيناء قال: يا رَبِّ، أيُّ عِبادكَ أَحَبُّ إليك؟ قال: الذي يذكرني ولا ينساني[٢].

وقال كعب: قال موسىٰ عليه السلام: يَا رَبِّ، أقريبٌ أنْتَ فَأَنَاجِيكَ، أم بعيدٌ فأناديك؟ فقال تعالىٰ: يا موسىٰ، أنا جليس من ذكرني. قال: إني أكون علىٰ حالٍ أُجِلُّك عنها. قال: ما هي يا موسىٰ؟ قال: عند الغائط والجنابة. قال: اذكرني علىٰ كل حالٍ[٣].

وقال عبيد بن عمير: تسبيحةٌ بحمد الله في صحيفةِ مؤمنٍ خير له من جبال الدنيا تجري معه ذهبًا[٤].

وقال الحسن: إذا كان يوم القيامة نادىٰ منادٍ: سيعلم أهلُ الجمع مَنْ أولىٰ

(١) «شعب الإيمان» (٢/ ٥٧٦ - ٥٧٧).

(٢) «شعب الإيمان» (٢/ ٥٧٥ - ٥٧٦)، وأخرجه بنحوه الطبريُّ في «التفسير» (١٨/ ٦٣)، والخطيب في «الرحلة في طلب الحديث» (٣٠).

(٣) أخرجه أحمد في «الزهد» (٦٨)، وابن أبي شيبة في «المصنّف» (١٣/ ٢١٢)، وغيرهما.

(٤) أخرجه ابن المبارك في «الزهد» (٣٢٧)، وأبو نعيم في «الحلية» (٣/ ٢٧٢)، وغيرهما.

بالكرم، أين الذين كانت ﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴾؟ [السجدة:١٦]، قال: فيقومون فيَتَخطَّوْنَ رقابَ النَّاسِ.

قال: ثم ينادي منادٍ: سيعلم أهل الجمع من أولىٰ بالكرم، أين الذين كانت ﴿لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ [النور:٣٧]، قال: فيقومون، فيتخطَّوْن رقاب الناس.

قال: ثم ينادي منادٍ: سيعلم أهل الجمع من أولىٰ بالكرم، أين الحمَّادون للهِ علىٰ كل حال؟، قال: فيقومون وهم كثير، ثم تكون التَّبِعَةُ والحسابُ فيمن بقي[١].

وأتىٰ رجلٌ أبا مسلمٍ الخولاني فقال له: أوصني يا أبا مسلم، قال: اذْكُر الله تعالىٰ تحت كل شجرةٍ ومَدَرَةٍ، فقال: زدني، فقال: اذكر الله تعالىٰ حتىٰ يحسبك الناس من ذِكْر الله تعالىٰ مَجْنُونًا. قال: وكان أبو مسلم يكثر ذكر الله تعالىٰ، فرآه رجل وهو يذكر الله تعالىٰ، فقال: أمجنون صاحبكم هذا؟ فسمعه أبو مسلم فقال: ليس هذا بالجنون يا ابن أخي، ولكن هذا دواء الجنون![٢].

السادسة والأربعون: أن في القلب قسوةً لا يُذِيبها إلّا ذكر الله تعالىٰ، فينبغي للعبد أن يداوي قسوة قلبه بذكر الله تعالىٰ.

وذَكَر حماد بن زيد، عن المُعَلَّىٰ بن زياد، أن رجلًا قال للحسن: يا أبا سعيد، أشكو إليك قسوة قلبي، قال: أَذِبْهُ بالذِّكر[٣].

وهذا لأن القلب كلما اشتدت به الغفلة اشتدت به القسوة، فإذا ذكر اللهَ تعالىٰ

---

(١) أخرجه معمر في «الجامع» (١١/ ٢٩٤ - مصنف عبد الرزاق)، ومن طريقه البيهقيُّ في «شعب الإيمان» (٢/ ٥٨٢). ورُوِي عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما موقوفًا، بإسناد حسن.

(٢) أخرجه البيهقي في «شعب الإيمان» (٢/ ٥٨٤)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٢٧/ ٢٠٨).

(٣) أخرجه عبد الله بن أحمد في زوائده علىٰ «الزهد» (٢٦٦)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٢/ ٥٨٨).

وروي: «أَذْنِه من الذكر. أي: ممّن يذكُر»، و«أدِّبْه بالذكر»، و«أدِّبْه من الذكر»، و«أذْنِيه».

ذابت تلك القسوة كما يذوب الرصاص في النار، فما أُذيبت قسوة القلوب بمثل ذكر الله ﷻ.

السابعة والأربعون: أن الذكر شفاء القلب ودواؤه، والغفلة مرضه، فالقلوب مريضة، وشفاؤها ودواؤها في ذكر الله تعالىٰ.

قال مكحول: ذِكْرُ الله تعالىٰ شفاء، وذِكْرُ الناس داء(١).

وذكره البيهقي عن مكحول مرفوعًا ومرسلًا(٢).

فإذا ذَكَرَتْهُ شفاها وعافاها، فإذا غفلت عنه انتكست، كما قيل:

إذَا مَرِضْنَـا تَدَاوَيْنَـا بذِكرِكُـمُ ... فَنتـرُك الذِّكْـر أحْيَانًـا فَنَنْتَكِـسُ

الثامنة والأربعون: أن الذكر أصل موالاة الله ﷻ ورأسُها، والغفلة أصل معاداته وأُسُّها، فإن العبد لا يزال يذكر ربه ﷻ حتىٰ يحبه فيواليه، ولا يزال يغفل عنه حتىٰ يبغضه ويعاديه.

قال الأوزاعي: قال حسان بن عطية: ما عادىٰ عبدٌ ربَّه بشيءٍ أشدَّ عليه من أن يكره ذكره أو من يذكره(٣).

فهذه المعاداة سببها الغفلة، ولا تزال بالعبد حتىٰ يكره ذكر الله ويكره من يذكره، فحينئذ يتخذُه عدوًّا كما اتخذ الذَّاكر وَليًّا.

التاسعة والأربعون: أنه ما استُجْلِبَتْ نعم الله ﷻ واسْتُدْفِعَتْ نِقَمُه بمثل ذكر الله تعالىٰ، فالذكر جلَّابٌ للنِّعَم، دفَّاعٌ للنِّقَم، قال سبحانه وتعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾، وفي القراءة الأخرىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ﴾ [الحج:٣٨]، فَدَفْعُه ودفاعه

(١) لم أقف عليه. وأخرجه البيهقي في «شعب الإيمان» (٢/ ٥٩٣) من قول ابن عونٍ.

(٢) أخرجه البيهقي في «الشعب» (٢/ ٥٩٤)، وأبو القاسم الأصبهاني في «الترغيب والترهيب» (١٣٨٩) عن مكحولٍ مرسلًا. وروي عن عمر موقوفًا.

(٣) أخرجه البيهقي في «شعب الإيمان» (٢/ ٥٩٩ - ٦٠٠).

عنهم بحسب قوة إيمانهم وكماله، ومادَّةُ الإيمان وقُوَّتُه بذكر الله تعالىٰ، فمن كان أكمل إيمانًا، وأكثر ذكرًا كان دَفْعُ الله تعالىٰ عنه ودفاعه أعظم، ومن نَقَصَ نَقَصَ، ذِكْرًا بِذِكْرٍ، ونسيانًا بنسيانٍ.

وقال سبحانه وتعالىٰ: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ [إبراهيم:٧].

والذِّكْرُ رأس الشكر، كما تقدم، والشكرُ جَلَّابُ النِّعَم، ومُوجِبٌ للمزيد.

قال بعض السلف رحمة الله عليهم: ما أقبح الغفلة عن ذكر مَنْ لا يَغفُلُ عن بِرِّك![1].

الخمسون: أن الذكر يوجب صلاة الله ﷻ وملائكته علىٰ الذاكر.

ومن صلىٰ اللهُ تعالىٰ عليه وملائكتُه فقد أفلح كل الفلاح، وفاز كل الفوز، قال الله سبحانه وتعالىٰ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾ هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾ [الأحزاب:٤١-٤٣].

فهذه الصلاة منه تبارك وتعالىٰ ومن ملائكته إنما هي علىٰ الذاكرين له كثيرًا، وهذه الصلاة منه ومن ملائكته هي سبب الإخراج لهم من الظلمات إلىٰ النور، وإذا حصلت لهم الصلاة من الله تبارك وتعالىٰ وملائكته وأُخْرِجوا من الظلمات إلىٰ النور فأيُّ خيرٍ لم يحصل لهم بذلك؟! وأيُّ شرٍّ لم يندفع عنهم؟!

فيا حسرة الغافلين عن ربهم ماذا حُرِمُوا من خيره وفضله!، وبالله التوفيق.

الحادية والخمسون: أن من شاء أن يسكن رياض الجنة في الدنيا فَلْيَسْتَوْطِن مجالس الذكر؛ فإنها رياضُ الجنة.

---

(١) أخرجه أبو عبد الرحمن السلمي في «طبقات الصّوفية» (٣١٧) عن مُمشاذ الدينوري، وعنده: «عن ذِكْرك». والبيهقي في «شعب الإيمان» (٢/ ٥٩٢) عن محمد بن عبد الوهاب البلخي، وعنده: «عن بِرّك».

وقد ذكر ابن أبي الدنيا وغيره من حديث جابر بن عبد الله قال: خرجَ علينا رسول الله ﷺ فقال: «**يا أيُّها النَّاس ارْتَعُوا في رياض الجَنَّة**»، قلنا يا رسول الله، وما رِياضُ الجنّة؟ قال: «**مَجَالسُ الذِّكْر**»، ثم قال: «**اغْدُوا ورُوحُوا واذْكُروا، فمَنْ كان يُحِبُّ أنْ يعلم منزلَته عندَ الله تعالىٰ فَلينْظُر كيفَ منزلةُ الله تعالىٰ عنده؛ فإن الله تعالىٰ يُنْزِلُ العبد منه حيث أنزلَهُ من نفسه**»[1].

الثانية والخمسون: أن مجالسَ الذكر مجالسُ الملائكة، فليس مِنْ مجالس الدنيا لهم مجلس إلا مجلس يُذْكَرُ الله تعالىٰ فيه، كما أخرجا في «الصحيحين» من حديث الأعمش، عن أبي صالح، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**إنَّ للهِ مَلائِكَةً فُضُلًا عن كُتَّاب الناس، يَطُوفُون في الطُّرُقِ، يَلْتَمِسُون أهْل الذِّكْرِ، فإذا وَجَدُوا قَوْمًا يَذْكرون الله تعالىٰ تنادَوْا: هَلمُّوا إلىٰ حاجَتِكُم.**

قال: فيَحُفُّونَهُم بأجْنِحَتِهم إلىٰ السَّمَاء الدُّنْيَا، قال: فيسألُهم ربُّهم تعالىٰ -وهو أعلم بهم-: ما يَقُولُ عِبَادي؟ قال: يقولون: يسَبِّحُونَكَ ويُكَبِّرونَكَ، ويَحْمَدُونك، ويُمَجِّدُونَكَ.

قال: فيقول: هل رَأوْني؟ قال: فيقولون: لا والله ما رَأوْك.

قال: فيقول: وكيف لو رأوني؟ قال: فيقولون: لو رأوك كانوا أشدَّ لك عبادةً، وأشدَّ لك تحميدًا وتمجيدًا، وأكثر لك تسبيحًا.

قال: فيقول: ما يسألوني؟ قال: يسألونك الجَنَّة.

قال: فيقول: وهل رَأوْها؟ قال: يقولون: لا والله يا رَبِّ، ما رَأوْها.

قال: فيقول: فكيف لو أنهم رأوْها؟ قال: يقولون: لو أنهم رأوها كانوا أشد عليها حرصًا، وأشد لها طلبًا، وأعظم فيها رغبة.

---

(١) أخرجه عبد بن حميد (١١٠٥)، وأبو يعلىٰ (٣/ ٣٩٠) والحاكم (١/ ٤٩٤) وغيرهم، وحسّنه المنذري لشواهده.

قال: فيقول: فَمِمَّ يَتَعَوَّذون؟ قال: يقولون: من النار.

قال: يقول: وهل رأوها؟ قال: يقولون: لا والله يا ربِّ ما رأوها.

قال: يقول: فكيف لو رأوها؟ قال: يقولون: لو رأوها كانوا أشد منها فرارًا، وأشَدَّ لها مَخَافَةً.

قال: يقول: فأُشْهِدُكم أني قد غَفَرْتُ لهم.

فيقول مَلَكٌ من الملائكة: فيهم فلانٌ ليس منهم، إنَّما جاء لِحَاجة. قال: هم الجُلَسَاءُ لا يَشْقَىٰ بهم جَلِيسُهمْ»[1].

فهذا من بركتهم علىٰ نفوسهم وعلىٰ جليسهم، فلهم نصيب من قوله تعالىٰ: ﴿وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ﴾ [مريم:٣١]، فهكذا المؤمن مبارك أين حَلَّ، والفاجر مشؤوم أين حَلّ.

فمجالس الذكر مجالس الملائكة، ومجالس الغفلة مجالس الشياطين، وكلٌّ مضافٌ إلىٰ شكله وأشباهه، وكلُّ امرئ يَصْبُو إلىٰ ما يناسبه.

الثالثة والخمسون: أن الله ﷻ يباهي بالذاكرين ملائكتَه، كما روىٰ مسلم في «صحيحه» عن أبي سعيد الخدري قال: خرج معاويةُ علىٰ حَلْقَةٍ في المسجد، فقال: ما أَجْلَسَكُمْ؟ قالوا: جلسْنَا نَذْكُر الله تعالىٰ. قال: آللهِ ما أجْلَسكُم إلَّا ذاك؟ قالوا: والله ما أَجْلَسَنا إلَّا ذاك.

قال: أما إنِّي لم أسْتَحْلِفْكُم تُهْمَةً لكم، وما كان أحَدٌ بمنزلتي من رسول الله ﷺ أقلَّ عنه حديثًا مني، وإنَّ رسول الله ﷺ خرج علىٰ حَلْقَةٍ من أصحابه، فقال: «**ما أَجْلَسَكُم**»؟ قالوا: جلسنا نَذْكُرُ الله تعالىٰ ونحْمَدُه علىٰ ما هدانا للإسلام ومنَّ به علينا.

---

(١) «صحيح البخاري» (٦٠٤٨)، و«صحيح مسلم» (٢٦٨٩).

قال: «**آللهِ ما أجْلَسُكُم إلّا ذاك؟**» قالوا: والله ما أجْلَسَنا إلّا ذَاك.

قال: «**أما إنِّي لم أستَحْلِفْكُم تُهْمَةً لكم، ولكنّه أتاني جبريلُ فأخبرني أنّ الله تباركَ وتعالىٰ يباهي بِكم الملائكة**»(١).

فهذه المباهاة من الرب تبارك وتعالىٰ دليلٌ علىٰ شرف الذكر عنده، ومحبته له، وأن له مَزِيَّة علىٰ غيره من الأعمال.

الرابعة والخمسون: أنّ مُدْمِنَ الذِّكْر يدخل الجنة وهو يضحك؛ لما ذكر ابن أبي الدنيا عن عبد الرحمن بن مهدي، عن معاوية بن صالح، عن عبد الرحمن بن جبير بن نفير الحضرمي، عن أبيه، عن أبي الدرداء قال: «الذين لا تَزالُ ألسنتهم رَطْبَةً مِنْ ذكر الله ﷻ يدخل أحدهم الجنّة وهو يَضْحَك»(٢).

الخامسة والخمسون: أن جميع الأعمال إنما شُرِعَتْ إقامةً لذكر الله تعالىٰ، والمقصودُ بها تحصيلُ ذكر الله تعالىٰ.

قال سبحانه وتعالىٰ: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ﴾ [طه:١٤].

قيل: المصدر مُضَافٌ إلىٰ الفاعل، أي: لأذكرك بها.

وقيل مضافٌ إلىٰ المذكور، أي: لِتَذْكُرَنِي بها، واللام علىٰ هذا لام التعليل.

وقيل: هي اللام الوقتية، أي: أقم الصلاة عند ذكري، كقوله: ﴿أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمۡسِ﴾ [الإسراء:٧٨]، وقوله: ﴿وَنَضَعُ ٱلۡمَوَٰزِينَ ٱلۡقِسۡطَ لِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ﴾ [الأنبياء:٤٧]، وهذا المعنىٰ حقٌّ يراد بالآية، لَكنَّ تفسيرها به وأنه هو معناها فيه نظر؛ لأن هذه اللام الوقتية يليها أسماء الزمان والظّروف، والذِّكْرُ مصدر، إلا أن يُقَدَّر بزمان محذوف، أي: عند وقتِ ذكرىٰ، وهذا محتمل.

---

(١) «صحيح مسلم» (٢٧٠١).

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة في «المصنّف» (١٠/ ٣٠٣)، و (١٣/ ٤٥٧)، وأحمد في «الزهد» (١٣٦)، وأبو نعيم في «الحلية» (١/ ٢١٩) وغيرهم، بإسنادٍ حسن.

والأظهر: أنها لام التعليل، أي: أقمِ الصلاة لأجل ذكري، ويلزم من هذا أن تكون إقامتها عند ذكره، وإذا ذَكَرَ العبدُ ربَّه فذِكْرُ الله تعالىٰ سابقٌ علىٰ ذِكره، فإنه لمّا ذَكَره ألهمه ذِكْرَه، فالمعاني الثلاثة حقّ.

وقال سبحانه وتعالىٰ: ﴿ٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ ۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۗ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ﴾ [العنكبوت:٤٥].

فقيل: المعنىٰ: إنكم في الصلاة تذكرون الله، وهو ذَاكِرٌ مَنْ ذَكَره، ولَذِكْرُ اللهِ تعالىٰ إيَّاكُم أكبرُ من ذِكْركم إياه. وهذا يُروىٰ عن ابن عباس، وسلمان، وأبي الدرداء، وابن مسعود، رضي الله عنهم[1].

وذكر ابن أبي الدنيا عن فضيل بن مرزوق عن عطية: ﴿وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ﴾ قال: هو قول الله تعالىٰ: ﴿فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ﴾، فذِكْرُ الله تعالىٰ لكم أكبر من ذكركم إيَّاه[2].

وقال ابن زيد وقتادة: معناه: ولذكر الله أكبر من كل شيء[3].

وقيل لسلمان: أي الأعمال أفضل؟ فقال: أما تقرأ القرآن؟! ﴿وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ﴾[4].

ويشهد لهذا حديث أبي الدرداء المتقدم: «**ألَا أنبئُكم بخَيْرِ أعْمَالِكُمْ، وأزْكاها عِندَ مليكِكُم، وخيرٍ لكم من إنْفاق الذَّهَبِ والوَرِق**. . .» الحديث[5].

وكان شيخ الإسلام أبو العباس قدس الله روحه يقول: الصحيح أن معنىٰ الآية: أن الصلاة فيها مقصودان عظيمان، وأحدهما أعظم من الآخر، فإنها تنهىٰ عن

---

(١) انظر: «تفسير الطبري» (٢٠/ ٤٢ - ٤٤)، و«الدر المنثور» (٦/ ٤٦٦ - ٤٦٧).

(٢) أخرجه الطبري في «التفسير» (٢٠/ ٤٣).

(٣) أخرجه الطبريّ (٢٠/ ٤٥) عن قتادة.

(٤) أخرجه الطبري (٢٠/ ٤٤).

(٥) انظر ما تقدّم ص(٥٩).

الفحشاء والمنكر، وهي مشتملة علىٰ ذكر الله تعالىٰ، وَلما فيها من ذكر الله أعظم من نهيها عن الفحشاء والمنكر.

وذكر ابن أبي الدنيا عن ابن عباس أنه سئل: أي العمل أفضل؟ قال: ذكر الله أكبر[١].

وفي «السنن» عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا عن النبي ﷺ قال: «**إنَّما جُعِلَ الطَّوافُ بالبَيْتِ، وبَيْن الصَّفا والمَرْوَةِ، وَرَمْيُ الجِمَارِ؛ لإقامة ذِكرِ الله تعالىٰ**». رواه أبو داود والترمذي وقال: حديث حسن صحيح[٢].

السادسة والخمسون: أن أفضلَ أهلِ كلِّ عملٍ أكثرُهم فيه ذكرًا لله عَزَّ وَجَلَّ، فأفضل الصُّوَّام أكثرُهم ذِكرًا لله عَزَّ وَجَلَّ في صومهم، وأفضل المتصدِّقين أكثرهم ذكرًا لله عَزَّ وَجَلَّ، وأفضل الحجاج أكثرهم ذِكرًا لله عَزَّ وَجَلَّ، وهكذا سائر الأعمال.

وقد ذكر ابن أبي الدنيا حديثًا مرسلًا في ذلك: أن النبيَّ ﷺ سُئل: أيُّ أهل المسجد خير؟ قال: «**أكثرهم ذكرًا لله عَزَّ وَجَلَّ**». قيل: فأيُّ أهل الجنازة خير؟ قال: «**أكثرهم ذكرًا لله عَزَّ وَجَلَّ**». قيل: فأيُّ المجاهدين خير؟ قال: «**أكثرهم ذكرًا لله عَزَّ وَجَلَّ**». قيل: فأيُّ الحُجَّاج خير؟ قال: «**أكثرهم ذكرًا لله عَزَّ وَجَلَّ**». قيل: وأي العُوَّادِ[٣] خير؟ قال: «**أكثرهم ذكرًا لله عَزَّ وَجَلَّ**». قال أبو بكر: ذهب الذَّاكرون بالخير كلِّه[٤].

وقال عبيد بن عمير: إِنْ أعظَمَكم هذا الليلُ أن تُكابِدوه، وبَخِلْتُمْ علىٰ المال أن

---

(١) أخرجه محمد بن فضيل الضبيّ في «الدعاء» (٢٧٩)، وابن أبي شيبة في «المصنَّف» (١٠/ ٥٦٤)، ومُسدَّد في «مسنده» (٣/ ٢٩ - المطالب العالية)، والبيهقي في «الشعب» (٤/ ٥٩٣) بإسنادٍ حسن.

(٢) أخرجه أبو داود (١٨٨٣)، والترمذي (٩٠٢)، وأحمد (٨/ ٨٦) وغيرهم، وصحّحه مرفوعًا ابن خزيمة، والحاكم، وقال الترمذي: «هذا حديث حسن صحيح».

(٣) لعلّ المقصود: عُوَّاد المرضىٰ.

(٤) أخرجه ابن المبارك في «الزهد» (٥٠١) من حديث أبي سعيد المقبري مرسلاً، ورُوِي موصولاً من حديث معاذ بن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرفوعًا عند أحمد (٥/ ٣٧٢)، وغيره، بإسنادٍ ضعيف.

تُنْفِقُوه، وجَبُنْتُم عن العدوِّ أن تقاتلوه = فَأكْثِروا من ذِكْرِ الله ﷻ[(١)].

السابعة والخمسون: أنّ إدامة الذكر تنوب عن التطوعات، وتقوم مقامها، سواء كانت بدنيّة، أو ماليّة، أو بدنية مالية كحج التطوع.

وقد جاء ذلك صريحًا في حديث أبي هريرة: أن فقراء المهاجرين أتَوْا رسولَ الله ﷺ فقالوا: يا رسول الله ذَهَبَ أَهْلُ الدُّثُورِ بالدَّرجَاتِ العُلىٰ، والنَّعيم المُقيم، يُصلُّونَ كما نُصلِّي ويَصُومُونَ كما نَصُومُ، ولهُمْ فَضْلُ أمْوال يَحُجُّون بها، ويَعْتَمِرُون، ويجاهِدُون.

فقال: «**ألا أعَلِّمُكُم شَيْئًا تُدْرِكُون به مَنْ سبَقَكُم، وتَسْبِقُون به من بَعْدَكُم، ولا أحَد يكُونَ أَفْضلَ مِنْكُم إلا من صنع مِثْلَ ما صنَعْتُم**»؟ قالوا: بلىٰ يا رسول الله. قال: «**تُسَبِّحُون، وتَحْمَدُون، وتُكبِّرُونَ خَلْفَ كلِّ صلاة. . .**» الحديث. متفق عليه[(٢)].

فجعل الذِّكر عِوَضًا لهم عما فاتهم من الحج والعمرة والجهاد، وأخبر أنهم يَسْبِقُونَهُم بهذا الذِّكر، فلما سمع أهل الدُّثُور بذلك عملوا به، فازدادوا -إلىٰ صدقاتهم وعباداتهم بمالهم- التعبُّدَ بهذا الذِّكر، فحازوا الفضيلتين، فنافسهم الفقراء وأخبروا رسول الله ﷺ بأنهم قد شاركوهم في ذلك، وانفردوا عنهم بما لا قدرة لهم عليه، فقال: «**ذَلكَ فَضْلُ الله يُؤتِيه من يَشَاء**».

وفي حديث عبد الله بن بسر قال: جاء أعرابي فقال: يا رسول الله، كثرت عليَّ خِلال الإسلام وشرائِعُه، فأخبرني بأمرٍ جامعٍ يكفيني. قال: «**عَلَيْكَ بِذِكْرِ الله تعالىٰ**»

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في «المصنّف» (١٠/ ٣٩٢)، وأحمد في «الزهد» (٣٧٨ - ٣٧٩)، وغيرهما. وأخرجه ابن أبي شيبة في «المصنّف» (١٠/ ٣٩١) -أيضًا- عن ابن مسعود رضي الله عنه بإسنادٍ حسن.

(٢) «صحيح البخاري» (٨٣٤، ٦٣٢٩)، و«صحيح مسلم» (٥٩٥).

قال: ويكفيني يا رسول الله؟ قال: «**نعم، ويَفْضُلُ عنْكَ**»[١].

فَدَلَّهُ الناصح ﷺ علىٰ شيءٍ يَبْعَثُه علىٰ شرائع الإسلام والحرص عليها والاستكثار منها، فإنه إذا اتخذ ذكر الله تعالىٰ شعاره أَحَبَّه وأحبَّ ما يُحِبّ، فلا شيء أحب إليه من التقرب بشرائع الإسلام، فلذلك دَلَّه ﷺ علىٰ ما يَتَمَكَّن به من شرائع الإسلام، وتسهل به عليه، وهو ذكر الله ﷻ. يوضِّحُه:

الثامنة والخمسون: أن ذكر الله ﷻ من أكبر العون علىٰ طاعته؛ فإنه يُحَبِّبُها إلىٰ العبد، ويُسَهِّلها عليه، ويُلَذِّذُها له، ويجعل قرة عينه فيها، ونعيمَه وسرورَه بها، بحيث لا يجد لها من الكلفة والمشقة والثِّقَل ما يجد الغافل، والتجربة شاهدة بذلك. يوضِّحُه:

التاسعة والخمسون: أن ذكر الله ﷻ يُسَهِّل الصَّعْب، ويُيَسِّر العسير، ويُخفِّفُ المَشَاقَّ، فما ذُكِر الله ﷻ علىٰ صعبٍ إلا هان، ولا علىٰ عَسيرٍ إلا تيَسَّر، ولا مشقَّةٍ إلا خَفَّتْ، ولا شِدَّةٍ إلَّا زَالت، ولا كُرْبَةٍ إلا انفرجت، فَذِكْرُ الله تعالىٰ هو الفرج بعد الشدة، واليُسْرُ بعد العُسْرِ، والفرج بعد الغم والهم. يوضحه:

الستون: أن ذكر الله ﷻ يُذْهِب عن القلب مَخَاوِفَه كلَّها، وله تأثير عجيب في حصول الأمن، فليس للخائف الذي قد اشتد خوفه أنفع من ذكر الله ﷻ، فإنّه بحسب ذكره يجد الأمن ويزول خوفه، حتىٰ كأن المخاوفَ التي يحذرها أمانٌ له، والغافلُ خائف مع أَمْنِه، حتىٰ كأنَّ ما هو فيه من الأمنِ كلِّه مخاوفٌ، ومَنْ له أدنىٰ حِسٍّ قد جَرَّبَ هذا وهذا. والله المستعان.

الحادية والستون: أن الذكر يُعْطِي الذَّاكر قُوَّةً، حتىٰ إنه ليفعل مع الذكر ما لا يُطِيق فِعْلَه بدونه، وقد شاهدتُ من قوة شيخ الإسلام ابن تيمية قدس الله روحه في

(١) تقدم تخريجه ص(٦٠)، وأخرجه باللفظ المذكور هنا ابنُ أبي عاصم في «الآحاد والمثاني» (٣/ ٥١).

مِشْيته، وكلامه، وإقدامه، وكتابته، أمرًا عجيبًا؛ فكان يكتب في اليوم من التصنيف ما يكتبه الناسخ في جُمعة أو أكثر، وقد شاهد العَسْكرُ من قُوَّتِه في الحرب أمرًا عظيمًا.

وقد علَّم النبي ﷺ ابنته فاطمة وعليًّا -رضي الله تعالىٰ عنهما- أن يسبِّحا كل ليلة إذا أخذا مضاجِعَهما ثلاثًا وثلاثين، ويَحْمَدا ثلاثًا وثلاثين، ويكبِّرا أربعًا وثلاثين؛ لمَّا سألَتْهُ الخَادِمَ، وشكَتْ إليه ما تقاسيه من الطَّحْنِ والسَّعْي والخِدْمَةِ، فعلَّمها ذلك، وقال: «**إنَّه خَيْرٌ لكما من خادم**»[1].

فقيل: إنَّ من داوم علىٰ ذلك وجد قوةً في بدنه مُغْنِيةً عن خادم.

وسمعت شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالىٰ يذكر أثرًا في هذا الباب، وهو: أنَّ الملائكة لما أُمِروا بِحَمْلِ العرش قالوا: يا ربنا، كيف نحمل عرشك وعليه عظمتك وجلالك؟ فقال: قولوا: لا حول ولا قوة إلا بالله العليّ العظيم، فلما قالوها حملوه، حتىٰ رأيت ابن أبي الدنيا قد ذكر هذا الأثر بعينه عن الليث بن سعد، عن معاوية بن صالح قال: حدثنا مَشْيَخَتُنا أنه بلغهم: أنَّ أول ما خلق الله ﷻ -حين كان عرشه علىٰ الماء- حَمَلَةَ العرش قالوا: ربنا لِم خلَقْتَنَا؟ قال: خلقتكم لحمل عرشي. قالوا: ربَّنا، وَمَنْ يَقْوَىٰ علىٰ حملِ عرشِكَ وعليه عظَمَتُك وجلالُك وَوَقارُك؟ قال: لذلك خلقتكم. فأعادوا عليه ذلك مرارًا، فقال لهم: قولوا: لا حول ولا قوة إلا بالله. فحملوه[2].

وهذه الكلمة لها تأثير عجيب في معاناة الأشغال الصعبة، وَتَحَمُّلِ المَشَاقِّ، والدخول علىٰ المُلوك، وَمْن يُخاف، وركوب الأهوال.

---

(١) أخرجه البخاري (٣٧٠٥)، ومسلم (٢٧٢٧) من حديث عليٍّ رضي الله عنه.

(٢) أخرجه الدارمي في «ردّه علىٰ المريسي» (١٠٤)، وأخرج الطبريُّ (٢٣/ ٥٨٣) نحوه عن ابن زيدٍ مرفوعًا معلقًا، وأخرجه أبو الشيخ في «العظمة» (٣/ ٩٥٥) من قولِ وهب بن منبّه. وهو من الإسرائيليات.

ولها أيضًا تأثير عجيب في دفع الفقر، كما روىٰ ابن أبي الدنيا عن الليث بن سعد، عن معاوية بن صالح، عن أسد بن وداعة قال: قال رسول الله ﷺ: **«مَنْ قال: لا حَوْلَ ولا قُوَّةَ إلَّا بالله مائة مرَّة في كل يوْم لم يُصِبْه فَقْرٌ أبَدًا»**[١].

وكان حبيب بن مسلمة يستحب إذا لقي عدُوًّا، أو ناهَضَ حصْنًا قوْلَ: لا حَوْلَ ولا قُوَّة إلَّا بالله. وإنَّهُ نَاهَضَ يومًا حِصْنًا فانهزم الرُّوم، فقالها المسلمون وكبَّروا، فانْصَدَعَ الحِصْن[٢].

الثانية والستون: أن عُمَّال الآخرة في مضمار السباق، والذاكرون هم أسبقهم في ذلك المضمار، ولكن القَتَر والغبار يمنع من رؤية سَبْقِهم، فإذا انجلىٰ الغبار وانكشفَ رآهم الناس وقد حازوا قَصَبَ السَّبْق.

قال الوليد بن مسلم: حدثنا محمد بن عجلان: سمعت عمر مولىٰ غفرة يقول: إذا انكَشَف الغِطَاءُ للنَّاس يوم القيامة عن ثواب أعمالهم لم يَرَوْا عملًا أفضل ثوابًا من الذِّكْر، فَيَتَحَسَّرُ عند ذلك أقوامٌ، فيقولون: ما كان شيء أيْسر علينا من الذِّكْر.

وقال أبو هريرة: قال رسول الله ﷺ: **«سيرُوا، سَبَقَ المُفَرِّدُونَ»** قالوا: وما المُفَرِّدُونَ؟ قال: **«الذين أُهْتِرُوْا في ذِكْرِ الله تعالىٰ، يَضَعُ الذكرُ عنهم أوزارَهم»**[٣].

أُهْتِرُوا بالشيء وفيه: أُولِعُوا به ولَزِمُوه وجعلوه دَأْبهم.

وفي بعض ألفاظ الحديث: «المُسْتَهْتَرُون بذِكْرِ الله».

ومعناه: الذين أُولِعوا به. يقال: استُهْتِرَ فلانٌ بكذا؛ إذا أُولِع بِه.

وفيه تفسير آخر: أنّ «أُهْتِرُوا في ذكر الله» أي: كَبُروا وهَلَكَ أقرانُهم وهم في ذكر الله تعالىٰ.

---

(١) لم أقف عليه. وهو علىٰ كلِّ حالٍ مرسلٌ، وانظر: «الترغيب والترهيب» للمنذري (٢/ ٤٤١).

(٢) أخرجه البيهقي في «دلائل النبوّة» (٦/ ١١٣)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (١٢/ ٧٧).

(٣) أخرجه الترمذي (٣٥٩٦)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٢/ ٤٠٣)، وغيرهما قال الترمذي: «هذا حديث حسن غريب»، وأصلُ الحديث في «صحيح مسلم» (٢٦٧٦).

يقال: أَهْتَرَ الرجلُ، فهو مُهْتِر: إذا أَسْقَطَ في كلامه من الكِبَر. والهِتْرُ: السَّقَطُ من الكلام؛ كأنه بقي في ذكر الله تعالىٰ حتىٰ خَرِفَ وأنكر عقله. والهِتْرُ: الباطل أيضًا. ورجل مُسْتَهْتَر: إذا كان كثير الأباطيل.

وفي حديث ابن عمر: «أعوذ بالله أن أكون من المُسْتَهْتَرين»[1].

وحقيقة لفظ الاستهتار: الإكثار من الشيء، والولوع به، حقًّا كان أو باطلًا، وغلب في عُرفِ الناس استعماله علىٰ المُبْطِل، حتىٰ إذا قيل: فلان مُسْتَهْتَر، لا يُفْهَم منه إلا الباطل. وإنما إذا قُيِّد بشيءٍ تقيَّدَ به، نحو: هو مُسْتَهْتَر، أو قد أُهْتِرَ في ذكر الله تعالىٰ؛ أي: أُولِع به وأُغْرِيَ به.

ويقال: استُهْتِرَ فيه وَبِه.

وتفسير هذا في الأثر الآخر: «أَكْثِرُوا ذِكْرَ الله تعالىٰ حتىٰ يُقال: مجْنُونٌ»[2].

الثالثة والستون: أن الذكر سببٌ لتصديق الرب ﷻ عبدَه، فإنه خَبَرٌ عن الله تعالىٰ بأوصاف كماله ونعوت جلاله، فإذا أخبر بها العبد صدَّقه ربُّه، ومن صدَّقه الله تعالىٰ لم يُحْشَرْ مع الكاذبين، ورُجِيَ له أن يُحْشَر مع الصادقين.

روىٰ أبو إسحاق عن الأغَرِّ أبي مسلم، أنه شهد علىٰ أبي هريرة وأبي سعيد الخدري رضي الله عنهما أنهما شهدا علىٰ رسول الله ﷺ أنه قال: «**إذا قال العَبْدُ: لا إله إلا الله والله أكبر، قال: يقول الله تبارك وتعالىٰ: صَدَقَ عَبْدِي. لا إله إلا أنا، وأَنَا أَكْبَرُ. وإذا قال: لا إله إلا الله وحده، قال: صدق عبدي، لا إله إلا أنا وَحْدي. وإذا قال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، قال: صدق عبدي، لا إله إلّا أنا، ولا شريك لي. وإذا قال: لا إله إلّا الله له الملك وله الحمد، قال: صدق عبدي، لا إله إلّا أنا، لي الملك ولي**

(١) لم أقف عليه. وانظر: «النهاية في غريب الحديث» (٥/ ٢٤٢).

(٢) تقدم تخريجه ص(٦٤).

الحمد. وإذا قال: لا إله إلا الله، ولا حول ولا قوة إلا بالله، قال: صدق عبدي، **لا إله إلا أنا، ولا حول ولا قوة إلا بي»**.

قال أبو إسحاق: ثم قال الأغرُّ شيئًا لم أفهَمْهُ. قلت لأبي جعفر: ما قال؟ قال: «مَنْ رُزِقَهُنَّ عند مَوْته لم تَمَسَّهُ النَّار»[1].

الرابعة والستون: أَنَّ دُورَ الجنّة تُبْنَىٰ بالذكر، فإذا أَمْسَكَ الذاكرُ عن الذكر أَمْسَكتِ الملائكةُ عن البناء، فإذا أَخَذَ في الذكر أخذوا في البناء.

وذكر ابن أبي الدنيا في كتابه، عن حكيم بن محمد الأخنسي قال: بلغني أن دُورَ الجنة تُبْنَىٰ بالذكر، فإذا أُمْسِكَ عن الذكر أَمْسَكُوا عن البناء، فيقال لهم، فيقولون: حتىٰ تأتينا نفقة.

وذكر ابن أبي الدنيا من حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: قال: «**مَنْ قالَ: سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم -سبع مرات- بُنِيَ له بُرْجٌ في الجنّة**»[2].

وكما أن بناءها بالذكر، فَغِراسُ بساتينها بالذكر، كما تقدم في حديث النبي ﷺ عن إبراهيم الخليل عليه السلام: «**أن الجنة طَيِّبةُ التُّرْبَة، عَذْبَةُ الماء، وأَنَّها قِيعَان، وَأَنَّ غِراسَها: سُبْحانَ الله، والحمدُ لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر**»[3].

فالذكرُ غِراسُها وبناؤها.

وذكر ابن أبي الدنيا من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، أن رسول الله ﷺ قال: «**أكثروا مِنْ غِراس الجنة**» قالوا: يا رسول الله، وما غِراسُها؟ قال: «**ما شاء الله،**

(١) أخرجه الترمذي (٣٤٣٠)، وابن ماجه (٣٧٩٤)، وغيرهما، قال الترمذي: «هذا حديث حسن غريب».
(٢) أخرجه البخاري في «التاريخ الكبير» (٣/ ٥٢٢) موقوفًا بإسناد ضعيف.
(٣) تقدم تخريجه ص(٦٩).

لا حول ولا قوة إلا بالله»[١].

الخامسة والستون: أنَّ الذكر سَدٌّ بين العبد وبين جهنم، فإذا كانت له إلىٰ جهنم طريقٌ من عملٍ من الأعمال كان الذكر سَدًّا في تلك الطريق، فإذا كان ذِكْرًا دائمًا كاملًا كان سَدًّا مُحْكَمًا لا مَنْفَذَ فيه، وإلا فَبِحَسَبِه.

قال عبد العزيز بن أبي رَوَّاد: كان رجل بالبادية قد اتخذ مسجدًا، فجعل في قِبْلته سبعة أحجار، وكان إذا قضىٰ صلاته قال: يا أحجار! أُشْهِدُكم أن لا إله إلا الله. قال: فمرض الرجل، فَعُرِجَ بروحه. قال. فرأيت في منامي أنه أُمِر بي إلىٰ النار. قال: فرأيت حجرًا من تلك الأحجار أعرفه قد عَظُم، فَسَدَّ عني بابًا من أبواب جهنم. قال: ثم أُتِي بي إلىٰ الباب الآخر، فإذا حجرٌ من تلك الأحجار أعرفه قد عَظُم، فسَدَّ عني بابًا من أبواب جهنم، حتىٰ سَدَّتْ عني بقيةُ الأحجار أبوابَ جهنم[٢].

السادسة والستون: أن الملائكة تستغفر للذاكر كما تستغفر للتائب، كما روىٰ حسين المعلِّم، عن عبد الله بن بريدة، عن عامر الشعبي، عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: أَجِدُ في كتاب الله المُنزل: أن العبد إذا قال: «الحمد لله» قالت الملائكة: «رَبِّ العالمين»، وإذا قال: «الحمد لله ربِّ العالمين» قالت الملائكة: «اللَّهُمَّ اغفِرْ لِعَبْدِك»، وإذا قال: «سُبْحَانَ الله» قالت الملائكة: «وَبِحَمْدِه»، وإذا قال: «سبحان الله وبحمده» قالت الملائكة: «اللَّهُمَّ اغفِرْ لِعَبْدِك»، وإذا قال: «لا إله إلا الله» قالت الملائكة: «والله أكبر»، وإذا قال: «لا إله إلا الله والله أكبر» قالت الملائكة: «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِعَبْدِكَ»[٣].

---

(١) أخرجه الخطيب البغدادي في «موضح أوهام الجمع والتفريق» (١/ ٤١٧) من طريق ابن أبي الدنيا، والطبراني في «الكبير» (١٢/ ٢٧٩) بإسنادٍ ضعيف.

(٢) أخرجه أبو القاسم التيمي الأصبهاني في «الترغيب والترهيب» (٢٥١٥).

(٣) لم أجده.

السابعة والستون: أنَّ الجبال والقفَار تتَباهىٰ، وتَسْتَبْشِر بمن يذكر الله ﷻ عليها.

قال ابن مسعود رضي الله عنه: إن الجبل لينادي الجبل باسمه: أَمَرَّ بك اليوم أحد يذكر الله ﷻ؟ فإذا قال: «نعم» اسْتَبْشَر[١].

وقال عون بن عبد الله: إن البقاع لينادي بعضها بعضًا: يا جارتاه! أَمَرَّ بِكِ اليوم أحد يذكر الله؟ فقائلة: نعم، وقائلة: لا[٢].

وقال الأعمش عن مجاهد: إن الجبل لينادي الجبل باسمه: يا فلان! هل مَرَّ بك اليوم ذاكرٌ لله ﷻ؟ فَمِنْ قائلٍ: لا، ومِنْ قائلٍ: نعم[٣].

الثامنة والستون: أنَّ كثرة ذكر الله ﷻ أمانٌ من النفاق؛ فإن المنافقين قليلو الذكر لله ﷻ.

قال الله ﷻ في المنافقين: ﴿وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [النساء:١٤٢].

وقال كعب: مَنْ أَكْثَر ذكر الله ﷻ برئ من النفاق[٤].

ولهذا -والله أعلم- ختم الله تعالىٰ سورة المنافقين بقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ [المنافقون:٩]؛ فإن في ذلك تحذيرًا من فتنة المنافقين الذين غفلوا عن ذكر الله ﷻ، فوقعوا في النفاق.

---

(١) أخرجه ابن المبارك في «الزهد» (١١٢ - ١١٣)، وابن أبي شيبة (١٣/ ٣٠٥)، وغيرهما بإسنادٍ حسن.

(٢) أخرج أبو الشيخ في «العظمة» (٥/ ١٧١٧)، وأبو نعيم في «الحلية» (٤/ ٢٤٢) عن ابن عونٍ قريبًا من المرويّ آنفًا عن ابن مسعودٍ رضي الله عنه.

(٣) ورد بعضه عن أنس موقوفًا عند ابن أبي شيبة في «المصنف» (١٣/ ٣٦٥)، وابن المبارك في «الزهد» (١١٣). ورُوِي عنه مرفوعًا، ولا يصحّ.

(٤) أخرجه البيهقي في «شعب الإيمان» (٢/ ٤٦٩ - ٤٧٠). ورُوِىَ عن أبي هريرة مرفوعًا، ولا يصحّ.

وسُئِل بعض الصحابة رضي الله عنهم عن الخوارج: أمنافقون هم؟ قال: لا، المنافقون لا يذكرون الله إلا قليلًا[١].

فهذا من علامة النفاق: قِلَّةُ ذِكْرِ الله عز وجل. وكثرةُ ذكره أمانٌ من النفاق، والله عز وجل أكرمُ من أن يبتلي قلبًا ذاكرًا بالنفاق، وإنما ذلك لقلوبٍ غفلت عن ذكر الله عز وجل.

التاسعة والستون: أن للذكر من بين الأعمال لَذَّةً لا يشبهها شيء، فلو لم يكن للعبد من ثوابه إلا اللذةُ الحاصلة للذاكر، والنعيمُ الذي يحصل لقلبه لكفىٰ به، ولهذا سُمِّيَتْ مجالسُ الذكر رياضَ الجنة.

قال مالك بن دينار: ما تَلَذَّذَ المُتَلَذِّذُون بمثل ذكر الله عز وجل[٢].

فليس شيء من الأعمال أخفُّ مؤونةً منه، ولا أعظم لذة، ولا أكثر فرحة وابتهاجًا للقلب.

السبعون: أنه يكسو الوجه نُضْرةً في الدنيا، ونورًا في الآخرة، فالذاكرون أَنْضَرُ الناسِ وجوهًا في الدنيا، وأَنْوَرُهُم في الآخرة.

ومن المراسيل عن النبي ﷺ قال: «**مَنْ قال كل يوم مائة مرة: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد يحي ويميت بيده الخير وهو علىٰ كل شيء قدير؛ أتىٰ الله تعالىٰ يوم القيامة ووجهه أشدُّ بياضًا من القمر ليلة البدر**»[٣].

الحادية والسبعون: أن في دوام الذكر في الطريق، والبيت، والحضر، والسفر،

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في «المصنّف» (١٥/ ٢٥٦)، وعبد الرزاق في «المصنّف» (١٠/ ١٥٠)، ومحمد بن نصر المروزي في «تعظيم قدر الصلاة» (٢/ ٥٤٣) وغيرهم بأسانيد بعضها صحيح.

(٢) أخرجه البيهقي في «شعب الإيمان» (٢/ ٥٨٩)، وأحمد في «الزهد» (٣٢١) بلفظ مقارب.

(٣) أخرجه بنحوه الطبراني في «مسند الشاميّين» (٢/ ١٠٣) عن أبي الدرداء مرفوعًا، وسنده ضعيف، وأخرجه الأصبهاني في «الترغيب والترهيب» (٢٥١٣) عن ابن أبي عياش من قوله، إلّا أنه قال: «مائتي مرة».

والبقاع = تكثيرَ الشهود للعبد يوم القيامة؛ فإن البقعة، والدار، والجبل، والأرض تشهد للذاكر يوم القيامة.

قال الله تعالىٰ: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ۝١ وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ۝٢ وَقَالَ ٱلْإِنسَٰنُ مَا لَهَا ۝٣ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ۝٤ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا﴾ [الزلزلة:١-٥]

فروىٰ الترمذي في «جامعه» من حديث سعيد المقبري، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قرأ رسول الله ﷺ هذه الآية ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا﴾، قال: «**أَتَدْرُونَ ما أخْبارُها؟** » قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: «**فإنَّ أخْبارها أنْ تشهدَ علىٰ كُلِّ عَبْدٍ أوْ أَمَةٍ بما عَمِلَ علىٰ ظَهْرِها، تقول: عَمِلَ يوم كذا، كذا وكذا**» قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح[1].

والذاكرُ لله عز وجل في سائر البقاع يَكْثُرُ شهوده، ولعلهم أو أكثرهم أن يقبلوا يوم قيام الأشهاد، وأداء الشهادات، فيفرح ويغتبط بشهادتهم.

الثانية والسبعون: أن في الاشتغال بالذكر اشتغالًا عن الكلام الباطل من الغيبة، والنميمة، واللغو، ومدح الناس، وذَمِّهم، وغير ذلك، فإن اللسان لا يسكت ألبتة؛ فإما لسانٌ ذاكرٌ، وإمَّا لِسَانٌ لاغٍ، ولابد من أحدهما.

فهي النفسُ إن لم تَشْغَلْها بالحق وإلا شَغَلَتْكَ بالباطل، وهو القلب إنْ لم تَسْكُنه محبةُ الله عز وجل، سَكَنَتْهُ محبة المخلوقين ولابُدّ، وهو اللسان إنْ لم تشغله بالذكر شغلك باللغو، وهو عليك ولابُدّ، فاختر لنفسك إحدىٰ الخُطَّتين، وأَنْزِلْها في إحدىٰ المنزلتين.

الثالثة والسبعون: وهي التي بدأنا بذكرها، وأشرنا إليها إشارة، فنذكرها هاهنا

(١) أخرجه الترمذي (٢٤٢٩، ٣٣٥٣)، وأحمد (٣/ ٣٨٢)، وغيرهما. وفيه «يحيىٰ بن أبي سليمان» وهو منكر الحديث.

مبسوطةً لعظيم الفائدة بها، وحاجة كل أحدٍ، بل ضرورتُه إليها، وهي أن الشياطين قد احْتَوَشَتْ العبد، وَهُمْ أعداؤه، فما ظنك برجل قد احْتَوَشه أعداؤه المُحْنِقُون عليه غيظًا، وأحاطوا به، وكُلٌّ منهم يناله بما يقدر عليه من الشَّرِّ والأذىٰ؟!

ولا سبيل إلىٰ تفريق جمعهم عنه إلا بذكر الله ﷻ.

وقد جاء في هذا الحديث العظيم، الشريفِ القدر، الذي ينبغي لكل مسلم أن يحفظه، فنذكره بطوله لعموم فائدته، وحاجة الخلق إليه، وهو حديث سعيد بن المسيب، عن عبد الرحمن بن سمرة بن حبيب قال: خرج علينا رسول الله ﷺ يومًا، ونحن في صُفَّةٍ بالمدينة، فقام علينا وقال: «**إني رأيْتُ البارِحَة عَجَبًا: رأيتُ رجلًا من أَمَّتي أتاه مَلَكُ الموت ليَقْبِض رُوحَهُ فجاءه بِرُّه بوالِدَيْه فردَّ مَلَك الموت عنه، ورأيت رجلًا قد بُسِط عليه عذاب القبر فجاءه وضوؤُه فاستنقذه من ذلك، ورأيتُ رجُلًا من أَمَّتي قد احْتَوَشَتْه الشياطين فجاءه ذكْرُ الله ﷻ فطرد الشيطان عنه، ورأيت رجلًا من أمتي قد احتوشته ملائكة العذاب فجاءته صلاتُه فاستنقذته من أيديهم، ورأيتُ رجلًا من أَمَّتي يلتهب -وفي رواية: يلهث- عَطَشًا، كلَّما دنا من حوضٍ مُنِعَ وطُرِد، فجاءه صيامه شهر رمضانَ فأسْقَاهُ وأرْوَاهُ، ورأيتُ رجلًا من أَمَّتي ورأيت النَّبِيِّين جُلوسًا حِلَقًا حِلَقًا، كلما دنا إلىٰ حَلْقَةٍ طُرِدَ، فجاءه غُسْلُه من الجنابة فأخذ بيده وأقعده إلىٰ جنبي، ورأيتُ رجلًا من أمتي بين يديه ظُلْمَة، ومن خلفه ظُلْمَة، وعن يمينه ظُلْمَة، وعن يساره ظُلْمَة، ومن فوقه ظُلْمَة، ومن تحته ظُلْمَة، وهو متحيِّر فيها، فجاءه حجُّه وعُمرتُه فاستخرجاه من الظلمة، وأدخلاه في النور، ورأيت رجلًا من أَمَّتي يتَّقي بيده وَهَجَ النار وشَرَرها فجاءته صدقته فصارت سُتْرةً بينه وبين النار، وظلَّلَتْ علىٰ رأسه، ورأيتُ رجلًا من أمتي يُكَلِّم المؤمنين ولا يكلِّمونه، فجاءته صِلَتُه لِرَحِمِه فقالت: يا معشر المسلمين! إنه كان وَصُولًا لِرَحِمِه فكلِّمُوه، فَكَلَّمَه**

المؤمنون وصافَحُوه وصافَحَهُم، ورأيتُ رجلًا من أمَّتي قد احْتَوَشَتْه الزَّبانِيَةُ، فجاءه أمره بالمعروف ونَهْيُه عن المنكر فاسْتَنْقَذَه من أيديهم، وأدخله في ملائكة الرحمة، ورأيت رجلًا من أمتي جاثيًا علىٰ رُكْبَتَيْه، وبينه وبين الله ﷻ حجاب، فجاءه حُسْنُ خُلُقِه، فأخذه بيده فأدخله علىٰ الله ﷻ، ورأيتُ رجلًا من أمتي قد ذهبَتْ صحيفته من قِبَل شماله، فجاءه خوفه من الله ﷻ فأخذ صحيفته فوضعها في يمينه، ورأيت رجلًا من أمتي خَفَّ ميزانُه، فجاءه أفراطُه فَثَقَّلُوا ميزانه، ورأيتُ رجلًا من أمتي قائمًا علىٰ شفير جهنم، فجاءه رجاؤه من الله ﷻ فاستنقذه من ذلك ومضىٰ، ورأيت رجلًا من أمتي قد هوىٰ في النار، فجاءته دمعته التي بكىٰ من خشية الله ﷻ فاستنقذته من ذلك، ورأيتُ رجلًا من أمتي قائمًا علىٰ الصراط يرعد كما ترعد السَّعَفَة في ريحٍ عاصف، فجاءه حُسْنُ ظَنِّه بالله ﷻ فسكَّن رِعْدَتَهُ ومضىٰ، ورأيتُ رجلًا من أمتي يَزْحَفُ علىٰ الصراط ويحبو أحيانًا، ويتعلق أحيانًا، فجاءته صلاته عليَّ فأقامته علىٰ قدميه وأنقذته، ورأيت رجلًا من أمتي انتهىٰ إلىٰ أبواب الجنة فغلِّقت الأبواب دونه، فجاءته شهادة أن لا إله إلا الله، ففتحت له الأبواب، وأدخلته الجنة»[1] . رواه الحافظ أبو موسىٰ المديني في كتاب «الترغيب في الخصال المنجية، والترهيب من الخلال المردية»، وبنىٰ كتابه عليه وجعله شرحًا له، وقال: هذا حديث حسن جدًّا، رواه عن سعيد بن المسيب: عمر بن ذر، وعلي بن زيد بن جدعان، وهلال أبو جبلة.

وكان شيخ الإسلام ابن تيمية قدس الله روحه يعظِّم شأن هذا الحديث، وبلغني عنه أنه كان يقول: شواهد الصحة عليه.

---

(١) أخرجه أبو القاسم التّيمي الأصبهاني في «الترغيب والترهيب» (١٠٤٩)، وبحشل في «تاريخ واسط» (١٨٩)، وابن بشران في «الأمالي» (٢٥٠) وغيرهم، من طرق عن عبد الرحمن بن سمرة، وليس فيها إسنادٌ قائم يصلح لحمل مثل هذا المتن، وقد مال المصنِّفُ رحمه الله تعالىٰ إلىٰ تقويته هنا وفي «الروح»، ونقل عن شيخ الإسلام ابن تيمية نحو ذلك.

والمقصودُ منه قوله ﷺ: «**ورأيت رجلًا من أمتي قد احتوشته الشياطين، فجاءه ذكر الله ﷻ، فطرد الشياطين عنه**»، فهذا مطابق لحديث الحارث الأشعري الذي شرحناه في هذه الرسالة.

وقوله فيه: «**وأَمَرَكُم بذكر الله ﷻ، وإن مَثَلَ ذلك كمَثَل رجل طلبه العدو، فانطلقوا في طلبه سِراعًا، وانطلق حتىٰ أتىٰ حصنًا حَصِينًا، فأحرز نفسه فيه**».

فكذلك الشيطان لا يُحْرِزُ العبادُ أنفسَهم منه إلا بذكر الله ﷻ.

وفي الترمذي عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «**من قال** -يعني إذا خرج من بيته-: **بسم الله، توكَّلْتُ علىٰ الله، لا حَوْلَ ولا قُوَّة إلا بالله؛ يقال له: كُفِيتَ وهُدِيتَ ووُقِيتَ، وتَنَحَّىٰ عنه الشيطان، فيقول لشيطان آخر: كيف لك برجل قد هُدِيَ وكُفِيَ وَوُقِيَ؟**». ورواه أبو داود والنسائي والترمذي وقال: حديث حسن[(١)].

وقد تقدم قوله ﷺ: «**مَنْ قال في يوم مائة مرة: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو علىٰ كل شيء قدير = كانت له حِرْزًا من الشيطان حتىٰ يُمسِي**»[(٢)].

وذكر سفيان عن أبي الزبير، عن عبد الله بن ضمرة، عن كعب قال: إذا خرج الرجل من بيته فقال: «بِسْمِ اللهِ» قال المَلَكُ: هُدِيتَ، وإذا قال: «توكَّلْتُ علىٰ الله» قال المَلَكُ: كُفِيت، وإذا قال: «لا حَوْلَ ولا قوّة إلا بالله «قال المَلَكُ: حُفِظْت. فيقول الشياطين بعضهم لبعض: ارجعوا، ليس لكم عليه سبيل، كيف لكم بمن كُفِيَ وهُدِيَ وحُفِظ؟»[(٣)].

وقال أبو خلاد البصري: من دخل في الإسلام دخل في حِصْن، ومن دخل

---

(١) سيأتي تخريجه ص(١٥٢).

(٢) تقدم تخريجه ص(٦٩).

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة (١٠/ ٢٠٨)، وأبو نعيم في «الحلية» (٥/ ٣٨٩) وغيرهما بإسناد صحيح.

المسجد فقد دخل في حِصْنَيْن، ومن جلس في حلقة يذكر الله ﷻ فيها فقد دخل في ثلاثة حصون.

وقد روىٰ الحافظ أبو موسىٰ في كتابه من حديث أبي عمران الجوني، عن أنس ابن مالك رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «**إذا وضع العبد جَنْبَه علىٰ فراشه، فقال: بسم الله، وقرأ فاتحة الكتاب؛ أَمِنَ من شرِّ الجنِّ والإنسِ، ومن شرِّ كلِّ شيء**»[١].

وفي «صحيح البخاري» عن محمد بن سيرين، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: وَلَّانِي رسول الله ﷺ زكاةَ رمضانَ أن أحتفظ بها، فأتاني آتٍ، فجعل يَحْثُو من الطَّعام، فأخذته، فقال: دَعْنِي فإني لا أعود. . . فذكر الحديث، وقال: فقال له في الثالثة: أُعَلِّمك كلماتٍ ينفعك الله بهن، إذا أَوَيْتَ إلىٰ فراشك فاقرأ آية الكرسي من أولها إلىٰ آخرها، فإنه لن يزال عليك من الله حافظ، ولا يقربك شيطان حتىٰ تصبح، فخَلَّىٰ سبيله، فأصبح، فأخبر النبي ﷺ بقوله، فقال: «**صَدَقَكَ، وهو كذوب**»[٢].

وذكر الحافظ أبو موسىٰ من حديث أبي الزبير عن جابر قال: قال: رسول الله ﷺ: «**إذا أوىٰ الإنسان إلىٰ فراشه ابْتَدَرَهُ مَلَكٌ وشَيْطَانٌ، فيقول المَلَكُ: اختم بخير، ويقولُ الشيطان، اختم بِشَرٍّ. فإذا ذكر الله تعالىٰ حتىٰ يغلبه -يعني النوم- طرد المَلَكُ الشيطانَ، وبات يكلؤه، فإذا استيقظ ابتدره مَلَكٌ وشيطانٌ، فيقول الملك: افتح بخير، ويقول الشيطان: افتح بِشَرٍّ، فإن قال: الحمد لله الذي أحيا نفسي بعد موتها ولم يُمِتْها في منامها، الحمد لله الذي يمسك التي قضىٰ عليها الموت ويرسل الأخرىٰ إلىٰ أجلٍ مسمىٰ، الحمد لله الذي يمسك السموات والأرض أن تزولا ولئن زالتا إنْ أمسكهما**

---

(١) أخرجه البزار (٤/ ٢٦)، والديلميُّ في «مسند الفردوس» (المداوي: ١/ ٤٧٩) بإسنادٍ ضعيف. وفي روايتيهما زيادة «قل هو الله أحد»، وفي آخره: «كل شيءٍ إلّا الموت».

(٢) «صحيح البخاري» (٢٣١١، ٣٢٧٥، ٥٠١٠) معلّقًا بصيغة الجزم. ووصله النسائي في «عمل اليوم والليلة» (٩٥٩)، وابن خزيمة في «صحيحه» (٢٤٢٤)، وغيرهما.

من أحد من بعده، الحمد لله الذي يمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه = طَرَدَ المَلَكُ الشيطانَ، وظل يَكْلَؤُه»[١] .

وفي «الصحيحين» من حديث سالم بن أبي الجعد، عن كريب، عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: **«أمَا لو أنَّ أحدكم إذا أتى أهْلَه قال: بسم الله، اللَّهُمَّ جَنِّبْنا الشيطانَ، وجَنِّب الشيطان ما رَزَقْتَنَا، فيولد بينهما ولد، لا يَضُرُّهُ شيطانٌ أبدًا»**[٢] .

وذكر الحافظ أبو موسى، عن الحسن بن علي قال: أنا ضامنٌ لمن قرأ هذه العشرين الآية أن يَعْصِمَهُ الله تعالى مِنْ كلِّ سلطانٍ ظالمٍ، ومن كلِّ شيطانٍ مَريدٍ، ومن كلِّ سَبُعٍ ضارٍ، ومن كلِّ لصٍّ عادٍ: آية الكرسي، وثلاث آيات من الأعراف: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ...﴾ [الأعراف:٥٤-٥٧]، وعشرًا من الصافات، وثلاث آياتٍ من الرحمن: ﴿يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ إِنِ ٱسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا۟ مِنْ أَقْطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ فَٱنفُذُوا۟ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَٰنٍ ﴿٣٣﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٤﴾ يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِّن نَّارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنتَصِرَانِ﴾ [الرحمن:٣٣-٣٥]، وخاتمة سورة الحشر: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ ...﴾ [الحشر:٢١-٢٤][٣] .

وقال محمد بن أبان: بينما رجل يصلي في المسجد، إذا هو بشيء إلى جنبه، فَهِيل منه[٤] ، فقال: ليس عليك مني بأس، إنما جئتك في الله تعالى، ائت عروة فَسَلْهُ: ما الذي يَتَعَوَّذُ به -يعني من إبليس الأباليس-؟ قال: قُلتُ: آمنتُ بالله العظيم وحده،

(١) أخرجه النسائي في «عمل اليوم والليلة» (٨٥٤)، والطبراني في «الدعاء» (٢٢٠)، وأبو يعلى في «مسنده» (٣/ ٣٢٦) وغيرهم، وصحَّحه ابن حبان، والحاكم على شرط مسلم، والمنذري، وحسَّنه ابن حجر.

(٢) «صحيح البخاري» (١٤١، ٣٢٧١، ٣٢٨٣)، و«صحيح مسلم» (١٤٣٤).

(٣) أخرجه الخطيب البغدادي في «تاريخ بغداد» (٤/ ١٢٧)، وابن أبي الدنيا في «الذكر» كما في «الدر المنثور» (٣/ ٤٧١).

(٤) أي: أدركه الهَوْل، وهو الخوفُ والفزع.

وكفرتُ بالجِبْتِ والطاغوت، واعتصمتُ بالعروة الوُثْقىٰ لا انفصام لها، والله سميع عليم، حسبي الله وكفىٰ، سَمِع الله لمن دعا، ليس وراء الله منتهىٰ.

قال بشر بن منصور، عن وهيب بن الورد قال: خرج رجل إلىٰ الجَبَّانَةِ بعد ساعة من الليل، قال: فسمعتُ حِسًّا -أو أصواتًا شديدة- وجِيءَ بسريرٍ حتىٰ وُضِع، وجاء شيء حتىٰ جلس عليه، قال: واجتمعت إليه جنوده، ثم صرخ فقال: من لي بعروة بن الزبير؟ فلم يُجِبْهُ أحد، حتىٰ تتابع ما شاء الله ﷻ من الأصوات، فقال واحد: أنا أكفيكه.

قال: فتوجه نحو المدينة وأنا ناظرٌ، ثم أوشك الرجعة، فقال: لا سبيل الىٰ عُرْوَة، قال: ويلك، لم؟ قال: وجدتُه يقول كلمات إذا أصبح وإذا أمسىٰ، فلا نَخْلُصُ إليه معهن.

قال الرجل: فلما أصبحتُ قلت لأهلي: جهِّزوني، فأتيتُ المدينة، فسألت عنه حتىٰ دُلِلْتُ عليه، فإذا شيخٌ كبير، فقلت: ما شيءٌ تقوله إذا أصبحت وإذا أمسيت؟ فأبىٰ أن يخبرني، فأخبرته بما رأيت وبما سمعت، فقال: ما أدري، غير أني أقول إذا أصبحت: آمنتُ بالله العظيم، وكفرتُ بالجِبْت والطَّاغوت، واسْتَمْسَكْتُ بالعروة الوثقىٰ التي لا انفصام لها، والله سميعٌ عليم. إذا أصبحتُ قلتُ ثلاثَ مرَّات، وإذا أمسيْتُ قلتُ ثلاث مرات[1].

وذكر أبو موسىٰ عن مسلم البطين قال: قال جبريل للنبي ﷺ: إنَّ عفريتًا من الجن يَكِيدُك، فإذا أَوَيْتَ إلىٰ فراشك فقل: أعُوذ بكلمات الله التَّامَّات التي لا يُجَاوِزُهُنَّ برٌّ ولا فاجِرٌ، من شَرِّ ما ينزل من السّماء وما يَعْرُجُ فيها، ومن شرّ ما ذَرأ في الأرْضِ، وما يخرجُ منها، ومن شَرِّ فِتَنِ اللَّيْلِ والنَّهار، ومن شَرِّ طوارقِ الليل

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا في «الهواتف» (٩٨ - ٩٩)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٤٠/ ٢٦٩).

والنهار، إلَّا طارِقا يَطْرُقُ بخيرٍ يا رحمن[١].

وقد ثبت في «الصحيحين» أن الشيطان يهرب من الأذان.

قال سهيل بن أبي صالح: أرسلني أبي إلىٰ بني حارثة، ومعي غلامٌ -أو صاحب- لنا، فنادىٰ مُنادٍ من حائط باسمه، فأشْرَفَ الذي معي علىٰ الحائط، فلم يَرَ شيئًا، فذكرت ذلك لأبي، فقال: لو شَعَرْتُ أنك تلقىٰ هذا لم أُرْسِلْك، ولكنْ إذا سمعتَ صوتًا فنَادِ بالصّلاة، فإني سمعت أبا هريرة يُحَدِّثُ عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**إنَّ الشَّيْطَانَ إذَا نُودِي بالصلاة وَلَّىٰ وله حُصَاصٌ**»[٢].

وفي رواية: «**إذا سمع النِّدَاءَ وَلَّىٰ وله ضُرَاطٌ، حتىٰ لا يسمع التَّأذينَ...**» الحديث[٣].

وذكر الحافظ أبو موسىٰ من حديث أبي رجاء، عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**اسْتكْثِروا من قول لا إله إلا الله، والاستغفار؛ فإنَّ الشَّيطانَ قال: قد أهْلَكْتُهم بالذُّنوب، وأهْلَكوني بقول: لا إله إلا الله، والاسْتِغفَار، فلما رأيتُ ذلك منهم أهْلَكْتُهُم بالأهْواء حتىٰ يَحْسَبُونَ أنهم مُهْتَدُون، فلا يَسْتَغْفِرُون**»[٤].

وذكر أيضًا عن إبراهيم بن الحكم، عن أبيه، عن عكرمة قال: بينما رجل مسافر إذْ مرَّ برَجُلٍ نائم، ورأىٰ عنده شيطانَيْن، فسمع المسافر أحد الشيطانَيْنِ يقول لصاحبه: اذهب فأفسِدْ علىٰ هذا النائم قَلْبَه، فلما دنا منه رجع إلىٰ صاحبه فقال:

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في «المصنّف» (٨/ ٦٠) من حديث خالد بن الوليد مرفوعًا، وفيه قصة.
وأخرجه النسائي في «عمل اليوم والليلة» (٩٥٦) بنحوه عن ابن مسعود رضي الله عنه، موصولًا، وليس فيه قوله: «إذا أويت إلىٰ فراشك»، وروي من هذا الوجه مرسلًا، وهو الأشبه.

(٢) أخرجه البخاري (٦٠٨) دون ذكر القصة، إذ هو عنده من غير طريق سهيل، ومسلم (٣٨٩) واللفظ له.

(٣) أخرجها البخاري (٦٠٨).

(٤) أخرجه ابن أبي عاصم في «السنة» (١/ ٤٠)، وأبو يعلىٰ في «مسنده» (١/ ١٢٣ - ١٢٤) وغيرهما بإسنادٍ شديد الضّعف، وضعفه البوصيري، وغيره.

لقد نام علىٰ آيةٍ ما لنا إليه سبيل، فذهب إلىٰ النائم، فلما دنا منه رجع قال: صدقت، فذهبا، ثم إنّ المسافر أيقظه وأخبره بما رأىٰ من الشيطانَيْنِ، فقال: أخبرني علىٰ أي آية نِمْتَ؟ قال: علىٰ هذه الآية: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأعراف: ٥٤].

وقال أبو النضر هاشم بن القاسم: كنت أَرَىٰ في داري[١]، فقيل لي: يا أبا النضر! تَحَوَّلْ عن جوارنا. قال: فاشْتَدَّ ذلك عليَّ، فكتبتُ إلىٰ الكوفة، إلىٰ ابن إدريس، والمُحارِبي، وأبي أسامة، فكتب إليَّ المُحارِبي:

إن بئرًا بالمدينة كان يُقْطَعُ رِشاؤها[٢]، فنزل بهم رَكْبٌ، فشكَوْا ذلك إليهم، فدعوا بدلْوٍ من ماءٍ، ثم تكلموا عليه بهذا الكلام، فصبُّوه في البئر، فَخَرَجَتْ نارٌ من البئر، فَطَفِئَتْ علىٰ رأس البئر.

قال أبو النضر: فأخذت تَوْرًا من ماء، ثم تكلَّمتُ فيه بهذا الكلام، ثم تتبَّعْتُ به زوايا الدار، فرَشَشْتُه، فصاحوا بيْ: يا أبا النضر! أحْرَقْتنا، نحن نتحولُ عنك.

وهو: بسم الله، أمسينا بالله الذي ليس منه شيء ممتنع، وبِعزَّةِ الله التي لا ترام ولا تُضام، وبسلطان الله المنيع نحتجب، وبأسمائه الحسنىٰ كلِّها، عائذًا من الأبالسة، ومن شر شياطين الإنس والجن، ومن شر كل مُعْلِنٍ أو مُسِرٍّ، ومن شر ما يخرج بالليل ويَكْمُنُ بالنهار، ويَكْمُنُ بالليل ويخرج بالنهار، ومن شر ما خلق وذرأ وبرأ، ومن شرِّ إبليس وجنوده، ومن شر كل دابة أنت آخذٌ بناصيتها، إنَّ ربي علىٰ صراط مستقيم، أعوذ بالله بما استعاذ به موسىٰ وعيسىٰ، وإبراهيم الذي وفَّىٰ،

---

(١) كأنه أراد أن الجن كانوا يتصوّرون له في داره، يؤذونه بذلك، وهم الذين قالوا له: «تحوّل عن جوارنا».

(٢) الرِّشاء: هو حَبْلُ الدَّلْو.

من شر ما خلق وذرأ وبرأ، ومن شر إبليس وجنوده، ومن شر ما يُتَّقىٰ. أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم، بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ: ﴿وَٱلصَّـٰٓفَّـٰتِ صَفًّا ﴿١﴾ فَٱلزَّٰجِرَٰتِ زَجْرًا ﴿٢﴾ فَٱلتَّـٰلِيَـٰتِ ذِكْرًا ﴿٣﴾ إِنَّ إِلَـٰهَكُمْ لَوَٰحِدٌ ﴿٤﴾ رَّبُّ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ ٱلْمَشَـٰرِقِ ﴿٥﴾ إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِزِينَةٍ ٱلْكَوَاكِبِ ﴿٦﴾ وَحِفْظًا مِّن كُلِّ شَيْطَـٰنٍ مَّارِدٍ ﴿٧﴾ لَّا يَسَّمَّعُونَ إِلَى ٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَىٰ وَيُقْذَفُونَ مِن كُلِّ جَانِبٍ ﴿٨﴾ دُحُورًا وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ ﴿٩﴾ إِلَّا مَنْ خَطِفَ ٱلْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ ثَاقِبٌ﴾ [الصافات: ١-١٠].

فهذا بعض ما يتعلق بقوله ﷺ: «**كذلك العبد لا يحرز نفسه من الشيطان إلا بذكر الله تعالىٰ**».

ولنذكر فصولًا نافعة تتعلق بالذكر؛ تكميلًا للفائدة:

الفصل الأول

ص(٢١٦)

الذكرُ نوعان:

أحدهما: ذِكْرُ أسماء الرب تبارك وتعالىٰ وصفاته، والثناء عليه بها، وتنزيهه وتقديسه عما لا يليق به تبارك وتعالىٰ.

وهذا أيضًا نوعان: أحدهما: إنشاء الثناء عليه بها من الذاكر، وهذا النوع هو المذكور في الأحاديث، نحو: «سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر»، و«سبحان الله وبحمده»، و«لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو علىٰ كل شيء قدير»، ونحو ذلك، فأفضل هذا النوع أجْمَعُه للثناء، وأَعَمُّهُ، نحو «سبحان الله عدد خلقه» فهذا أفضل من مجرد «سبحان الله»، وقولُك: «الحمد لله عدد ما خلق في السماء، وعدد ما خلق في الأرض، وعدد ما بينهما، وعدد ما هو خالق» أفضل من مجرد قولك: «الحمد لله».

وهذا في حديث جويرية رضي الله عنها، أن النبيّ ﷺ قال لها: «**لقد قلتُ بَعْدَك أرْبَع كلمات، ثلاث مرَّات، لو وُزِنَتْ بما قُلتِ منذ اليوم لوَزَنَتْهُنَّ: سبحان الله عدد خَلْقِه،**

سبحان الله رِضىٰ نَفْسِه، سبحان الله زِنَة عرشه، سبحان الله مِدادَ كَلِماته». رواه مسلم[١].

وفي الترمذي وسنن أبي داود عن سعد بن أبي وقاص أنه دخل مع رسول الله ﷺ علىٰ امرأةٍ بين يَدَيْها نوىٰ أو حصىٰ تسبِّحُ به فقال: «**ألا أُخْبِرُكِ بما هو أيْسَرُ عليك من هذا أو أفضل**»؟ فقال: «**سبحان الله عدد ما خلق في السماء، وسبحان الله عدد ما خلق في الأرض، وسبحان الله عدد ما بين ذلك، وسبحان الله عدد ما هو خالق، والله أكبر مثل ذلك، والحمد لله مثل ذلك، ولا إله إلا الله مثل ذلك، ولا حول ولا قوة إلا بالله مثل ذلك**»[٢].

النوع الثاني[٣]: الخبرُ عن الرب تبارك وتعالىٰ بأحكام أسمائه وصفاته، نحو قولك: الله ﷻ يسمع أصوات عباده، ويرىٰ حركاتهم، ولا تخفىٰ عليه خافية من أعمالهم، وهو أرحم بهم من آبائهم وأمهاتهم، وهو علىٰ كل شيء قدير، وهو أفرح بتوبة عبده من الفاقِد راحلتَه الواجدِ، ونحو ذلك.

وأفضل هذا النوع: الثناءُ عليه بما أثنىٰ به علىٰ نفسه، وبما أثنىٰ به عليه رسول الله ﷺ، مِنْ غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تشبيه ولا تمثيل.

وهذا النوع أيضًا ثلاثة أنواع: حَمْدٌ، وثنَاءٌ، ومَجْدٌ.

فالحمد: الإخبار عنه بصفات كماله سبحانه وتعالىٰ، مع محبته والرضىٰ عنه؛ فلا يكون المُحِبُّ الساكت حامدًا، ولا المُثني بلا محبَّةٍ حامدًا؛ حتىٰ تجتمع له المحبة والثناء، فإن كرَّر المَحَامِدَ شيئًا بعد شيء كانت ثناءً، فإن كان المدح بصفات الجلال والعظمة والكبرياء والمُلْكِ كان مَجْدًا

---

(١) «صحيح مسلم» (٢٧٢٦).

(٢) أخرجه الترمذي (٣٥٦٨) وحسنه، ووافقه ابن حجر، وأبو داود (١٤٩٥)، وغيرهما، وصححه الضياء.

(٣) من النوع الأوّل.

وقد جمع الله تعالىٰ لعبده الأنواع الثلاثة في أول سورة فاتحة الكتاب، فإذا قال العبدُ: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ قال الله: حمدني عبدي، وإذا قال: ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ قال: أثنىٰ عليَّ عبدي، وإذا قال: ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾ قال: مجَّدني عبدي»[١].

والنوع الثاني من الذِّكر: ذِكْرُ أمرِه ونهيه وأحكامِه. وهو أيضًا نوعان:

أحدهما: ذِكْرُه بذلك إخبارًا عنه بأنه أمر بكذا، ونهىٰ عن كذا، وأحب كذا، وسخط كذا، ورضي كذا.

والثاني: ذِكْرُه عند أمره فَيُبادِرُ إليه، وعند نهيه فَيَهْرُبُ منه.

فذِكْرُ أمره ونهيه شيءٌ، وذِكْرُه عند أمره ونهيه شيءٌ آخر، فإذا اجتمعت هذه الأنواع للذاكر فَذِكْره أفضلُ الذِّكْر، وأجلُّه، وأعظمُه فائدة.

فهذا[٢] ذِكْرُه هو الفقه الأكبر، وما دونه[٣] من أفضل الذكر إذا صَحَّتْ فيه النيّة.

ومِنْ ذِكْرِه سبحانه وتعالىٰ: ذكرُ آلائه وإنعامه وإحسانه وأياديه، ومواقع فضلِه علىٰ عبيده، وهذا أيضًا من أجلِّ أنواع الذِّكر.

فهذه خمسة أنواع[٤].

وهي تكون بالقلب واللسان تارة، وذلك أفضل الذكر.

وبالقلب وحده تارة، وهي الدرجة الثانية.

وباللسان وحده تارة، وهي الدرجة الثالثة.

فأفضل الذكر ما تواطأ عليه القلب واللسان. وإنما كان ذكر القلب وحده

---

(١) ورد هذا في حديثٍ أخرجه مسلم في صحيحه (٣٩٥).

(٢) أي: امتثال الأمر والنهي، والوقوف عند حدود الله، وهو النوع الثاني من النوع الثاني من الذكر.

(٣) أي: بيان أحكام الله ﷻ، وما يحبه ويرضاه، ويبغضه ويسخطه، بمُدارسة العلم، تعلُّمًا وتعليمًا، وهو النوع الأول من النوع الثاني من الذكر.

(٤) النوع الأوّل: ذكر أسماء الرب وصفاته، وتحته نوعان، والنوع الثاني: ذكر أمره ونهيه، وتحته نوعان، والخامس: ذكر آلائه وإنعامه وإحسانه.

أفضل من ذكر اللسان وحده؛ لأن ذكر القلب يُثْمِرُ المعرفة، ويهيِّج المحبة، ويُثِيرُ الحياء، ويَبْعَثُ علىٰ المخافة، ويدعو إلىٰ المراقبة، ويَرْدَع عن التقصير في الطاعات، والتهاون في المعاصي والسيئات، وذِكْرُ اللسان وحده لا يوجب شيئًا من ذلك الإثمار، وإن أثمر شيئًا منها فثمرتُه ضعيفة.

ص(٢٢٢)

الفصل الثاني

الذكر أفضل من الدعاء؛ لأن الذكر ثناءٌ علىٰ الله ﷻ بجميل أوصافه وآلائه وأسمائه، والدعاءُ سؤال العبد حاجته، فأين هذا من هذا؟!.

ولهذا جاء في الحديث: «**مَنْ شَغَلَه ذِكْرِي عَنْ مَسْألتي أعْطَيْتُه أفضلَ مَا أُعْطِي السَّائِلِينَ**»(١).

ولهذا كان المُسْتَحَبُّ في الدعاء أن يبدأ الداعي بحمد الله تعالىٰ، والثناء عليه بين يدي حاجته، ثم يسأل حاجته. كما في حديث فضالة بن عبيد، أن رسول الله ﷺ سمع رجلًا يدعو في صلاته لم يحمد الله تعالىٰ ولم يُصَلِّ علىٰ النبي ﷺ، فقال رسول الله ﷺ: «**لقد عجل هذا**»، ثم دعاه فقال له أو لغيره: «**إذا صلىٰ أحدُكُم فلْيَبْدَأْ بتحميد ربّه ﷻ والثّناء عليه، ثم يصلّي علىٰ النبي ﷺ، ثم يدعو بَعْدُ بما شاء**»(٢). رواه الإمام أحمد والترمذي وقال: حديث حسن صحيح، ورواه الحاكم في «صحيحه».

وهكذا دعاء ذي النون عليه السلام الذي قال فيه النبي ﷺ: «**دَعْوَةُ أخي ذي النون ما دعا بها مَكْرُوبٌ إلَّا فَرّج اللهُ كُرْبَتَهُ: ﴿لَّآ إِلَـٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَـٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾**»(٣)

---

(١) تقدم تخريجه ص(٦٨).

(٢) أخرجه أبو داود (١٤٧٦)، والترمذي (٣٤٧٧)، والنسائي (١٢٨٣)، وغيرهم. وصححه الترمذيّ، وابن خزيمة.

(٣) أخرجه ابن السنّي في «عمل اليوم والليلة» (٣٤٤)، وابن عديّ في «الكامل» (٥/ ١٥٠) وغيرهما بإسناد ضعيف جدًا.

وفي «الترمذي»: «**دَعْوَةُ أخي ذي النون إذْ دعا وهو في بطن الحوت ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾؛ فإنه لم يَدْعُ بها مسلم في شيء قطُّ إلا استجاب الله له**»(١) .

وهكذا عامة الأدعية النبوية علىٰ قائلها أفضل الصلاة والسلام.

ومنه قوله ﷺ في دعاء الكرب: «**لا إله إلا الله العظيم الحليم، لا إله إلا الله رَبُّ العرش العظيم، لا إله إلا الله رَبُّ السموات وربُّ الأرض وربُّ العرش الكريم**»(٢) .

ومنه حديث بريدة الأسلمي الذي رواه أهل السنن، وابن حبان في «صحيحه»: أن رسول الله ﷺ سمع رجلًا يدعو وهو يقول: اللَّهُمَّ إني أسألك بأني أشهد أنك أنت الله لا إله إلا أنت الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوًا أحد، فقال: «**والذي نفسي بيده، لقد سأل الله باسمه الأعظم، الذي إذا دُعِيَ به أجاب، وإذا سُئِل به أعطىٰ**»(٣) .

وروىٰ أبو داود، والنسائي من حديث أنسٍ أنه كان مع النبي ﷺ جالسًا ورجلٌ يصلي، ثم دعا: «اللَّهُمَّ إني أسألك بأن لك الحمد، لا إله إلا أنت، المنان، بديع السموات والأرض، ياذا الجلال والإكرام، يا حيُّ يا قيُّومُ»؛ فقال النبي ﷺ: «**لقد دعا الله باسمه الأعظم الذي إذا دُعِي به أجاب، وإذا سُئلَ به أعطىٰ**»(٤).

(١) أخرجه الترمذي (٣٥٠٥)، والنسائي في «عمل اليوم والليلة» (٦٥٦)، وأحمد (١/ ٤٦٣)، وغيرهم من حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه. وصححه الحاكم، وأورده الضياء في «المختارة»، وحسّنه ابن حجر.

(٢) أخرجه البخاري في مواضع، منها (٦٣٤٥)، ومسلم (٢٧٣٠) من حديث ابن عباسٍ رضي الله عنهما.

(٣) أخرجه أبو داود (١٤٨٨)، والترمذي (٣٤٧٥)، والنسائي في «الكبرىٰ» (٧/ ١٢٥)، وابن ماجه (٣٨٥٧)، وغيرهم. وقال الترمذي: «حسن غريب»، وصححه ابن حبان والحاكم.

(٤) أخرجه أبو داود (١٤٨٨)، والترمذي (٣٤٧٥)، والنسائي (١٢٩٩)، وأحمد (٤/ ٤٠٧) وغيرهم. وصحّحه ابن حبان والحاكم.

فأخبر النبي ﷺ أن الدعاء يستجاب إذا تَقَدَّمه هذا الثناء والذكر، وأنه اسم الله الأعظم، فكان ذكر الله ﷻ والثناء عليه أنجحَ ما طلب به العبدُ حوائجَه.

وهذه فائدة أخرىٰ من فوائد الذكر والثناء، أنه يجعل الدعاء مستجابًا.

فالدعاء الذي يَتَقدَّمه الذكر والثناء أفضل وأقرب إلىٰ الإجابة من الدعاء المجرد، فإن انضاف إلىٰ ذلك إخبار العبد بحاله ومسكنته، وافتقاره واعترافه كان أبلغ في الإجابة وأفضل؛ فإنه يكون قد تَوَسَّل إلىٰ المَدْعُوِّ بصفات كماله وإحسانه وفضله، وعرَّض بل صَرَّح بشدة حاجته وضرورته، وفقره ومسكنته، فهذا المُقْتَضِي منه، وأوصافُ المسؤول مُقْتَضِي من الله، فاجتمع المُقْتَضِي من السائل، والمُقْتَضِي من المسؤول في الدعاء، فكان أبلغ وألطف موقعًا، وأَتَمَّ معرفةً وعبودية.

وأنت ترىٰ في الشاهد -ولله المثل الأعلىٰ- أن الرجل إذا توسَّل إلىٰ من يريد معروفه بكرمه وجوده وبِرِّه، وَذَكَرَ حاجته هو، وفقره ومسكنته؛ كان أعطف لقلب المسؤول، وأقرب لقضاء حاجته.

فإذا قال له: أنت جودك قد سارت به الركبان، وفضلك كالشمس لا ينكر، ونحو ذلك، وقد بلغت بي الحاجة والضرورة مبلغًا لا صَبْرَ معه، ونحو ذلك = كان ذلك أبلغ في قضاء حاجته من أن يقول ابتداءً: أعطني كذا وكذا.

فإذا عرفت هذا، فتأمل قول موسىٰ عليه السلام في دعائه: ﴿رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾ [القصص:٢٤]، وقول ذي النون عليه السلام في دعائه: ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأنبياء:٨٧]، وقول أبينا آدم عليه السلام: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [الأعراف:٢٣].

وفي «الصحيحين»: أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه قال: يا رسول الله! علمني دعاءً أدعو به في صلاتي، فقال: «**قل: اللَّهُمَّ إني ظلمت نفسي ظلمًا كثيرًا، وإنه لا يغفر**

الذنوب إلا أنت، فاغفر لي مغفرة من عندك وارحمني، إنك أنت الغفور الرحيم»[١].

فجمع في هذا الدعاء الشريفِ العظيمِ القدْرِ بين الاعتراف بحاله، والتَّوسُّلِ إلىٰ ربه ﷻ بفضله وجوده، وأنه المنفرد بغفران الذنوب، ثم سأل حاجته بعد التوسل بالأمرين معًا، فهكذا أدب الدعاء وآداب العبودية.

الفصل الثالث

ص(٢٣١)

قراءةُ القرآن أفضلُ من الذِّكْر، والذِّكْرُ أفضلُ من الدعاء، هذا مِنْ حيث النظر إلىٰ كُلٍّ منهما مُجَرَّدًا.

وقد يَعْرِضُ للمفضول ما يجعله أولىٰ من الفاضل، بل يُعَيِّنُه، فلا يجوز أَنْ يُعْدَلَ عنه إلىٰ الفاضل، وهذا كالتسبيح في الركوع والسجود؛ فإنه أفضل من قراءة القرآن فيهما، بل القراءةُ فيهما مَنْهِيٌّ عنها نَهْيَ تحريم أو كراهة، وكذلك التسميع والتحميد في مَحَلِّهما أفضل من القراءة، وكذلك التشهد، وكذلك «رب اغفر لي وارحمني واهدني وعافني وارزقني» بين السَّجدتين أفضل من القراءة، وكذلك الذكر عَقِيب السلام من الصلاة -ذكرُ التهليل، والتسبيح، والتكبير، والتحميد- أفضلُ من الاشتغال عنه بالقراءة، وكذلك إجابةُ المؤذن والقولُ كما يقول أفضل من القراءة، وإن كان فضل القرآن علىٰ كلِّ كلامٍ كفضل الله تعالىٰ علىٰ خلقه، لكنْ لكلِّ مقامٍ مقالٌ، متىٰ فات مقالُه فيه وعُدِلَ عنه إلىٰ غيره اخْتَلَّتْ الحكمة، وفاتت المصلحة المطلوبة منه.

وهكذا الأذكار المُقَيَّدَةُ بِمَحَالَّ مخصوصةٍ أفضلُ من القراءة المطلقة، والقراءةُ المطلقة أفضل من الأذكار المطلقة، اللَّهُمَّ إلا أن يَعْرِضَ للعبدِ ما يجعل الذكر أو الدعاء أنفع له من قراءة القرآن.

---

(١) «صحيح البخاري» (٨٣٤، ٦٣٢٦، ٧٣٨٨)، و«صحيح مسلم» (٢٧٠٥).

مثالُه: أن يتفكر في ذنوبه، فَيُحْدِثُ ذلك له توبة واستغفارًا، أو يَعْرِضَ له ما يَخافُ أذاه من شياطين الإنس والجن، فيَعْدِلَ إلىٰ الأذكار والدَّعواتِ التي تُحَصِّنُه وَتَحُوطُه.

وكذلك أيضًا قد يَعْرِضُ للعبد حاجةٌ ضرورية إذا اشتغل عن سؤالها بقراءةٍ أو ذِكْرٍ لم يَحْضُرْ قلبُه فيها، وإذا أقبل علىٰ سؤالها والدعاء لها اجتمع قلبه كله علىٰ الله تعالىٰ، وأحدث له تضرُّعًا وخشوعًا وابتهالًا، فهذا قد يكون اشتغاله بالدعاء -والحالة هذه- أنفعُ، وإن كان كلٌّ من القراءة والذكر أفضل وأعظم أجرًا.

وهذا بابٌ نافعٌ يحتاج إلىٰ فِقْه نَفْسٍ، وفُرْقانٍ بين فضيلة الشيء في نفسه وبين فضيلته العارضة، فَيُعْطَىٰ كلُّ ذي حقٍّ حقَّه، ويُوضَعُ كلُّ شيءٍ مَوْضِعَه.

فَلِلْعَيْنِ موضع، ولِلرِّجْل موضع، وللماء موضع، ولِلَّحْمِ موضع، وحفظُ المراتب هو من تمام الحكمة التي هي نِظامُ الأمر والنهي، والله تعالىٰ الموفق.

وهكذا الصابون والأُشنان أنفع للثوب في وقتٍ، والتجميرُ وماءُ الورد أنفع له في وقت.

وقلت لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالىٰ يومًا: سُئِل بعض أهل العلم: أيما أنفع للعبد، التسبيح أو الاستغفار؟ فقال: إذا كان الثوب نقيًّا فالبخور وماء الورد أنفع له، وإن كان دَنِسًا فالصابون والماء الحارُّ أنفع له. فقال لي رحمه الله تعالىٰ: فكيف والثياب لا تزال دَنِسة؟!.

ومن هذا الباب: أن سورة ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ تعدل ثلث القرآن، ومع هذا فلا تقوم مقام آيات المواريث، والطلاق، والخُلْع، والعِدَد، ونحوها، بل هذه الآيات في وقتها وعند الحاجة إليها أنفع من تلاوة سورة الإخلاص.

ولـمّا كانت الصلاة مشتملة علىٰ القراءة والذكر والدعاء، وهي جامعةٌ لأجزاء العبودية علىٰ أتم الوجوه = كانت أفضل من كُلٍّ من القراءة والذكر والدعاء بمفرده؛

لجمعها ذلك كلِّه مع عبوديةِ سائر الأعضاء.

فهذا أصل نافع جدًّا، يُفْتَح للعبد به بابُ معرفةِ مراتب الأعمال وتَنْزيلها منازلها؛ لئلا يشتغل بمفضولها عن فاضلها، فيربح عليه إبليسُ الفضلَ الذي بينهما، أو ينظر إلىٰ فاضلها فيشتغل به عن مفضولها -وإن كان ذلك وقته- فتفوته مصلحته بالكلية؛ لظنه أن اشتغاله بالفاضل أكثر ثوابًا وأعظم أجرًا.

وهذا يحتاج إلىٰ معرفةٍ بمراتب الأعمال، وتفاوتها، ومقاصدها، وفِقْهٍ في إعطاء كل عمل منها حقه، وتنزيله في مرتبته، وتفويتِه لما هو أهمُّ منه، أو تفويت ما هو أولىٰ منه وأفضل؛ لإمكان تداركه والعَوْدِ إليه، وهذا المفضول إن فات لا يمكن تداركه، فالاشتغال به أولىٰ، وهذا كترك القراءة لِرَدِّ السلام وتشميت العاطس وإن كان القرآن أفضل؛ لأنه يمكنه الاشتغال بهذا المفضول والعَوْدِ إلىٰ الفاضل، بخلاف ما إذا اشتغل بالقراءة فاتته مصلحة رد السلام وتشميت العاطس، وهكذا سائر الأعمال إذا تزاحمت. والله تعالىٰ الموفق.

الفصل الرابع

ص(٢٣٧)

في الأذكار المُوَظَّفَة التي لا ينبغي للعبد أن يُخِلَّ بها لشدّةِ الحاجة إليها، وَعِظَم الإنتفاعِ في الآجل والعاجل بها

وفيه فُصول:

الفصلِ الأول

ص(٢٣٩)

في ذكر طرَفي النهار:

وهما ما بين الصبح وطلوع الشمس، وما بين العصر والغروب. قال الله سبحانه وتعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ [الأحزاب:٤١، ٤٢].

والأصيل: قال الجوهري: هو الوقت بعد العصر إلىٰ المغرب، وجمعُه: أُصُلٌ، وآصال، وأصائل، كأنه جَمْعُ أصيلة.

قال الشاعر:

لَعَمْري لأَنْتَ البَيْتُ أُكْرِمُ أَهْلَهُ ... وَأَقْعُـدُ فِي أَفْيَائِـه بالأَصَائِـلِ

ويُجْمَعُ أيضًا علىٰ أُصْلان، مثل بعير وبُعْران، ثم صغَّروا الجمع فقالوا: أُصَيْلان، ثم أبدلوا من النون لامًا، فقالوا: أُصيْلال.

قال الشاعر:

وَقَفْتُ فيهَا أُصَيْلالًا[1] أَسَائِلُهَا ... أَعْيَت جَوَابًا وما بالرَّبْعِ مِنْ أَحَدِ

وقال تعالىٰ: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِٱلْعَشِيِّ وَٱلْإِبْكَٰرِ﴾ [غافر:٥٥]؛ فالإبكار: أولُ النَّهار، والعَشِيُّ: آخره.

وقال تعالىٰ: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ ٱلْغُرُوبِ﴾ [ق:٣٩].

وهذا تفسير ما جاء في الأحاديثِ: أن من قال كذا وكذا حين يصبح وحين يمسي؛ أن المراد به: قبل طلوع الشمس وقبل غروبها، وأن محل هذه الأذكار بعد الصبح وبعد العصر.

وفي «صحيح مسلم» عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: «**من قال حين يصبح وحين يمسي: سبحان الله وبحمده مائة مرة لم يأت أحد يوم القيامة بأفضل مما جاء به، إلا رجل قال مثل ما قال، أو زاد عليه**»[2].

وفي «صحيحه» أيضًا عن ابن مسعود قال: كان نبي الله ﷺ إذا أمسىٰ قال: «**أمسينا وأمسىٰ المُلْكُ لله، والحمد لله، لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له المُلْكُ،**

---

(١) رواية الديوان (وهو من رواية الأصمعي من نسخة الأعلم): «أصيلانًا».

(٢) «صحيح مسلم» (٢٦٩٢).

وله الحمد، وهو علىٰ كل شيء قدير، ربِّ أسألُكَ خيرَ ما في هذه الليلة، وخير ما بعدَها، وأعوذ بك من شرِّ ما في هذه الليلة وشرِّ ما بعدها، ربِّ أعوذُ بك من الكسل وسوء الكِبَر، ربِّ أعوذُ بك من عذابٍ في النار، وعذابٍ في القبر». وإذا أصبح قال ذلك أيضًا: «**أصبحنا وأصبح الملك لله**»[١].

وفي «السنن» عن عبد الله بن خبيب قال: قال رسول الله ﷺ: «**قل**» قلت: يا رسول الله، ما أقول؟ قال: «**قل: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ والمعوذتين، حين تمسي وحين تصبح ثلاث مرات؛ تكفيك من كل شيء**». قال الترمذي: حديث حسن صحيح[٢].

وفي «الترمذي» -أيضًا- عن أبي هريرة، أن النبي ﷺ كان يُعَلِّم أصحابه، يقول: «**إذا أصبح أحدكم فليقل: اللَّهُمَّ بك أصبحنا، وبك أمسينا، وبك نحيا، وبك نموت، وإليك النشور. وإذا أمسىٰ فليقل: اللَّهُمَّ بك أمسينا، وبك أصبحنا، وبك نحيا، وبك نموت، وإليك المصير**». قال الترمذي: حديث حسن صحيح[٣].

وفي «صحيح البخاري» عن شداد بن أوس، عن النبي ﷺ قال: «**سيّد الاستغفار: «اللَّهُمَّ أنت ربي، لا إله إلا أنت، خلقتني وأنا عبدك، وأنا علىٰ عهدك ووعدك ما استطعت، أعوذ بك من شر ما صنعت، أبوءُ لك بنعمتك عليَّ، وأبوء بذنبي، فاغفر لي، فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت». من قالها حين يمسي فمات من ليلته دخل الجنة، ومن قالها حين يصبح فمات من يومه دخل الجنة**»[٤].

---

(١) «صحيح مسلم» (٢٧٢٣).

(٢) أخرجه الترمذي (٣٥٧٥) وصحَّحه، وأبو داود (٥٠٨٢)، والنسائي (٥٤٤٣)، وحسَّنه ابن حجر.

(٣) أخرجه هكذا بصيغة الأمر الترمذيُّ (٣٩٩١) وحسَّنه، والمحفوظ رواية الحديث من فعله عليه الصلاة والسلام، بصيغة الخبر، كما عند أبي داود (٥٠٦٨)، وغيره، وصحَّحه ابن حبان وابن حجر.

(٤) «صحيح البخاري» (٦٣٢٣).

وفي «الترمذي» عن أبي هريرة أن أبا بكر الصديق قال لرسول الله ﷺ: مُرْنِي بشيءٍ أقولُه إذا أصبحتُ وإذا أمسيتُ. قال: «**قل: اللَّهُمَّ عالم الغيب والشهادة، فاطر السماوات والأرض، رَبَّ كلِّ شيء ومليكه، أشهد أن لا إله إلا أنت، أعوذ بك من شر نفسي وشر الشيطان وشِرْكِه، وأن أقترف علىٰ نفسي سوءًا أو أجرَّه إلىٰ مسلم. قُلْهُ إذا أصبحت، وإذا أمسيت، وإذا أخذت مضجعك**». قال الترمذي: حديث حسن صحيح[1].

وفي «الترمذي» أيضًا عن عثمان بن عفان رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**ما من عبد يقول في صباح كلِّ يوم ومساء كلِّ ليلة: بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء وهو السميع العليم، ثلاث مراتٍ، إلّا لم يضره شيء**». وقال الترمذي: حديث حسن صحيح[2].

وفيه -أيضًا- عن ثوبان وغيره أن رسول الله ﷺ: قال: «**من قال حين يمسي وإذا أصبح: رضيت بالله ربًّا وبالإسلام دينًا وبمحمد ﷺ نبيًّا، كان حقًّا علىٰ الله أن يُرْضِيَه**». وقال: حديث حسن صحيح[3].

وفي «الترمذي» -أيضًا- عن أنس بن مالك، أن رسول الله ﷺ قال: «**من قال حين يصبح أو يمسي: اللَّهُمَّ إني أصبحت أُشْهِدُكَ، وأُشْهِدُ حَمَلَةَ عرشك، وملائكتك، وجميع خلقكَ، أنك أنت الله لا إله إلا أَنت، وأن محمدًا عبدك ورسولك، أعتق الله**

(١) أخرجه الترمذي (٣٣٩٢)، وأبو داود (٥٠٦٧)، وغيرهما، وصححه الترمذي، وابن حبان، والحاكم، وابن حجر. إلّا أنّ قوله: «وأن أقترف علىٰ نفسي سوءًا أو أجره إلىٰ مسلم» ليس من رواية أبي هريرة، وإنما هو من رواية عبد الله بن عمرو عند البخاري في «الأدب المفرد» (١٢٠٤)، والترمذي (٣٥٢٩)، بإسنادٍ حسن.

(٢) أخرجه الترمذي (٣٣٨٨)، والنسائي في «عمل اليوم والليلة» (٣٤٦)، وابن ماجه (٣٨٦٩)، وغيرهم. وصححه الترمذي، والحاكم.

(٣) تقدم تخريجه ص(٧٠).

رُبْعَه من النار، ومن قالها مرتين أعتق الله نِصْفَه من النار، ومن قالها ثلاثًا أعتق الله ثلاثة أرباعه من النار، ومن قالها أربعًا أعتقه الله من النار»[١].

وفي «سنن أبي داود» عن عبد الله بن غنَّام، أن رسول الله ﷺ قال: «**من قال حين يصبح: اللَّهُمَّ ما أصبح بي من نعمةٍ أو بأحدٍ من خلقك، فَمِنْكَ وحدك، لا شريك لك، لك الحمد والشكر = فقد أدّىٰ شكر يومه، ومن قال مثل ذلك حين يمسي فقد أدّىٰ شكر ليلته**»[٢].

وفي «السنن» و«صحيح الحاكم» عن عبد الله بن عمر قال: لم يكن النبي ﷺ يدع هؤلاء الكلمات حين يمسي، وحين يصبح: «**اللَّهُمَّ إني أسألك العافية في الدنيا والآخرة، اللَّهُمَّ إني أسألك العفو والعافية في ديني ودنياي، وأهلي ومالي، اللَّهُمَّ استر عوراتي، وآمن رَوْعاتي، اللَّهُمَّ احفظني من بين يديَّ، ومن خلفي، وعن يميني، وعن شمالي، ومن فوقي، وأعوذ بعظمتك أن أُغْتال مِنْ تحتي**»[٣]، قال وكيع: يعني الخَسْف[٤].

وعن طلق بن حبيب قال: جاء رجل إلىٰ أبي الدرداء فقال: يا أبا الدرداء، قد احترق بيتك. فقال: ما احترق، لم يكن الله ليفعل ذلك؛ لِكلماتٍ سمعتهن من رسول الله ﷺ، من قالها أوَّل النهار لم تُصبْهُ مصيبة حتىٰ يمسي، ومن قالها آخر النهار لم تصبه مصيبة حتىٰ يصبح: «**اللَّهُمَّ أنت ربي لا إله إلا أنت، عليك توكلت، وأنت رب**

(١) تقدم تخريجه ص(٧٠).

(٢) أخرجه أبو داود (٥٠٧٣)، والنسائي في «عمل اليوم والليلة» (٧)، وصححه ابن حبان، وحسَّنه ابن حجر.

(٣) أخرجه أبو داود (٥٠٧٤)، والنسائي (٥٥٤٤)، وابن ماجه (٣٨٧١)، وغيرهم، وصححه ابن حبان، والحاكم.

(٤) فسّره قبله جبير بن أبي سليمان التابعيّ، عند البيهقي في «الدعوات» (١/ ٢٢)، وعبد بن حميد (٨٣٧).

العرش العظيم، ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، أعلمُ أن الله علىٰ كل شيء قدير، وأن الله قد أحاط بكل شيء علمًا، اللَّهُمَّ إني أعوذ بك من شر نفسي، ومن شر كل دابة ربي آخذ بناصيتها، إنَّ ربي علىٰ صراط مستقيم» رواه ابن السني في «عمل اليوم والليلة»[١] .

ص(٢٤٧)

الفصل الثاني

في أذكار النوم:

«في الصحيحين» عن حذيفة قال: كان رسول الله ﷺ إذا أراد أن ينام قال: «**باسمك اللَّهُمَّ أموت وأحيا**»، وإذا استيقظ من منامه قال: «**الحمد لله الذي أحيانا بعدما أماتنا وإليه النشور**»[٢].

وفي «الصحيحين» أيضًا، عن عائشة أن النبي ﷺ كان إذا أوىٰ إلىٰ فراشه كل ليلة، جمع كفيه، ثم نفث فيهما، يقرأ فيهما: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾ و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾، ثم يمسح بهما ما استطاع من جسده، يبدأ بهما علىٰ رأسه ووجهه وما أَقْبَلَ من جسده، يفعل ذلك ثلاث مرات[٣] .

وفي «صحيح البخاري» عن أبي هريرة أنه أتاه آتٍ يحثو من الصدقة، وكان قد جعله النبي ﷺ عليها، ليلةً بعد ليلة، فلما كان في الليلة الثالثة قال: لأرفعنَّكَ إلىٰ رسول الله ﷺ، قال: دعني أُعلِّمْك كلماتٍ ينفعك الله بهن -وكانوا أحرص شيء

(١) أخرجه ابن السني في «عمل اليوم والليلة» (٥٨)، والطبراني في «الدعاء» (٢/ ٩٥٣)، وغيرهما بإسنادٍ ضعيف.

(٢) أخرجه البخاري (٦٣٢٤) من حديث حذيفة رضي الله عنه، ومسلم (٢٧١١) من حديث البراء بن عازب رضي الله عنه.

(٣) أخرجه البخاري (٥٠١٧، ٥٧٤٨). ولفظ مسلم (٢١٩٢): «كان إذا اشتكىٰ يقرأ علىٰ نفسه بالمعوّذات، وينفث...»، وليس فيه أن ذلك كان عند النوم كلَّ ليلة.

علىٰ الخير-، فقال: إذا أويت إلىٰ فراشك فاقرأ آية الكرسي: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَيُّ ٱلْقَيُّومُ ﴾ حتىٰ تختمها، فإنه لن يزال عليك من الله حافظ، ولا يقربك شيطان حتىٰ تصبح. فقال النبي ﷺ: «**صَدَقَكَ وهو كذوب**»[١].

وقد روىٰ الإمام أحمد نحو هذه القصة في «مسنده» أنها جرت لأبي الدرداء[٢]، ورواها الطبراني في «معجمه» أنها جرت لأُبَيِّ بن كعب[٣].

وفي «الصحيحين» عن أبي مسعود الأنصاري، عن النبي ﷺ قال: «**من قرأ بالآيتين من آخر سورة البقرة في ليلةٍ كفتاه**»[٤].

الصحيحُ أن معناها: كفتاه من شر ما يؤذيه.

وقيل: كفتاه من قيام الليل. وليس بشيء.

وقال علي بن أبي طالب: «ما كنت أرىٰ أحدًا يَعْقِلُ ينامُ قبل أن يقرأ الآيات الثلاث الأواخر من سورة البقرة»[٥].

وفي «الصحيحين» عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «**إذا قام أحدكم عن فراشه، ثم رجع إليه، فَلْيَنْفُضْه بصَنِفَةِ إزَارِه ثلاث مرات، فإنه لا يدري ما خلَفه عليه بعده، وإذا اضطجع فليقل: باسمك اللَّهُمَّ ربي وضعت جنبي، وبك أرفعه، فإن أمسكت نفسي فارحمها، وإن أرسلتها فاحفظها بما تحفظ به عبادك الصالحين**»[٦].

---

(١) تقدم تخريجه ص(١٢٨).

(٢) لم أقف عليها في «المسند» من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه، وإنما وجدتها فيه (٧/ ٧٨٧) من حديث أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه، وحسَّنها الترمذي (٢٨٨٠).

(٣) أخرجها الطبراني في «الكبير» (١/ ٢٠١)، وصحّحها ابن حبان والحاكم.

(٤) «صحيح البخاري» (٤٠٠٨، ٥٠٤٠)، و«مسلم» (٨٠٨، ٨٠٧).

(٥) أخرجه الدارمي (٢/ ٩٠٦) بإسنادٍ فيه راوٍ لم يسمّ. ووردت تسميته في موضع آخر بإسنادٍ صحّحه النووي في «الأذكار» (١/ ٢٧٣) علىٰ شرط البخاري ومسلم.

(٦) «صحيح البخاري» (٦٣٢٠)، و«مسلم» (٢٧١٤).

وفي «الصحيحين» عنه عن النبي ﷺ قال: «**إذا استيقظ أحدكم من نومه فليقل: الحمد لله الذي عافاني في جسدي، وَرَدَّ عليَّ رُوحي، وأَذِنَ لي بذكره**»[١] .

وقد تقدَّم حديث علي، ووصية النبي ﷺ له ولفاطمة رضي الله تعالىٰ عنهما: أن يُسَبِّحا إذا أخذا مضاجعهما للنوم ثلاثًا وثلاثين، ويحمدا ثلاثًا وثلاثين، ويُكَبِّرا أربعًا وثلاثين، وقال: «**هو خير لكما من خادم**»[٢] .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية قدس الله روحه: بلغنا أنه من حافظ علىٰ هذه الكلمات لم يأْخُذْهُ إعياءٌ فيما يعانيه من شُغلٍ، وغيرِهِ.

وفي «سنن أبي داود» عن حفصة أم المؤمنين: أن النبي ﷺ كان إذا أراد أن يرقد وضع يده اليمنىٰ تحت خده الأيمن، ثم يقول: «**اللَّهُمَّ قني عذابك يوم تبعث عبادك**» ثلاث مرات. قال الترمذي: حديث حسن[٣] .

وفي «صحيح مسلم» عن أنس بن مالك أن النبي ﷺ كان إذا أوىٰ إلىٰ فراشه قال: «**الحمد لله الذي أطعمنا وسقانا وكفانا وآوانا، فكَمْ مِمَّنْ لا كافِيَ له، ولا مُؤْوِي**»[٤].

---

(١) هذا جزء من حديث أبي هريرة السابق الذي أخرجه الشيخان. إلاّ أنهما تجنّبا إخراج هذا الجزء؛ لأنه مما تفرّد به محمد بن عجلان، وهو صدوق في حفظه شيء، وخصوصًا في روايته عن المقبري، وهذه منها.
وأخرجَ الحديثَ تامًّا من رواية ابن عجلان: الترمذيُّ (٣٤٠١) وحسَّنه.

(٢) انظر ص(١١٧).

(٣) أخرجه أبو داود (٥٠٤٥)، والنسائي في «عمل اليوم والليلة» (٧٦١)، وأحمد (٨/ ٥٧٣)، وغيرهم، وحسَّنه ابن حجر في موضع، وصحَّحه في آخر.
وما قاله الترمذيُّ فهو في حديث البراء بن عازب رضي الله عنه. وليس فيه: «ثلاث مرات». وقد صحّحه ابن حبان، وأبو نعيم، وحسنه ابن حجر وصححه أيضًا.
وورد الحديث من رواية حذيفة بن اليمان بإسنادٍ صحيح، ومن رواية جماعةٍ من الصحابة بأسانيد فيها كلام. وليس فيه عندهم زيادة «ثلاث مرات». ففي ثبوتها في حديث حفصة الذي ذكره المصنّف نظر.

(٤) «صحيح مسلم» (٢٧١٥).

وفي «صحيحه» -أيضًا- عن ابن عمر، أنه أمر رجلًا إذا أخذ مضجعه أن يقول: **«اللَّهُمَّ أنت خلقت نفسي، وأنت تتوفَّاها، لك مماتها ومحياها، إن أحْيَيْتَها فاحفظها، وإن أمَتَّها فاغفر لها، اللَّهُمَّ إني أسألك العافية»**.

قال ابن عمر: سمعتهن من رسول الله ﷺ[(١)] .

وفي «الترمذي» عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: **«من قال حين يأوي إلىٰ فراشه: أستغفر الله العظيم الذي لا إله إلا هو الحي القيوم وأتوب إليه -ثلاث مرات- غفر الله له ذنوبه، وإن كانت مثل زبد البحر، وإن كانت عدد رملِ عالجٍ، وإن كانت عدد أيام الدنيا»**[(٢)] .

وفي «صحيح مسلم» عن أبي هريرة أن النبي ﷺ كان إذا أوىٰ إلىٰ فراشه قال: **«اللَّهُمَّ ربَّ السموات، ورب الأرض، ورب العرش العظيم، ربَّنا وربَّ كل شيء، فالقَ الحبِّ والنوىٰ، مُنْزِلَ التوراة والإنجيل والفرقان، أعوذ بك من شرِّ كلِّ ذي شرٍّ أنت آخذ بناصيته، أنت الأول فليس قبلك شيء، وأنت الآخر فليس بعدك شيء، وأنت الظاهر فليس فوقك شيء، وأنت الباطن فليس دُونك شيء، اقْضِ عنا الدين، وأَغْنِنا من الفقر»**[(٣)] .

وفي «الصحيحين» عن البراء بن عازب قال: قال رسول الله ﷺ: **«إذا أتيت مضجعك فتوضأ وضوءك للصلاة، ثم اضطجع علىٰ شِقِّك الأيمن وقل: اللَّهُمَّ إني أسلمت نفسي إليك، ووجهت وجهي إليك، وفَوَّضْتُ أمري إليك، رغبةً ورهبةً إليك، لا ملجأ ولا منجا منك إلا إليك، آمنت بكتابك الذي أنزلت، وبنبيك الذي**

(١) «صحيح مسلم» (٢٧١٢).

(٢) أخرجه الترمذي (٣٣٩٧)، وأحمد (٤/ ٢٩)، وغيرهما بإسنادٍ ضعيف.

(٣) «صحيح مسلم» (٢٧١٣)، والترمذي (٣٤٠٠) واللفظ له، وأبو داود (٥٠٥١).

أرسلت. فإن مِتَّ مِتَّ علىٰ الفطرة، واجعلهن آخر ما تقول»(١) .

ص(٢٥٤)

الفصل الثالث

في أذكار الانتباه من النوم:

روىٰ البخاري في «صحيحه» عن عبادة بن الصامت، عن النبي ﷺ قال: «**مَنْ تَعَارَّ من الليل فقال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو علىٰ كل شيء قدير، الحمد لله، وسبحان الله، والله أكبر، ولا حول ولا قوة إلا بالله، ثم قال: اللَّهُمَّ اغفر لي، أو دعا؛ استُجِيب له، فإن توضأ وصَلَّىٰ قُبِلَتْ صلاته**»(٢).

وفي «الترمذي» عن أبي أمامة قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**من أوىٰ إلىٰ فراشه طاهرًا، وذَكَر الله تعالىٰ حتىٰ يُدْرِكه النعاس، لم يَنْقَلِبْ ساعة من الليل يسأل الله تعالىٰ فيها خيرًا من خير الدنيا والآخرة إلا أعطاه إياه**» حديث حسن(٣).

وفي «سنن أبي داود» عن عائشة، أن رسول الله ﷺ كان إذا استيقظ من الليل قال: «**لا إله إلا أنت سبحانك، اللَّهُمَّ أستغفرك لذنبي، وأسألك رحمتك، اللَّهُمَّ زدني علمًا، ولا تُزِغْ قلبي بعد إذ هديتني، وَهَبْ لي مِنْ لَدُنْكَ رحمة إنك أنت الوهاب**»(٤).

---

(١) «صحيح البخاري» (٢٤٧، ٦٣١١، ٦٣١٣، ٦٣١٥، ٧٤٨٨)، و«مسلم» (٢٧١٠). وفيهما بعد قوله «وفوَّضتُ أمري إليك»: «وألجأتُ ظهري إليك».

(٢) «صحيح البخاري» (١١٥٤). وفيه بعد قوله «وسبحان الله»: «ولا إله إلا الله».

(٣) أخرجه الترمذي (٣٥٢٦)، والطبراني في «الكبير» (٨/ ١٢٥)، وابن السني في «عمل اليوم والليلة» (٧٢١). قال الترمذي: «هذا حديث حسن غريب».

(٤) أخرجه أبو داود (٥٠٦١)، والنسائي في «عمل اليوم والليلة» (٨٦٥)، وغيرهما، وصححه ابن حبان، والحاكم.

الفصل الرابع

ص(٢٥٦)

في أذكار الفزع في النوم والقلق:

روىٰ «الترمذي» عن بريدة قال: شكا خالد بن الوليد إلىٰ النبي ﷺ، فقال: يا رسول الله، ما أنام الليل من الأرق. فقال النبي ﷺ: «**إذا أَوَيْتَ إلىٰ فراشك فقل: اللَّهُمَّ رب السموات السبع وما أظَلَّتْ، ورب الأرضين وما أقَلَّتْ، ورب الشياطين وما أضَلَّتْ، كُنْ لي جارًا من شر خلقك كلهم جميعًا أن يَفْرُطَ عليَّ أحد منهم، أو يَبْغِي عليَّ، عَزَّ جارك، وجلَّ ثناؤك، ولا إله غيرك، ولا إله إلا أنت**»[١].

وفي سنن أبي داود والترمذي عن عبد الله بن عمرو، أن رسول الله ﷺ كان يُعَلِّمهم من الفزع كلمات: «**أعوذ بكلمات الله التامة من غضبه وعقابه وشر عباده، ومن همزات الشياطين، وأن يحضرون**»، وكان عبد الله بن عمرو يُعَلِّمُهُنَّ مَنْ عَقَل مِنْ بَنِيه، ومن لم يَعْقِلْ كَتَبه وعَلَّقه عليه[٢].

الفصل الخامس

ص(٢٥٨)

في أذكار من رأى رؤيا يكرهها أو يُحِبُّها:

في «الصحيحين» عن أبي قتادة قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**الرؤيا من الله، والحُلُم من الشيطان، فإذا رأىٰ أحدكم الشيء يكرهه فلينفث عن يساره ثلاث مرات إذا استيقظ، وَلْيَتَعوَّذْ بالله من شرها، فإنَّها لن تضره إن شاء الله**». قال أبو قتادة: كنت أرىٰ الرؤيا تُمْرِضُنِي، حتىٰ سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**الرؤيا الصالحة من الله، فإذا رأىٰ أحدكم ما يُحِبُّ فلا يُحَدِّثْ به إلا من يُحِبّ، وإذا رأىٰ ما يكره فلا**

(١) أخرجه الترمذي (٣٥٢٣)، والطبراني في «الأوسط» (١/ ٥٢) وغيرهما بإسنادٍ ضعيف، وروي مرسلًا.

(٢) أخرجه أبو داود (٣٨٩٣)، والترمذي (٣٥٢٨) وغيرهما، قال الترمذي: «حسن غريب».

يحدث به، وَلْيَتْفُلْ عن يساره، وَلْيَتَعَوَّذْ بالله من الشيطان الرجيم، وَمِنْ شر ما رأىٰ، فإنها لن تضره»[١].

وفي «صحيح مسلم» عن جابر، عن رسول الله ﷺ قال: «**إذا رأىٰ أحدكم الرؤيا يكرهها، فليبصق عن يساره ثلاث مرات، وَلْيَسْتَعِذْ بالله من الشيطان ثلاثًا، ولْيَتَحَوَّلْ عن جنبه الذي كان عليه**»[٢].

ويُذْكَر عن النبي أن رجلًا قَصَّ عليه رؤيا فقال: «**خيرًا رأيت، وخيرًا يكون**»[٣].

وفي روايةٍ: «**خيرًا تلقاه، وشرًّا توقاه. خيرًا لنا، وشرًّا علىٰ أعدائنا، والحمد لله رب العالمين**»[٤].

ص(٢٦٠)

الفصل السادس

في أذكار الخروج من المنزل:

في «السنن» عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «**من قال** -يعني إذا خرج من بيته-: **بسم الله، توكلت علىٰ الله، ولا حول ولا قوة إلا بالله، يقال له: كُفِيت وهُدِيت ووُقِيت، وتَنَحَّىٰ عنه الشيطان، فيقول لشيطانٍ آخر: كيف لك بِرَجُلٍ قد كُفِيَ وَهُدِيَ وَوُقِيَ؟!** »[٥].

وفي «مسند الإمام أحمد»: «**بسم الله، آمنت بالله، واعتصمت بالله، توكلت علىٰ**

(١) «صحيح البخاري» (٥٧٤٧، ٦٩٨٤، ٦٩٨٦)، و«مسلم» (٢٢٦١).

(٢) «صحيح مسلم» (٢٢٦٢).

(٣) أخرجه ابن السني في «عمل اليوم والليلة» (٧٧٥) من حديث أبي موسىٰ بإسنادٍ ضعيف جدًّا.

(٤) جزءٌ من حديثٍ أخرجه ابن قتيبة في «غريب الحديث» (١/ ٤٧٩)، والطبراني في «الكبير» (٨/ ٣٠٢)، وابن حبان في «المجروحين» (١/ ٣٢٩)، وغيرهم من حديث عبد الله بن زملٍ مرفوعًا بإسنادٍ ضعيف جدًّا.

(٥) أخرجه أبو داود (٥٠٩٥)، والترمذي (٣٤٢٦)، وغيرهما، وصححه ابن حبان، وقال الترمذي «حسن غريب».

الله، لا حول ولا قوة إلا بالله» حديث حسن[(١)].

وفي «السنن الأربع» عن أم سلمة قالت: ما خرج رسول الله ﷺ من بيته إلا رَفَعَ طَرْفَهُ إلىٰ السماء فقال: **«اللَّهُمَّ إني أعوذ بك أن أَضِلَّ أو أُضَلَّ، أو أزِلَّ أو أُزَلَّ، أَوْ أَظْلِمَ أَوْ أُظْلَمَ، أَوْ أَجْهَلَ أَوْ يُجْهَلَ عَليَّ»**. قال الترمذي: حديث حسن صحيح[(٢)].

الفصل السابع

ص(٢٦٢)

في أذكار دخول المنزل:

في «صحيح مسلم» عن جابرٍ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«إذا دخل الرجل بيته، فذكر الله تعالىٰ عند دخوله، وعند طعامه، قال الشيطان: لا مبيت لكم ولا عَشاءَ، وإذا دخل فلم يذكر الله تعالىٰ عند دخوله، قال الشيطان: أدركتم المَبيت. فإذا لم يذكر الله عند طعامه قال: أدركتم المَبِيت والعَشاء»**[(٣)].

وفي «سنن أبي داود» عن أبي مالك الأشعري قال: قال رسول الله ﷺ: **«إذا وَلَجَ الرجل بيته، فليقل: اللَّهُمَّ إني أسألك خير المَوْلِج، وخير المَخْرَج، بسم الله وَلَجْنا، وبسم الله خرجنا، وعلىٰ الله ربنا توكلنا، ثم ليسلِّمْ علىٰ أهله»**[(٤)].

وفي «الترمذي» عن أنس قال: قال لي رسول الله ﷺ: **«يا بُنَيَّ! إذا دخلت علىٰ أهلك فَسَلِّمْ يَكُنْ بركة عليك وعلىٰ أَهْلِ بيتك»**[(٥)]. قال الترمذي: حديث حسن صحيح.

---

(١) أخرجه أحمد (١/ ٢١٨)، والمحامليّ في «الدعاء» (١)، وابن أبي الدنيا في «التوكل» (٤٥)، وغيرهم عن عثمان رضي الله عنه مرفوعًا، وفي إسناده اختلافٌ.

(٢) أخرجه الترمذي (٣٤٢٧)، وأبو داود (٥٠٩٤) واللفظ له، والنسائي (٥٥٠١)، وابن ماجه (٣٨٨٤)، وغيرهم، وصححه الحاكم، وحسنه ابن حجر.

(٣) «صحيح مسلم» (٢٠١٨).

(٤) أخرجه أبو داود (٥٠٩٦)، والطبراني في «الكبير» (٣/ ٢٩٦)، بإسنادٍ ضعيفٍ؛ فيه انقطاع.

(٥) جزءٌ من حديث طويل أخرجه الترمذي (٢٦٩٨) مقتصرًا علىٰ هذا القَدْر، وروىٰ طائفةً منه مفرّقًا في مواضع أخرىٰ، وأخرجه الطبراني في «الأوسط» (٦/ ١٢٣) بطوله، وله طرقٌ كثيرة، لا يصحُّ منها شيء، ولا تتقوىٰ.

ص(٢٦٤)

الفصل الثامن

في أذكار دخول المسجد والخروج منه:

في «صحيح مسلم» عن أبي حُمَيْدٍ، أو أبي أُسَيْدٍ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا دخل أحدكم المسجد فَلْيُسَلِّمْ علىٰ النبي ﷺ وليقل: اللَّهُمَّ افتح لي أبواب رحمتك، وإذا خرج فليقل: اللَّهُمَّ إني أسألك من فضلك**»[١].

وفي «سنن أبي داود» عن عبد الله بن عمرو عن النبي ﷺ: أنه كان إذا دخل المسجد قال: «**أعوذ بالله العظيم، وبوجهه الكريم، وسلطانه القديم، من الشيطان الرجيم**» قال: فإذا قال ذلك قال الشيطان: حُفِظ مني سائِرَ اليوم»[٢].

ص(٢٦٥)

الفصل التاسع

في أذكار الأذان:

في «الصحيحين» عن أبي سعيد قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا سمعتم النداء فقولوا مثل ما يقول المؤذِّن**»[٣].

وفي «صحيح مسلم» عن عبد الله بن عمرٍو أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «**إذا سمعتم المؤذِّن فقولوا مثل ما يقول، ثم صلوا عليَّ؛ فإن من صلىٰ عليَّ صلاة صلىٰ الله عليه بها عشرًا، ثم سَلُوا الله لي الوسيلة، فإنها منزلةٌ في الجنة لا تنبغي إلا لعبدٍ من عباد الله، وأرجو أن أكون أنا هو، فمن سأل لي الوسيلة حَلَّتْ له الشفاعة**»[٤].

وفي «صحيح مسلم» عن عمر بن الخطاب قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا قال**

---

(١) «صحيح مسلم» (٧١٣).

(٢) أخرجه أبو داود (٤٦٦)، ومن طريقه البيهقي في «الدعوات» (١/ ٥٠)، قال ابن حجر: «هذا حديث حسن غريب».

(٣) «صحيح البخاري» (٦١١)، و«مسلم» (٣٨٣).

(٤) «صحيح مسلم» (٣٨٤).

المؤذن: الله أكبر الله أكبر، فقال أحدكم الله أكبر الله أكبر، ثم قال: أشهد أن لا إله إلا الله، فقال: أشهد أن لا إله إلا الله، ثم قال: أشهد أن محمدًا رسول الله، قال: أشهد أن محمدًا رسول الله، ثم قال: حيَّ علىٰ الصلاة، قال: لا حول ولا قوة إلا بالله، ثم قال: حيَّ علىٰ الفلاح، قال: لا حول ولا قوة إلا بالله، ثم قال: الله أكبر الله أكبر، قال: الله أكبر الله أكبر، ثم قال: لا إله إلا الله، قال: لا إله إلا الله، مِنْ قلبه = دخل الجنة»[١].

وفي «صحيح البخاري» عن جابرٍ أن رسول الله ﷺ قال: «**من قال حين يسمع النداء: اللَّهُمَّ ربَّ هذه الدعوة التامة، والصلاة القائمة، آتِ محمدًا الوسيلة والفضيلة، وابعثه مقامًا محمودًا الذي وَعَدْتَه = حَلَّتْ له شفاعتي يوم القيامة**»[٢].

وفي «سنن أبي داود» عن عبد الله بن عمرو قال: يا رسول الله، إن المؤذنين يَفْضُلُوننا، فقال رسول الله ﷺ: «**قُلْ كما يقولون، فإذا انتهيت، فَسَلْ تُعْطَه**»[٣].

وفي «الترمذي» عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا يُرَدُّ الدعاءُ بين الأذان والإقامة**» قالوا: فماذا نقول يا رسول الله؟ قال: «**سَلُوا الله العافية في الدنيا والآخرة**»[٤]. قال الترمذي: حديث حسن صحيح.

وفي «سنن أبي داود» عن سهل بن سعد قال: قال رسول الله ﷺ: «**ثنتان لا تُردَّان -أو قلّما تُردَّان- الدعاءُ عند النداء، وعند البأسِ حين يُلْحِمُ بعضهم بعضًا**»[٥].

---

(١) «صحيح مسلم» (٣٨٥).

(٢) «صحيح البخاري» (٦١٤، ٤٧١٩).

(٣) أخرجه أبو داود (٥٢٤)، وأحمد (٢/ ٦١٦)، وغيرهما. والحديث صححه ابن حبان، وحسنه ابن حجر.

(٤) أخرجه الترمذي (٣٥٩٤)، وأبو داود (٥٢١)، وأحمد (٤/ ٣٠٨)، وغيرهم. والحديث حسَّنه ابن حجر.

(٥) أخرجه أبو داود (٢٥٤٠)، والدارمي (١/ ٢٨٨)، والبيهقي في «الكبرىٰ» (١/ ٤١٠)، وغيرهم. وصححه ابن خزيمة والحاكم.

وفي «سنن أبي داود» عن أم سلمة قالت: علَّمني رسول الله ﷺ أن أقول عند المغرب: «**اللَّهُمَّ هذا إقبالُ ليلك، وإدبارُ نهارك، وأصواتُ دُعاتِك، وحضورُ صلواتك، فاغفر لي**»[١].

وفي «سنن أبي داود» عن بعض أصحاب النبي ﷺ، أن بلالًا أَخَذَ في الإقامة، فلما أن قال: قد قامت الصلاة، قال النبي ﷺ: «**أقامها الله وأدامها**»[٢].

فهذه خمسُ سُنَنٍ في الأذان:

- إجابتُه.
- وقولُ: رضيت بالله ربًّا، وبالإسلام دينًا، وبمحمد ﷺ رسولًا، حين يسمع التشهد.
- وسؤالُ الله تعالىٰ لرسوله ﷺ الوسيلة والفضيلة.
- والصلاةُ عليه ﷺ.
- والدعاءُ لنفسه ما شاء.

وعن سعد بن أبي وقاص، عن رسول الله ﷺ قال: «**من قال حين يسمع المؤذِّن: وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدًا عبده ورسوله، رضيت بالله ربًّا، وبالإسلام دينًا، وبمحمد ﷺ رسولًا، غفر الله له ذنوبه**»[٣].

---

(١) أخرجه أبو داود (٥٣٠)، والطبراني في «الدعاء» (٢/ ١٠٠١)، وغيرهما. وفي إسناده جهالة.

(٢) أخرجه أبو داود (٥٢٨)، وابن السني في «عمل اليوم والليلة» (١٠٥)، والبيهقي في «الكبرىٰ» (١/ ٤١١)، و«الدعوات» (١/ ٥٣) وغيرهم، والحديث ضعَّفه النوويُّ وابنُ حجر.

(٣) أخرجه مسلم (٣٨٦). إلاّ أنه ليس في روايته بيانُ موضعِ هذا الذكر من الأذان، وأنه يكون عند تَشهُّد المؤذّن. وورد بيان ذلك في رواية ابن خزيمةَ في «صحيحه» (٤٢٢).

الفصل العاشر

ص(٢٧٠)

في أذكار الاستفتاح:

في «الصحيحين» أن النبي ﷺ كان يقول في استفتاحه: «**اللَّهُمَّ باعِدْ بيني وبين خطاياي كما باعدت بين المشرق والمغرب، اللَّهُمَّ نقِّني من خطاياي كما يُنقَّىٰ الثوب الأبيض من الدَّنَسِ، اللَّهُمَّ اغسلني من خطاياي بالماء والثلج والبرَد**»[1].

وفي «سنن أبي داود» عن جُبَيْر بن مُطْعِم، أنه رأىٰ رسول الله ﷺ قال: «**الله أكبر كبيرًا، والحمد لله كثيرًا، وسبحان الله بُكْرَةً وأصيلًا، ثلاثًا، أعوذ بالله من الشيطان الرجيم من نفخه ونفثه وهمزه**»[2].

قال[3]: نفثُه: الشِّعْر، ونفخُه: الكِبْر، وهَمْزُه: المَوْتَة.

وفي «السنن الأربعة» عن عائشة وأبي سعيد وغيرهما، أن النبي ﷺ كان إذا استفتح الصلاة قال: «**سبحانك اللَّهُمَّ وبحمدك،، وتبارك اسمك، وتعالىٰ جدُّك، ولا إله غيرك**»[4]، وهو في «صحيح مسلم» عن عمر موقوفٌ عليه[5].

وفي «صحيح مسلم» عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ إذا

(١) «صحيح البخاري» (٧٤٤)، و«مسلم» (٥٩٨) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه أبو داود (٧٦٤)، وابن ماجه (٨٠٧) وغيرهما. وصحّحه ابنُ حبان وغيره وحسّنه ابن حجر.

(٣) القائل: هو عمرو بن مرّة، أحد رواة الحديث.

(٤) أخرجه الترمذي (٢٤٣)، وابن ماجه (٨٠٦)، وابن خزيمة (١/ ٢٣٩) وغيرهم، من حديث عائشة رضي الله عنها.

أمّا حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه فأخرجه الترمذي (٢٤٢)، وأبو داود (٧٧٥)، والنسائي (٨٩٨)، وابن ماجه (٨٠٤) وغيرهم. وحسَّنه ابن حجر.

(٥) «صحيح مسلم» (٣٩٩/ ٥٢)، وفي إسناده انقطاع. وروي من طرق أخرىٰ صحيحةٍ عن عمر رضي الله عنه موقوفًا.

قام إلىٰ الصلاة قال: «**وَجَّهْتُ وجهي للذي فطر السموات والأرض حنيفًا وما أنا من المشركين، إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين، لا شريك له، وبذلك أُمِرْتُ وأنا من المسلمين، اللَّهُمَّ أنت الملك لا إله إلا أنت، أنت ربي وأنا عبدك، ظلمتُ نفسي، واعترفتُ بذنبي، فاغفر لي ذنوبي جميعًا، إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت، واهدني لأحسن الأخلاق لا يَهْدِي لأحسنها إلا أنت، واصرف عني سَيِّئَها لا يصرف سَيِّئَها إلا أنت، لبَّيْك وسَعْدَيْك، والخير كلُّه في يديك، والشرُّ ليس إليك، أنا بِكَ وإليك، تباركت وتعاليت، أستغفرك وأتوب إليك**»، وكان إذا ركع يقول في ركوعه: «**اللَّهُمَّ لك ركعت وبك آمنت، ولك أسلمت، خشع لك سمعي وبصري، ومُخِّي وعَظْمِي وعَصَبِي**»، وإذا رفع رأسه من الركوع يقول: «**سمع الله لمن حمده، ربنا ولك الحمد مِلْء السموات ومِلْء الأرض، ومِلْء ما بينَهما، ومِلْء ما شئت من شيء بعدُ**»، وإذا سجد يقول في سجوده: «**اللَّهُمَّ لك سجدت، وبك آمنت، ولك أسلمت، سجد وجهي للذي خلقه وصوَّره، وشَقَّ سمعه وبصره، تبارك الله أحسن الخالقين**»، وكان آخر ما يقول بين التشهد والتسليم: «**اللَّهُمَّ اغفر لي ما قدَّمتُ وما أخَّرْتُ، وما أسْرَرْتُ وما أعلنتُ، وما أسْرَفْتُ، وما أنت أعلم به مني، أنت المُقَدِّم وأنت المُؤخِّر، لا إله إلا أنت**»(١) .

وفي «صحيح مسلم» عن عائشة: كان رسول الله ﷺ يفتتح صلاته إذا قام من الليل: «**اللَّهُمَّ رَبَّ جبريل وميكائيل وإسرافيل، فاطرَ السموات والأرض، عالِمَ الغيب والشهادة، أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون، اهدني لما اختُلِفَ فيه من الحقِّ بإذنك، إنك تهدي من تشاء إلىٰ صراطٍ مستقيم**»(٢) .

---

(١) «صحيح مسلم» (٧٧١)، والمحفوظ أنّ هذا إنما كان يقوله في قيام الليل، كما ذكر المصنف في «الزاد».

(٢) «صحيح مسلم» (٧٧٠).

وفي «الصحيحين» عن ابن عباس قال: كان رسول الله ﷺ يقول إذا قام إلىٰ الصلاة من جوف الليل: «**اللَّهُمَّ لك الحمدُ، أنت نورُ السماوات والأرض ومَنْ فيهنّ، ولك الحمدُ، أنت قَيَّامُ السموات والأرض ومَنْ فيهنّ، ولك الحمدُ، أنت ربُّ السموات والأرض ومَنْ فيهنّ، ولك الحمدُ، أنت الحقُّ، ووعدُك الحقُّ، وقولُك الحقُّ، ولقاؤُك حقٌّ، والجنةُ حقٌّ، والنارُ حقٌّ، والنبيون حقٌّ، ومحمدٌ ﷺ حقٌّ، والساعةُ حقٌّ. اللَّهُمَّ لك أسلمتُ، وبك آمنتُ، وعليك توكلتُ، وإليك أنبتُ، وبك خاصمتُ، وإليك حاكمتُ، فاغفر لي ما قدَّمتُ وما أخَّرتُ، وما أسررتُ وما أعلنتُ، أنت إلهي لا إله إلا أنت**»(١).

الفصل الحادي عشر

ص(٢٧٥)

في ذِكر الركوع والسجود، والفصلِ بينهما، وبين السجدتين:

في «السنن الأربعة» عن حذيفة رضي الله تعالىٰ عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول إذا ركع: «**سبحان ربي العظيم**» ثلاث مرات. وإذا سجد قال: «**سبحان ربي الأعلىٰ**» ثلاث مرات(٢).

وفيه حديث علي رضي الله عنه، وقد سبق في الفصل قبله بطوله.

وفي «الصحيحين» عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله ﷺ يُكْثِرُ أن يقول في ركوعه وسجوده: «**سبحانك اللَّهُمَّ ربنا وبحمدك. اللَّهُمَّ اغفر لي**»(٣).

---

(١) «صحيح البخاري» (١١٢٠، ٦٣١٧، ٧٣٨٥)، و«مسلم» (٧٦٩).

(٢) أخرجه مسلم (٧٧٢)، وأبو داود (٨٧١)، والترمذي (٢٦٢)، والنسائي (١٠٠٧)، وقال الترمذي: «حسن صحيح»، إلّا أنه ليس عندهم تقييد التسبيح بالثلاث. وأخرجه بهذا القيد ابنُ ماجه (٨٨٨) بإسناد ضعيف. وكذا ابنُ خزيمة وغيُره بإسنادٍ حسّنه ابن حجر، وللحديث شواهد يثبت بمجموعها الخبر.

(٣) «صحيح البخاري» (٧٩٤، ٨١٧، ٤٢٩٣)، و«مسلم» (٤٨٤).

وفي «صحيح مسلم» عنها رضي الله عنها: كان رسول الله ﷺ يقول في ركوعه وسجوده: «**سُبُّوحٌ قُدُّوسٌ، ربُّ الملائكة والروح**»(١).

وفي «سنن أبي داود» عن عوف بن مالك رضي الله عنه، أن النبي ﷺ كان يقول في ركوعه وسجوده: «**سبحان ذي الجَبَرُوتِ والملكوت، والكبرياءِ، والعَظَمة**»(٢).

وفي «صحيح مسلم» عن أبي سعيد رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ إذا رفع رأسه من الركوع قال: «**اللَّهُمَّ ربنا لك الحمد، مِلْء السماوات، ومِلْء الأرض، ومِلْء ما بينهما، وملء ما شئت من شيء بعد، أهلَ الثناء والمجد، أحقُّ ما قال العبدُ، وكلُّنا لك عبدٌ، اللَّهُمَّ لا مانع لما أعطيت، ولا مُعْطِي لما منعت، ولا ينفع ذا الجَدِّ منك الجَدُّ**»(٣).

وفي «صحيح البخاري» عن رفاعة بن رافع رضي الله عنه قال: كنا نصلي يومًا وراء النبي ﷺ، فلما رفع رأسه من الركعة قال: «**سمع الله لمن حمده**» فقال رجل وراءه: ربنا ولك الحمد حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه، فلما انصرف قال: «**من المُتكلِّم**»؟ قال: أنا يا رسول الله. قال: «**لقد رأيتُ بِضْعَةً وثلاثين مَلَكًا يَبْتَدِرُونها أَيُّهم يكتبها أَوَّل**»(٤).

وفي «صحيح مسلم» عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «**أَقْرَبُ ما يكون العبد من ربه وهو ساجد، فأكثروا الدعاء**»(٥).

---

(١) «صحيح مسلم» (٤٨٧).

(٢) أخرجه أبو داود (٨٧٣)، والنسائي (١٠٤٨)، وغيرهما. والحديث صححه النووي، وحسنه ابن حجر.

(٣) «صحيح مسلم» (٤٧٧).

(٤) «صحيح البخاري» (٧٩٩).

(٥) «صحيح مسلم» (٤٨٢).

وعنه رضىٰ الله عنه أن رسول الله ﷺ كان يقول في سجوده: «**اللَّهُمَّ اغفر لي ذنبي كُلَّه، دِقَّهُ، وَجِلَّهُ، وأوَّلهُ، وآخره، وعلانيته، وَسِرَّه**»(١) .

وقالت عائشة رضي الله عنها: افتقدتُ النبي ﷺ ذات ليلة، فالتمسته، فوقعت يدي علىٰ بطن قدميه، وهو في المسجد، وهما منصوبتان، وهو يقول: «**اللَّهُمَّ إني أعوذ برضاك من سَخَطِك، وبمعافاتك من عُقوبتك، وأعوذ بكَ منك، لا أُحْصِي ثناءً عليك، أنت كما أثنيتَ علىٰ نفسك**»(٢) .

رویٰ مسلم هذه الأحاديث.

وفي «سنن أبي داود» عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان رسول الله ﷺ يقول بين السجدتين: «**اللَّهُمَّ اغفر لي، وارحمني، واهدني، واجْبُرْني، وعافني، وارزقني**»(٣) .

وفي «السنن» أيضًا عن حذيفة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ كان يقول بين السجدتين: «**رَبِّ اغفر لي، رَبِّ اغفر لي**»(٤) .

الفصل الثاني عشر

ص(٢٨٠)

في أدعية الصلاة، وبعد التشهُّد:

فيَ «الصحيحين» عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا فرغ أحدكم من التشهد، فليتعوذ بالله من أربع: من عذاب القبر، ومن عذاب جهنم، ومن فتنة المحيا**

(١) «صحيح مسلم» (٤٨٣).

(٢) «صحيح مسلم» (٤٨٦).

(٣) أخرجه أبو داود (٨٤٦)، والترمذي (٢٨٤، ٢٨٥)، وابن ماجه (٨٩٨)، وغيرهم. وليس عند أبي داود قوله: «واجبرني»، وأخرجه من وجه آخر: الضياء في «المختارة» (١٠/ ١٣٣)، والحاكم (١/ ٢٦٢) وصحّحه.
والدُّعاء ثابتٌ في «صحيح مسلم» (٢٦٩٦، ٢٦٩٧) بدون تقييدٍ بما بين السجدتين في الصلاة.

(٤) أخرجه أبو داود (٨٧٤)، والنسائي (١٠٦٨)، وغيرهما، وصححه ابن خزيمة والحاكم.

والممات، ومن شر فتنة المسيح الدجال»[١].

وفيهما أيضًا عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أن النبي ﷺ كان يدعو في الصلاة: «**اللَّهُمَّ إني أعوذ بك من عذاب القبر، وأعوذ بك من فتنة المسيح الدجال، وأعوذ بك من فتنة المحيا والممات، اللَّهُمَّ إني أعوذ بك من المَأْثَم والمَغْرَم**». فقال له قائل: ما أكثَر ما تستعيذ من المَغْرَم؟! فقال: «**إن الرجل إذا غَرِم حَدَّثَ فكذب، ووعد فأخلف**»[٢].

وقد تقدم في «الصحيحين» أن أبا بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال لرسول الله ﷺ: عَلِّمْني دعاءً أدعو به في صلاتي، فقال: «**قُلْ: اللَّهُمَّ إني ظلمت نفسي ظلمًا كثيرًا، ولا يغفر الذنوب إلا أنت، فاغفر لي مغفرةً من عندك، وارحمني، إنك أنت الغفور الرحيم**»[٣].

وفي «صحيح مسلم» من حديث علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في صفة صلاة رسول الله ﷺ. وقد تقدم بطوله في الفصل العاشر[٤].

وفي «سنن أبي داود» أن النبي ﷺ قال لرجل: «**كيف تقول في الصلاة**»؟ قال: أتشهَّدُ، وأقول: اللَّهُمَّ إني أسألك الجنة، وأعوذ بك من النار، أَمَا إني لا أُحْسِنُ دَنْدَنَتَك ولا دَنْدَنَةَ معاذ؛ فقال النبي ﷺ: «**حولها نُدَنْدِن**»[٥].

وفي «المسند» و«السنن» عن شداد بن أوس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن رسول الله ﷺ كان يقول في صلاته: «**اللَّهُمَّ إني أسألك الثَّبَاتَ في الأمر، والعزيمة علىٰ الرُّشْد، وأسألك شُكْرَ نعمتك، وحُسْنَ عبادتك، وأسألك قلبًا سليمًا، ولسانًا صادقًا، وأسألك مِنْ خير ما**

---

(١) «صحيح البخاري» (١٣٧٧)، و«صحيح مسلم» (٥٨٨).

(٢) «صحيح البخاري» (٨٣٢، ٢٣٩٧)، و«مسلم» (٥٨٧، ٥٨٩).

(٣) انظر: ص(١٣٩).

(٤) انظر: ص(١٥٧، ١٥٨).

(٥) أخرجه أبو داود (٧٩٢)، وابن ماجه (٩١٠) وغيرهما. وصححه ابن خزيمة وغيره.

تعلم، وأعوذ بك من شرِّ ما تعلم، وأستغفرك لما تعلم، إنك أنت علام الغيوب»(١) .

وفي «سنن النسائي» أن عمار بن ياسر صلىٰ صلاة، ودعا فيها بدعواتٍ وقال: سمعتهن من رسول الله ﷺ: **«اللَّهُمَّ بِعِلْمِكَ الغيب، وقُدْرَتِكَ علىٰ الخلق، أَحْيِني إذا علمت الحياة خيرًا لي، وتَوَفَّني إذا علمت الوفاة خيرًا لي، إني أسألك خشيتَك في الغيب والشهادة، وأسألك كلمةَ الحق في الغضب والرضىٰ، وأسألك القَصْدَ في الفقر والغِنَىٰ، وأسألك نعيمًا لا يَنْفَد، وأسألك قُرَّةَ عَيْنٍ لا تنقطع، وأسألك الرضىٰ بعد القضاء، وأسألك بَرْدَ العَيْشِ بعد الموت، وأسألك لذة النظر إلىٰ وجهك، والشوقَ إلىٰ لقائك، في غير ضَرَّاءَ مُضِرَّة، ولا فتنةٍ مُضِلَّةٍ، اللَّهُمَّ زَيِّنَّا بزينة الإيمان، واجعلنا هُداةً مهتدين»**(٢) .

الفصل الثالث عشر

ص(٢٨٣)

في الأذكار المشروعة بعد السلام، وهو إدبار السجود:

في «صحيح مسلم» عن ثوبان رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ إذا انصرف من صلاته استغفر ثلاثًا، وقال: **«اللَّهُمَّ أنت السلام، ومنك السلام، تباركت يا ذا الجلال والإكرام»**(٣).

وفي «الصحيحين» عن المغيرة بن شعبة أن رسول الله ﷺ كان إذا فرغ من الصلاة قال: **«لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد، وهو علىٰ كل شيء قدير، اللَّهُمَّ لا مانع لما أعطيت، ولا معطي لما منعت، ولا ينفع ذا الجد منك الجد»**(٤).

---

(١) أخرجه أحمد (٥/ ٨٣٨)، والترمذي (٣٤٠٧)، وحسنه ابن حجر.

(٢) أخرجه النسائي (١٣٠٤)، والطبراني في «الدعاء» (٢/ ١٠٧٩)، وغيرهما، وصححه ابن خزيمة وابن حبان والحاكم.

(٣) «صحيح مسلم» (٥٩١).

(٤) «صحيح البخاري» (٢٨٤٤، ٦٣٣٠، ٦٤٧٣، ٦٦١٥)، و«مسلم» (٥٩٣).

وفي «صحيح مسلم» عن عبد الله بن الزبير رضي الله تعالىٰ عنهما، أن رسول الله ﷺ كان يُهَلِّلُ دُبُرَ كل صلاة حين يُسَلِّمُ بهؤلاء الكلمات: «**لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد، وهو علىٰ كل شيء قدير، لا حول ولا قوة إلا بالله، لا إله إلا الله، ولا نعبد إلا إياه، له النِّعمةُ وله الفضلُ، وله الثناءُ الحَسَن، لا إله إلا الله مخلصين له الدين ولو كَرِهَ الكافرون**»[1].

وفي «صحيح مسلم» عن أبي هريرة، عن رسول الله ﷺ قال: «**من سبح الله في دُبُرِ كل صلاة ثلاثًا وثلاثين، وكبَّر الله ثلاثًا وثلاثين، وَحَمِد الله ثلاثًا وثلاثين، وقال تمام المائة: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد، وهو علىٰ كل شيء قدير، غُفِرَت خطاياه وإن كانت مثل زَبَدِ البحر**»[2].

وفي «السنن» عن عبد الله بن عمرو، عن النبي ﷺ قال: «**خصلتان -أو خَلَّتان- لا يحافظ عليهما عبد مسلم إلا دخل الجنة، هما يَسِيرٌ، ومن يَعْمَلُ بهما قليل: يُسَبِّحُ الله في دبر كل صلاة عشرًا، ويحمده عشرًا، ويكبِّره عشرًا، فذلك خمسون ومائة باللسان، وألف وخمسمائة في الميزان. ويكبر أربعًا وثلاثين إذا أخذ مضجعه، ويحمد ثلاثًا وثلاثين، ويسبح ثلاثًا وثلاثين، فذلك مائة باللسان، وألف في الميزان**».

قال: ولقد رأيت رسول الله ﷺ يعقدها بيده. قالوا: يا رسول الله، كيف هما يسيرٌ ومن يعمل بهما قليل؟! قال: «**يأتي أحدَكم -يعني الشيطانُ- في منامه، فيُنَوِّمُه قبل أن يقوله، ويأتيه في صلاته فيُذَكِّرُهُ حاجته قبل أن يقولها**»[3].

---

(١) «صحيح مسلم» (٥٩٤).

(٢) «صحيح مسلم» (٥٩٧).

(٣) أخرجه أبو داود (٥٠٦٥)، والترمذي (٣٤١٠)، والنسائي (١٣٤٧)، وابن ماجه (٩٢٦) وغيرهم. قال الترمذي: «هذا حديث حسن صحيح».

وفي «السنن» عن عقبة بن عامر قال: أَمَرَنِي رسولُ الله ﷺ أن أقرأ بالمعوّذتَيْن دبر كل صلاة[١] .

وفي «النسائي الكبير» عن أبي أمامة قال: قال رسول الله ﷺ: «**من قرأ آية الكرسي عَقِبَ كل صلاة، لم يمنعه من دخول الجنة إلّا أن يموت**»[٢] . يعني لم يكن بينه وبين دخول الجنة إلا الموت.

وبلغني عن شيخ الإسلام ابن تيمية قال: ما تركتُه عقيب كل صلاة إلا نسيانًا. أو نحوه[٣] .

قلت: وقد بالغ أبو الفرج بن الجوزي في إدخاله هذا الحديث في «الموضوعات»، وقال شيخنا أبو الحجاج المِزِّي رحمه الله: إسناده على شرط البخاري.

الفصل الرابع عشر

ص(٢٨٧)

في ذِكرِ التشهد:

ثبت في «الصحيحين» عن عبد الله بن مسعود قال: علَّمني رسول الله ﷺ التشهد -وكَفِّي بين كَفَّيْه- كما يعلمني السورة من القرآن: «**التحيات لله، والصلوات والطيبات، السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته، السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين، أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله**»[٤].

---

(١) أخرجه أبو داود (١٥٢٣)، والترمذي (٢٩٠٣)، والنسائي (١٣٣٥) وغيرهم، قال الترمذي: «حسن غريب».

(٢) أخرجه النسائي في «السنن الكبرى» (٩/ ٤٤)، والطبراني في «الدعاء» (٢/ ١١٠٤)، وغيرهما، وصححه ابن حبان.

(٣) ثبت عن شيخ الإسلام تضعيفه هذا الحديث وأنه لا يثبت به سنة، وهذا يَبْعُدُ معه ما بَلَغ ابنَ القيّم رحمه الله تعالى عن شيخه، ولعلَّ الخلل من الواسطة. والله أعلم.

(٤) «صحيح البخاري» (٨٣١، ٨٣٥، ١٢٠٢، ٦٢٣٠، ٦٢٦٥)، و«مسلم» (٤٠٢).

وفي «صحيحِ مسلم» عن ابن عباس قال: كان رسول الله ﷺ يُعَلِّمُنا التشهد كما يُعَلِّمُنا السورة من القرآن، وكان يقول: «**التحيات المباركات، الصلوات، الطيبات لله، السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته، السلام علينا وعلىٰ عباد الله الصالحين، أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدًا رسول الله**»(١).

وفي «صحيح مسلم» عن أبي موسىٰ، أن النبي ﷺ عَلَّمهم التشهد: «**التحيات الطيبات، الصلوات لله، السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته، السلام علينا وعلىٰ عباد الله الصالحين، أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله**»(٢).

وروىٰ أبو داود عن عمر بن الخطاب(٣) ، عن رسول الله ﷺ في التشهد: «**التحيات لله، الصلوات الطيبات، السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته، السلام علينا وعلىٰ عباد الله الصالحين، أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله**»(٤) .

وروىٰ أبو داود، عن سمرة بن جندب: أما بعد: أمرنا رسول الله ﷺ إذا كان في وسط الصلاة، أو حين انقضائها، فابدؤوا قبل السلام فقولوا: «**التحيات الطيبات والصلوات والملك لله، ثم سلموا علىٰ اليمين، ثم سلّموا علىٰ قارئكم وعلىٰ أنفسكم**»(٥).

وذكر مالك في «الموطأ» أن عمر رضي الله عنه كان يُعَلِّمُ الناس التشهد وهو علىٰ المنبر،

---

(١) «صحيح مسلم» (٤٠٢).

(٢) «صحيح مسلم» (٤٠٤).

(٣) كذا في الأصول التي بين يديّ. وفي «سنن أبي داود» وباقي المصادر: «عن ابن عمر»، وهو الصّواب.

(٤) أخرجه أبو داود (٩٦٣)، والدارقطني في «السنن» (١/ ٣٥١) وغيرهما. والمحفوظ أنه من حديث أبي معمر عن عبد الله بن مسعود، كما قال البخاري.

(٥) أخرجه أبو داود (٩٦٧) بإسنادٍ ضعيفٍ، لما فيه من المجاهيل، كما قال الحافظ ابن حجر.

يقول: «قولوا: **التحيات لله، الزاكيات لله، الصلوات الطيبات لله، السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته، السلام علينا وعلىٰ عباد الله الصالحين، أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله**»[(١)].

فأيُّ تَشَهُّدٍ أتىٰ به من هذه التشهُّدات أجزأه.

وذهب الإمام أحمد وأبو حنيفة إلىٰ تشهُّد ابن مسعود، وذهب الشافعي إلىٰ تشهُّد ابن عباس، وذهب مالك إلىٰ تشهُّد عمر رضي الله عنه.

والكُلُّ كافٍ مُجْزِئ.

الفصل الخامس عشر

ص(٢٩١)

في ذكر الصلاة على النبي ﷺ:

في «الصحيحين» عن كعب بن عجرة رضي الله عنه قال: خرج علينا رسول الله ﷺ فقلنا: يا رسول الله! قد عرفنا كيف نُسَلِّمُ عليك، فكيف نُصَلِّي عليك؟ قال: «**قولوا: اللَّهُمَّ صل علىٰ محمد، وعلىٰ آلِ محمد، كما صليت علىٰ آل إبراهيم إنك حميد مجيد، اللَّهُمَّ بارك علىٰ محمد، وعلىٰ آل محمد، كما باركت علىٰ آل إبراهيم، إنك حميد مجيد**»[(٢)].

وفي «الصحيحين» أيضًا: عن أبي حميد الساعدي أنهم قالوا: يا رسول الله! كيف نصلي عليك؟ قال: «**قولوا: اللَّهُمَّ صل علىٰ محمد، وعلىٰ أزواجه وذريته، كما صليت علىٰ آل إبراهيم، وبارك علىٰ محمد، وعلىٰ أزواجه وذريته، كما باركت علىٰ آل إبراهيم، إنك حميد مجيد**»[(٣)].

---

(١) أخرجه مالك في «الموطأ» (١/ ١٤٤)، ومن طريقه الشافعي في «الرسالة» (٢٦٨)، وغيرهما بإسنادٍ صحيحٍ، ومَن وَقفه علىٰ عُمر وَهِمَ.

(٢) «صحيح البخاري» (٣٣٧٠، ٤٧٩٧، ٦٣٥٧)، و«مسلم» (٤٠٦)، واللفظ له.

(٣) «صحيح البخاري» (٣٣٦٩، ٦٣٦٠)، و«مسلم» (٤٠٧).

وفي «صحيح مسلم» عن أبي مسعود الأنصاري قال: أتانا رسول الله ﷺ ونحن في مجلس سعد بن عبادة، فقال له بشير بن سعد: أمرنا الله أن نصلي عليك يا رسول الله، فكيف نصلي عليك؟ قال: فسكت رسول الله ﷺ حتىٰ تمنينا أنه لم يسأله. ثم قال رسول الله ﷺ: «**قولوا: اللَّهُمَّ صل علىٰ محمد، وعلىٰ آل محمد، كما صليت علىٰ آل إبراهيم، وبارك علىٰ محمد وعلىٰ آل محمّد، كما باركت علىٰ آل إبراهيم، في العالمين، إنك حميد مجيد. والسلام كما قد علمتم**»[(١)] .

وذكر ابن ماجه في «سننه» عن عبد الله بن مسعود قال: إذا صليتم علىٰ رسول الله ﷺ فأحسنوا الصلاة، فإنكم لا تدرون لعل ذلك يُعْرَض عليه. قال: فقالوا له: فعلِّمْنا، قال: قولوا: اللَّهُمَّ اجعل صلواتك، ورحمتك، وبركاتك علىٰ سيد المرسلين، وإمام المتقين، وخاتم النبيين، محمد عبدك ورسولك، إمام الخير، وقائد الخير، ورسول الرحمة، اللَّهُمَّ ابعثه مقامًا محمودًا يغبطه به الأولون والآخرون، اللَّهُمَّ صل علىٰ محمد، وعلىٰ آل محمد، كما صليت علىٰ إبراهيم، وعلىٰ آل إبراهيم، إنك حميد مجيد، اللَّهُمَّ بارك علىٰ محمد، وعلىٰ آل محمد، كما باركت علىٰ إبراهيم وعلىٰ آل إبراهيم، إنك حميد مجيد[(٢)] .

ص(٢٩٣)

الفصل السادس عشر

في ذكر الاستخارة:

في «صحيح البخاري» عن جابر قال: كان رسول الله ﷺ يعلمنا الاستخارة في الأمر كما يعلمنا السورة من القرآن، يقول: «**إذا هَمَّ أحدكم بالأمر فليركع ركعتين من**

(١) «صحيح مسلم» (٤٠٥).

(٢) أخرجه ابن ماجه (٩٠٦)، وأبو يعلىٰ في «مسنده» (٩/ ١٧٥)، وغيرهما، والحديث محتملٌ للتحسين.

غير الفريضة، ثم ليقل: اللَّهُمَّ إني أستخيرك بعلمك، وأستقدرك بقدرتك، وأسألك من فضلك العظيم، فإنك تَقْدِرُ ولا أَقْدِرُ، وتَعْلَمُ ولا أعلم، وأنت علام الغيوب، اللَّهُمَّ إن كنت تعلم أن هذا الأمر -ويُسَمِّي حاجته- خير لي في دينى ومعاشي وعاقبة أمري، فاقدُره لي، ويَسِّرْهُ لي، ثم بارك لي فيه، وإن كنت تعلم أن هذا الأمر شر لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري، فاصرفه عني، واصرفني عنه، واقدُر لي الخير حيث كان، ثم رَضِّني به»[1].

وفي «مسند الإمام أحمد» من حديث سعد بن أبي وقاص، عن النبي ﷺ أنه قال: «من سعادة ابن آدم استخارة الله، ومن سعادة ابن آدم رضاه بما قضاه الله، ومن شِقْوَةِ ابن آدم تركُه استخارة الله، ومن شِقْوَةِ ابن آدم سَخَطُه بما قضىٰ الله»[2].

وكان شيخ الإسلام ابن تيمية رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يقول: ما ندم من استخار الخالق، وشاور المخلوقين، وتثبَّت في أمره.

وقد قال سبحانه وتعالىٰ: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ﴾ [آل عمران:١٥٩].

قال قتادة: ما تشاور قوم يبتغون وجه الله إلا هُدُوا إلىٰ أرشد أمرهم[3].

---

(١) «صحيح البخاري» (١١٦٢، ٦٣٨٢، ٧٣٩٠).

(٢) أخرجه أحمد (١/ ٤٥٩)، والترمذي (٢١٥٢)، وغيرهما. قال الترمذي: «وليس هو بالقويّ عند أهل الحديث».

(٣) أخرجه ابن جرير في «تفسيره» (٧/ ٣٤٣ - ٣٤٤).

وأخرج البخاريّ في «الأدب المفرد» (٢٥٨)، وابن جرير (٧/ ٣٤٤) عن الحسن البصريّ نحوه بسند قويّ، كما قال الحافظ ابن حجر.

ص(٢٩٥)

الفصل السابع عشر

في أذكار الكرب والغم والحزن والهم:

في «الصحيحين»: عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ كان يقول عند الكرب: «**لا إله إلا الله العظيم الحليم، لا إله إلا الله رب العرش العظيم، لا إله إلا الله رب السموات، ورب الأرض، ورب العرش الكريم**»[(١)].

وفي «الترمذي» عن أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ كان إذا حَزَبَهُ أَمْرٌ قال: «**يا حَيُّ يا قيوم برحمتك أستغيث**»[(٢)].

وفيه أيضًا: عن أبي هريرة، أن النبي ﷺ كان إذا أَهَمَّهُ الأمرُ رفع رأسه إلىٰ السماء فقال: «**سبحان الله العظيم**»، وإذا اجتهد في الدعاء قال: «**يا حَيُّ يا قيوم**»[(٣)].

وفي «سنن أبي داود» عن أبي بكرة أن رسول الله ﷺ قال: «**دَعَواتُ المكروب: اللَّهُمَّ رَحْمَتَكَ أرجو، فلا تَكِلْنِي إلىٰ نفسي طرفة عين، وأَصْلِحْ لي شأني كله، لا إله إلا أنت**»[(٤)].

وفي «السنن» -أيضًا- عن أسماء بنت عميس قالت: قال لي رسول الله ﷺ: «**ألا أُعَلِّمُكِ كلماتٍ تقولينَهُنَّ عند الكَرْبِ -أو في الكَرْبِ-؟؛ اللهُ اللهُ ربي لا أشرك به شيئًا**»[(٥)].

---

(١) «صحيح البخاري» (٦٣٤٦)، و«مسلم» (٢٧٣٠).

(٢) أخرجه الترمذي (٣٥٢٤)، وابن السني في «عمل اليوم والليلة» (٣٣٨)، وقال الترمذي: «هذا حديث غريب».

(٣) أخرجه الترمذي (٣٤٣٦)، وقال: غريب.

(٤) أخرجه أبو داود (٥٠٤٩)، والنسائي في «عمل اليوم والليلة» (٦٥١)، والطيالسي (٩١٠)، والبخاري في «الأدب المفرد» (٧٠١) وغيرهم، وصححه ابن حبان، وحسنه ابن حجر.

(٥) أخرجه أبو داود (١٥٢٥)، والنسائي في «عمل اليوم والليلة» (٦٤٩)، وابن ماجه (٣٨٨٢)، وحسّنه ابن حجر.

وفي رواية أنها تقال سبع مرات(١).

وفي رواية الترمذي عن سعد بن أبي وقاص قال: قال رسول الله ﷺ: «**دعوة ذي النون إذْ دعا وهو في بطن الحوت: ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأنبياء:٨٧]، لم يَدْعُ بها رجل مسلم في شيء قط إلا استجيب له**»(٢).

وفي روايةٍ له: «**إني لأعلم كلمة لا يقولها مكروب إلا فرج الله عنه، كلمة أخي يونس عليه السلام**».

وفي «مسند الإمام أحمد» و«صحيح ابن حبَّان» عن عبد الله بن مسعود عن النبي ﷺ قال: «**ما أصاب عبدًا همٌّ ولا حَزَنٌ فقال: اللَّهُمَّ إني عبدك ابن عبدك ابن أمتك، ناصيتي بيدك، ماضٍ فِيَّ حكمُك، عدلٌ فِيَّ قضاؤك، أسألك بكل اسمٍ هو لك، سَمَّيْتَ به نفسك، أو أنزلته في كتابك، أو عَلَّمْتَه أحدًا من خلقك، أو استأثرت به في علم الغيب عندك؛ أن تجعل القرآن ربيع قلبي، ونور بصري، وجلاء حُزْني، وذهاب هَمِّي = إلا أذهب الله همه وحزنه، وأبدله مكانه فرحًا**»(٣).

الفصل الثامن عشر

ص(٢٩٩)

في الأذكار الجالبةِ للرِّزْقِ، الدافعةِ للضِّيقِ والأذى:

قال الله سبحانه وتعالىٰ عن نبيه نوح ﷺ: ﴿فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ۝١٠ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ۝١١ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا﴾ [نوح:١٠-١٢].

---

(١) أخرجها إسحاق بن راهويه في «المسند» (٥/ ٣٣)، والنسائي في «عمل اليوم والليلة» (٦٥٠)، عن عمر بن عبد العزيز مرسلًا. والأشبه أنها خطأ، والمحفوظ عن عمر عن عبد الله بن جعفر عن أسماء باللفظ المتقدم.

(٢) تقدم تخريجه ص(١٣٧).

(٣) أخرجه أحمد (٢/ ٤٧، ١٨١)، وابن أبي شيبة في «المصنّف» (١٠/ ٢٥٣) وغيرهما، وحسنه ابن حجر.

وفي بعض «المسانيد» عن ابن عباسٍ أن رسول الله ﷺ قال: «**من لزم الاستغفار جعل الله له من كل هَمٍّ فرجًا، ومن كل ضيقٍ مخرجًا، وَرَزَقَهُ مِنْ حيثُ لا يحتسب**»[1].

وذكر أبو عمر بن عبد البر في «التمهيد» حديثًا مرفوعًا إلىٰ النبي ﷺ: «**من قرأ سورة الواقعة كل يوم لم تُصِبْه فاقةٌ أبدًا**»[2].

ص(٣٠٠)

الفصل التاسع عشر

في الذكر عند لقاء العدو وَمَنْ يُخاف مِنْ سلطانٍ وغيره:

في «سنن أبي داود» و«النسائي» عن أبي موسىٰ الأشعري، أن النبي ﷺ كان إذا خاف قومًا قال: «**اللَّهُمَّ إنا نجعلك في نحورهم، ونعوذ بك من شرورهم**»[3].

ويُذْكَر عن النبي ﷺ أنه كان يقول عند لقاء العدو: «**اللَّهُمَّ أنت عَضُدِي، وأنت ناصري، وبِكَ أُقاتِل**»[4].

وعنه ﷺ أنه كان في غزوةٍ فقال: «**يا مالك يوم الدين، إياك أعبد، وإياك أستعين**».

قال أنس: فلقد رأيت الرجال تصرعها الملائكة من بين يديها ومن خلفها[5].

وعن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا خِفْتَ سلطانًا أو غيره فقل: لا إله إلا الله الحليم الكريم، سبحان الله رب السموات السبع ورب العرش العظيم، لا إله**

(١) أخرجه أبو داود (١٥١٨)، والنسائي في «عمل اليوم والليلة» (٤٥٦)، وابن ماجه (٣٨١٩)، وفي سنده مقال.

(٢) أخرجه ابن عبد البر في «التمهيد» (٥/ ٢٦٩)، وابن الجوزي في «العلل المتناهية» (١/ ١٠٥) وغيرهم عن ابن مسعود مرفوعًا بإسنادٍ مسلسلٍ بالعلل. ولذا قال الإمام أحمد: هذا حديث منكر.

(٣) أخرجه أبو داود (١٥٣٧)، وأحمد (٦/ ٦٤٤) وغيرهما. وصححه ابن حبان، والحاكم.

(٤) أخرجه أبو داود (٢٦٣٢)، والترمذي (٣٥٨٤)، وغيرهما، وقال: «هذا حديث حسن غريب».

(٥) أخرجه الطبراني في «الأوسط» (٨/ ١٢٣)، وابن السني في «عمل اليوم والليلة» (٣٣٥) عن أبي طلحة، بإسنادٍ ضعيف.

إلا أنت، عَزَّ جارُك، وَجَلَّ ثناؤُك»[١].

وفي «صحيح البخاري» عن ابن عباس قال: «حسبنا الله ونعم الوكيل» قالها إبراهيم ﷺ حين أُلْقِيَ في النار، وقالها محمد ﷺ حين قال له الناس: ﴿إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ﴾ [آل عمران:١٧٣][٢].

الفصل العشرون

ص(٣٠٣)

في الأذكار التي تَطْرُدُ الشيطان:

قد تقدم أن من قرأ آية الكرسي عند نومه لم يَقْرَبْه شيطان[٣]، وأن من قرأ الآيتين من آخر سورة البقرة في ليلةٍ كَفَتاه[٤]، ومن قال في يومٍ مائة مرة: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو علىٰ كل شيء قدير، كانت له حِرْزًا من الشيطان يومه كله[٥].

وقد قال تعالىٰ: ﴿وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴿٩٧﴾ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ﴾ [المؤمنون:٩٧-٩٨].

وكان النبي ﷺ يقول: «**أعوذ بالله السميع العليم، من الشيطان الرجيم، من همزه ونفخه ونفثه**»[٦].

وقال سبحانه وتعالىٰ: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [فصلت:٣٦].

---

(١) أخرجه ابن السني في «عمل اليوم والليلة» (٣٤٦) بإسنادٍ ضعيف جدًّا، ورُوِي موقوفًا علىٰ ابن مسعودٍ بإسناد صحيح، وعن ابن عباس موقوفًا بإسناد حسن.

(٢) «صحيح البخاري» (٤٥٦٣).

(٣) انظر: ص(١٢٨).

(٤) انظر: ص(١٤٧).

(٥) انظر: (ص: ٦٩).

(٦) جزء من حديث جبير بن مطعمٍ رضي الله عنه في الاستفتاح، وقد تقدم ص(١٥٧).

والأذان يطرد الشيطان كما تقدم[(١)].

وعن زيد بن أسلم: أنه وَلِيَ مَعادِنَ، فذكروا كثرة الجن بها، فأمرهم أن يؤذِّنوا كل وقت ويُكْثِروا من ذلك، فلم يكونوا يَرَوْنَ بعد ذلك شيئًا[(٢)] .

وفي «صحيح مسلم» عن عثمان بن أبي العاص رضي الله عنه أنه قال: يا رسول الله، إن الشيطان حال بيني وبين صلاتي وبين قراءتي يَلْبِسُها عَلَيَّ. فقال رسول الله ﷺ: **«ذاك شيطان يقال له: خِنْزَب، فإذا أحسسته فتعوذ بالله منه، واتفل عن يسارك ثلاثًا»** ففعلت ذلك، فأذهبه الله عز وجل عني[(٣)] .

وأمر ابنُ عباس رجلًا وَجَدَ في نفسه شيئًا من الوسوسة والشَّكِّ أن يقرأ: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الحديد:٣][(٤)] .

ومِنْ أعظم ما يندفع به شَرُّه قراءةُ المعوذتين، وأولِ «الصافات»، وآخرِ «الحشر».

ص(٣٠٥)

الفصل الحادي والعشرون

في الذكر الذي تُحْفَظُ به النِّعَم، وما يُقال عند تجدُّدِها:

قال الله سبحانه وتعالىٰ في قصة الرجلين: ﴿ وَلَوْلَآ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ ﴾ [الكهف:٣٩].

فينبغي لمن دخل بستانه، أو داره، أو رأىٰ في ماله وأهله ما يُعْجِبُه أن يُبادِرَ إلىٰ هذه الكلمة، فإنه لا يَرىٰ فيه سوءًا.

---

(١) انظر: ص(١٣١).

(٢) أخرجه اللالكائي في «كرامات أولياء الله عز وجل» (١٢٧)، ومن طريقه الذهبي في «سير أعلام النبلاء» (٥/ ٣١٧). وفي روايته: «استُعمِل زيد بن أسلم علىٰ معدن بني سُلَيْم. . .» الخبر.

(٣) «صحيح مسلم» (٢٢٠٣).

(٤) أخرجه أبو داود (٥١١٠)، ومن طريقه الضياء المقدسي بإسنادٍ حسن، وجوّد إسناده النووي.

وعن أنسٍ قال: قال رسول الله ﷺ: «**ما أنعم الله علىٰ عبدٍ نعمة في أهل ومال وولد فقال: ﴿مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ﴾ فيرىٰ فيها آفةً دون الموت**»[١].

وعنه ﷺ أنه كان إذا رأىٰ ما يَسُرُّه قال: «**الحمد لله الذي بنعمته تَتِمُّ الصالحات**»، وإذا رأىٰ ما يَسُوؤُه قال: «**الحمد لله علىٰ كُلِّ حال**»[٢].

الفصل الثاني والعشرون

ص(٣٠٧)

في الذكر عند المصيبة:

قال الله تعالىٰ: ﴿وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ۝١٥٥ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٞ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ ۝١٥٦ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَرَحۡمَةٞۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُهۡتَدُونَ﴾ [البقرة:١٥٥-١٥٧].

وَيُذْكَر عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**لِيَسْتَرْجِعْ أحدكم في كل شيءٍ، حتىٰ في شِسْعِ نعله فإنها من المصائب**»[٣].

وقالت أم سلمة: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**ما من عبدٍ تصيبه مصيبة فيقول: إنا لله وإنا إليه راجعون، اللَّهُمَّ أجُرْنِي في مصيبتي، واخلُفْ لي خيرًا منها، إلا أجره الله تعالىٰ في مصيبته، وأخلف له خيرًا منها**».

قالت: فلما توفي أبو سلمة قُلْتُ كما أمرني رسول الله ﷺ، فأَخْلَفَ الله لي خيرًا منه، رسولَ الله ﷺ[٤].

---

(١) أخرجه الطبراني في «الأوسط» (٤/ ٣٠١)، والخطيب في «تاريخ بغداد» (٣/ ١٩٨)، وغيرهما بإسناد ضعفه ابن حجر.

(٢) أخرجه ابن ماجه (٣٨٠٣)، والطبراني في «الأوسط» (٦/ ٣٧٥) وغيرهما، وصححه الحاكم والبوصيري.

(٣) أخرجه هنّاد في «الزهد» (١/ ٥١٢)، وأبو نعيم في «ذكر أخبار أصبهان» (١/ ١٨٣) وغيرهم بإسنادٍ ضعيف. وروي موقوفًا علىٰ عمر، وإسناده حسن، وصححه ابن حجر.

(٤) أخرجه مسلم (٩١٨).

وروى -أيضًا- عنها رضي الله عنها، قالت: دخل رسول الله ﷺ على أبي سلمة وقد شق بصره، فأغمضه، ثم قال: «**إن الرُّوحَ إذا قُبِضَ تَبِعهُ البصر**» فَضَجَّ ناسٌ من أهله، فقال: «**لا تَدْعُوا على أنفسكم إلا بخير؛ فإن الملائكة يُؤَمِّنون على ما تقولون**».

ثم قال: «**اللَّهُمَّ اغفر لأبي سلمة، وارفع درجته في المهديِّين، واخْلُفْهُ في عقبه في الغابرين، واغفر لنا وله يا رب العالمين، وافْسَحْ له في قبره، ونوِّرْ له فيه**»[1].

ص(٣٠٩)

الفصل الثالث والعشرون

في الذكر الذي يُدفَع به الدَّيْن ويُرْجَى قضاؤه:

في «الترمذي» عن علي رضي الله عنه، أن مُكاتَبًا جاءه فقال: إني عجزت عن كتابتي فَأَعِنِّي. فقال: ألا أُعَلِّمُكَ كلماتٍ عَلَّمَنِيهِنَّ رسولُ الله ﷺ، لو كان عليك مثل جبل أُحُدٍ دينًا أدَّاهُ الله عنك؟ قل: «**اللَّهُمَّ اكْفِني بحلالك عن حرامك، وأَغْنِنِي بفضلك عَمَّنْ سِواك**». قال الترمذي: حديث حسن[2].

ص(٣١٠)

الفصل الرابع والعشرون

في الذكر الذي يُرْقَى به من اللَّسْعَة واللَّدْغَة وغيرهما:

في «صحيح البخاري» عن عبد الله بن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: كان رسول الله ﷺ يُعَوِّذ الحسن والحسين رضي الله عنهما ويقول: «**إن أباكما كان يُعَوِّذ بها إسماعيل وإسحاق: أُعِيذُكما بكلمات الله التامة، من كل شيطان وهامَّة، ومن كل عَيْنٍ لامَّة**»[3].

---

(١) أخرجه مسلم (٩٢٠).

(٢) أخرجه الترمذي (٣٥٦٣)، وأحمد (١/ ٤٢٤)، والبزار (٢/ ١٨٥) وغيرهم، وحسنه الترمذي وابن حجر.

(٣) «صحيح البخاري» (٣٣٧١).

وفي «الصحيحين» عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، أن رجلًا من أصحاب النبي ﷺ رَقَىٰ لديغًا بفاتحة الكتاب، فجعل يَتْفُلُ عليه ويقرأ: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾، فكأنما نَشِط من عِقَالٍ، فانطلق يمشي وما به قَلَبَة. . .» الحديث(١).

وفي «الصحيحين» عن عائشة رضي الله عنها، أن النبي ﷺ كان إذا اشتكىٰ الإنسانُ الشيءَ، أو كانت به قُرْحَةٌ، أو جرح، قال النبي ﷺ بإصبعه هكذا -ووضع سفيان بن عيينة إصبعه بالأرض، ثم رفعها- وقال: «**بسم الله، تربة أرضنا، بِرِيقَةِ بعضنا، يُشْفَىٰ به سقيمُنا، بإذن ربنا**»(٢).

وفي «الصحيحين» أيضًا عنها رضي الله عنها: أن النبي ﷺ كان يُعَوِّذ بعض أهله، يمسح بيده اليمنىٰ ويقول: «**اللَّهُمَّ رَبَّ الناس، أَذْهِبِ الباس، وَاشْفِ أنت الشافي، لا شفاء إلا شفاؤك، شِفاءً لا يغادر سَقَمًا**»(٣).

وفي «صحيح مسلم» عن عثمان بن أبي العاص رضي الله عنه: أنه شكا إلىٰ رسول الله ﷺ وَجَعًا يَجِدُه في جسده منذ أسلم، فقال النبيُّ ﷺ: «**ضع يدك علىٰ الذي تألم من جسدك، وقل: بسم الله -ثلاثًا-، وقل -سبع مرات-: أعوذ بعزة الله وقدرته من شَرِّ ما أَجِدُ وَأُحاذِر**»(٤).

وفي «السنن» عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «**من عاد مريضًا لم يحضر أجله، فقال عنده -سبع مرات-: أسأل الله العظيم رب العرش العظيم أن يشفيك، إلا عافاه الله تعالىٰ**»(٥).

---

(١) «صحيح البخاري» (٢٢٧٦، ٥٧٣٦، ٥٧٤٩)، و«مسلم» (٢٢٠١).

(٢) «صحيح البخاري» (٥٧٤٥، ٥٧٤٦)، و«مسلم» (٢١٩٤) واللفظ له.

(٣) «صحيح البخاري» (٥٧٤٣، ٥٧٥٠)، و«مسلم» (٢١٩١).

(٤) «صحيح مسلم» (٢٢٠٢).

(٥) أخرجه أبو داود (٣١٠٦)، والترمذي (٢٠٨٣)، وأحمد (١/ ٦٣٥) وغيرهم، وحسنه الترمذي وابن حجر.

وفي «سنن أبي داود والنسائي»، عن أبي الدرداء قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: **«من اشتكىٰ منكم، أو اشتكىٰ أخٌ له فليقل: رَبَّنا الله الذي في السماء، تَقَدَّسَ اسمُك، أمرُك في السماء والأرض، كما رحمتُك في السماء فاجعل رحمتَك في الأرض، اغفر لنا حُوبنا وخطايانا، أنت رب الطَّيِّبين، أنزل رحمة من رحمتك وشفاءً من شفائك علىٰ هذا الوجع. فيبرأ»**[1].

ص(٣١٣)

الفصل الخامس والعشرون

في ذكر دخول المقابر:

في «صحيح مسلم» عن بريدة بن الحصيب قال: كان رسول الله ﷺ **يُعَلِّمُهُم** إذا خرجوا إلىٰ المقابر، أن يقول قائلهم: **«السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين والمسلمين، وإنا إن شاء الله بكم لاحقون، نسأل الله لنا ولكم العافية»**[2].

وفي «سنن ابن ماجه» عن عائشة قالت: فقدت النبي ﷺ فإذا هو بالبقيع، فقال: **«السلام عليكم دار قوم مؤمنين، أنتم لنا فَرَطٌ، وإنا بكم لاحقون، اللَّهُمَّ لا تحرمنا أجرهم، ولا تَفْتِنَّا بعدهم»**[3].

---

(١) أخرجه أبو داود (٣٨٩٢)، والدارميُّ في «الرد علىٰ الجهمية» (٧٠)، والطبراني في «الأوسط» (٨/ ٢٨٠) وغيرهم. وصححه الحاكم، وتعقبه الذهبي فضعفه.

(٢) «صحيح مسلم» (٩٧٥).

(٣) أخرجه ابن ماجه (١٥٤٦)، وأحمد (٨/ ١٠٢)، وأبو يعلىٰ (٨/ ٦٩) وغيرهم، وأصل الحديث عند مسلم (٩٧٤) في سياقٍ طويل.

الفصل السادس والعشرون

ص(٣١٤)

في ذكر الاستسقاء:

قال تعالىٰ: ﴿ فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ۝١٠ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴾ [نوح: ١٠-١١].

عن جابر بن عبد الله قال: أَتَتِ النبي ﷺ بَواكٍ فقال: «**اللَّهُمَّ اسقنا غيثًا مُغِيثًا، مريئًا مَرِيعًا، نافعًا غير ضارّ، عاجلًا غير آجل**». فَأَطْبَقَتْ عليهم السماء(١).

وعن عائشة قالت: شكا الناس إلىٰ رسول الله ﷺ قحوط المطر، فأمر بمنبر فَوُضِعَ له في المُصَلَّىٰ، ووعد الناس يومًا يخرجون فيه، فخرج رسول الله ﷺ حين بدا حاجب الشمس، فقعد علىٰ المنبر، فكبَّرَ وحمد الله ﷻ، ثم قال:

«**إنكم شكوتم جَدْبَ دياركم، واسْتِئْخارَ المطر عن إِبَّانِ زمانه عنكم، وقد أمركم الله سبحانه وتعالىٰ أن تدعوه، ووعدكم أن يستجيب لكم**». ثم قال: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ۝٤﴾، **لا إله إلا الله، يفعل ما يريد، اللَّهُمَّ أَنت الله لا إله إلا أنت الغني، ونحن الفقراء، أنزل علينا الغيث، واجعل ما أنزلت علينا قوة وبلاغًا إلىٰ حين**».

ثم رفع يديه، فلم يزل في الرَّفعِ حتىٰ بدا بياض إبطيه، ثم حَوَّلَ إلىٰ الناس ظهره، وقلب -أو حَوَّل- رداءه وهو رافع يديه، ثم أقبل علىٰ الناس، فنزل، فصلىٰ ركعتين، فَأَنْشَأَ الله ﷻ سحابة، فرَعَدَتْ وَبَرقَتْ، ثم أمطرت بإذن الله تعالىٰ، فلم يَأْتِ مسجدَه حتىٰ سالت السيول، فلما رأىٰ سرعتهم إلىٰ الكِنِّ ضحك النبي ﷺ حتىٰ بدت نواجذه، وقال: «**أشهد أن الله علىٰ كل شيء قدير، وأني عبد الله ورسوله**»(٢).

---

(١) أخرجه أبو داود (١١٦٩)، والطبراني في «الدعاء» (٣/ ١٧٨٦)، والبيهقي في «الكبرىٰ» (٣/ ٣٥٥) وغيرهم. وصححه ابن خزيمة، والحاكم.

(٢) أخرجه أبو داود (١١٧٣)، والبيهقي في «الكبرىٰ» (٣/ ٣٤٩)، وغيرهما، وصححه ابن حبان والحاكم.

وفي «سنن أبي داود» عن عبد الله بن عمرو قال: كان رسول الله ﷺ إذا استسقىٰ قال: «**اللَّهُمَّ اسْقِ عبادك وبهائمك، وَانْشُرْ رحمتك، وأَحْيِ بلدك الميت**»[١].

وقال الشعبي: خرج عمر يستسقي، فلم يَزِدْ علىٰ الاستغفار. فقالوا: ما رأيناك استسقيت؛ فقال: لقد طلبتُ الغيث بمَجَادِيحِ السماء[٢] التي يُسْتَنْزَلُ بها المطر. ثم قرأ: ﴿فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ۝١٠ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا﴾ [نوح: ١٠-١١] ﴿وَأَنِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ الآية [هود: ٣][٣].

الفصل السابع والعشرون

ص(٣١٧)

في أذكار الريح إذا هاجت:

قال أبو هريرة: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**الريح من رَوْحِ الله تعالىٰ، تأتي بالرحمة، وتأتي بالعذاب، فإذا رأيتموها فلا تَسُبُّوها، واسألوا الله من خيرها، واستعيذوا بالله من شرها**» رواه أبو داود[٤].

وفي «صحيح مسلم» عن عائشة قالت: كان النبي ﷺ إذا عَصَفَتِ الريح قال: «**اللَّهُمَّ إني أسألك خيرها، وخير ما فيها، وخير ما أُرْسِلَتْ به، وأعوذ بك من شرِّها، وشرِّ ما فيها، وشرِّ ما أُرْسِلَتْ به**»[٥].

---

(١) أخرجه أبو داود (١١٧٦)، والبيهقي في «الكبرىٰ» (٣/ ٣٥٦)، وابن عديّ في «الكامل» (٤/ ٣١٩) موصولًا، والأرجح أنه من حديث عمرو بن شعيب مرسلًا.

(٢) «مجاديح السماء»: جمع «مِجْدَح»، نَوْءٌ من الأنواء الدَّالَّةِ علىٰ المطر عند العرب، شبَّه عمرُ رضي الله عنه الاستغفار بها؛ مخاطبةً لهم بما يعرفون، لا قولًا بالأنواء.

(٣) أخرجه سعيد بن منصور في «السنن» (٥/ ٣٥٣)، وابن أبي شيبة في «المصنّف» (٢/ ٤٧٤)، وغيرهما، وفي إسناده انقطاع.

(٤) أخرجه أبو داود (٥٠٩٧)، وابن ماجه (٣٧٢٧)، والنسائي في «عمل اليوم والليلة» (٩٣١، ٩٣٢)، وأحمد (٣/ ٦٥) وغيرهم. وصححه ابن حبان، والحاكم.

(٥) «صحيح مسلم» (٨٩٩). وأخرج البخاري (٣٢٠٦) أصل الحديث دون الدعاء.

وفي «سنن أبي داود» عن عائشة أيضًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «أن النبي ﷺ كان إذا رأىٰ ناشئًا في أُفق السماء تَرَكَ العمل وإنْ كان في صلاة، ثم يقول: «**اللَّهُمَّ إني أعوذ بك من شَرِّها**» فإن أمطرت قال: «**اللَّهُمَّ صَيِّبًا هنيئًا**»[1].

الفصل الثامن والعشرون ص(٣١٨)

في الذكر عند الرعد:

كان عبد الله بن الزبير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا إذا سمع الرعد ترك الحديث، فقال: سبحان الذي يُسَبِّحُ الرعدُ بحمده والملائكةُ من خِيفته[2].

وعن كعبٍ أنه قال: من قال ذلك ثلاثًا؛ عُوفِيَ من ذلك الرعد[3].

وفي الترمذي عن عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أن رسول الله ﷺ كان إذا سمع صوت الرعد والصواعق قال: «**اللَّهُمَّ لا تَقْتُلْنا بغضبك، ولا تُهْلِكْنا بعذابك، وعَافِنا قبل ذلك**»[4].

الفصل التاسع والعشرون ص(٣٢٠)

في الذكر عند نزول الغيث:

في «الصحيحين» عن زيد بن خالد الجهني قال: صلىٰ بنا رسول الله ﷺ الصبح بالحديبية في إثر سماءٍ كانت من الليل، فلما انصرف أقبل علىٰ الناس فقال: «**هل تدرون ماذا قال ربكم**»؟ قالوا: اللهُ ورسوله أعلم. قال: «**قال: أصبح من عبادي مؤمن**

---

(١) أخرجه أبو داود (٥٠٩٩)، وابن ماجه (٣٨٨٩)، والنسائي في «عمل اليوم والليلة» (٩١٤، ٩١٥)، وأحمد (٨/ ٣٦٤) وغيرهم. وصححه ابن حبان وابن حجر.

(٢) أخرجه مالك في «الموطأ» (٢/ ٥٩١)، ومن طريقه البخاري في «الأدب المفرد» (٧٢٣)، وابن أبي شيبة في «المصنّف» (١٠/ ٢١٥) وغيرهم، وصححه النوويّ.

(٣) أخرجه أبو الشيخ في «العظمة» (٤/ ١١٩١) وغيره، قال ابن حجر: «هذا موقوف حسن الإسناد».

(٤) أخرجه الترمذي (٣٤٥٠)، والبخاري في «الأدب المفرد» (٧٢١)، وأحمد (٢/ ٤٥٧) والحديث استغربه الترمذي، وصححه الحاكم، وحسّنه العراقي.

بي وكافر، فأما من قال: **مُطِرْنا بفضل الله ورحمته، فذلك مؤمن بي، كافر بالكواكب، وأما من قال: مُطِرْنا بِنَوْءِ كذا وكذا، فذاك كافر بي، مؤمن بالكواكب**»[١].

وقد قيل: إن الدعاء عند نزول الغيث مستجابٌ[٢].

وفي «صحيح البخاري» عن عائشة رضي الله عنها: أن النبي ﷺ كان إذا رأىٰ المطر قال: «**صَيِّبًا نافعًا**»[٣].

وفي «صحيح مسلم» عن أنسٍ رضي الله عنه قال: أصابنا ونحن مع رسول الله ﷺ مطر، فَحَسَر رسول الله ﷺ ثوبه حتىٰ أصابه من المطر، فقلنا: يا رسول الله، لِمَ صنعت هذا؟ قال: «**لأنه حديثُ عَهْدٍ بِرَبِّه**»[٤].

ص(٣٢١)

الفصل الثلاثون

في الذكر والدعاء عند زيادة المطر وكثرة المياه والخوف منها:

في «الصحيحين» عن أنس قال: دخل رجل المسجد يوم جمعة ورسولُ الله ﷺ قائم يخطب الناس، فقال: يا رسول الله، هلكت الأموال، وانقطعت السبل، فادع الله يغيثنا. فرفع رسول الله ﷺ يديه ثم قال: «**اللَّهُمَّ أغثنا، اللَّهُمَّ أغثنا، اللَّهُمَّ أغثنا**».

قال أنس: والله ما نرىٰ في السماء من سحابٍ ولا قَزَعَة[٥]، وما بيننا وبين سَلْعٍ[٦] من بيت ولا دار، فطلعت من ورائه سحابة مثل التُّرس، فلما توسطت السماء

(١) «صحيح البخاري» (٨٤٦، ١٠٣٨، ٤١٤٧)، و«مسلم» (٧١).
(٢) لم يثبت في هذا حديثٌ مرفوعٌ إلىٰ النبي ﷺ، وفي الباب أحاديثُ ضِعاف، وبعضها شديدُ الضعف، ولعلّ مجموعها يدلُّ علىٰ أنّ لذلك أصلًا.
(٣) «صحيح البخاري» (١٠٣٢).
(٤) «صحيح مسلم» (٨٩٨).
(٥) القَزعة: القطعة من الغَيْم.
(٦) جبلٌ متصلٌ بالمدينة.

انتشرت، ثم أمطرت، فلا والله ما رأينا الشمس سَبْتًا.

ثم دخل رجل من ذلك الباب في الجمعة المقبلة، ورسول الله ﷺ قائم يخطب فقال: يا رسول الله، هلكت الأموال، وانقطعت السبل، فادع الله يمسكها عنا، فرفع رسول الله ﷺ يديه ثم قال: «**اللَّهُمَّ حوالَيْنا ولا علينا، اللَّهُمَّ علىٰ الآكامِ والظِّرابِ**[١]، **وبُطون الأودية، ومَنَابتِ الشجر**».

قال: فأَقْلَعَتْ، وخرجنا نمشي في الشمس»[٢].

الفصل الحادي والثلاثون ص(٣٢٢)

في الذكر عند رؤية الهلال:

عن عبد الله بن عمر قال: كان رسول الله ﷺ إذا رأىٰ الهلال قال: «**الله أكبر، اللَّهُمَّ أَهِلَّهُ علينا بالأمن والإيمان، والسلامة والإسلام، والتوفيق لما تحب وترضىٰ، رَبُّنا ورَبُّك الله**»[٣].

وفي «سنن أبي داود» عن قتادة، أنه بلغه: أن نبي الله ﷺ كان إذا رأىٰ الهلال قال: «**هلالُ خيرٍ ورشد، وهلالُ خيرٍ ورشد، وهلالُ خيرٍ ورشد، آمنت بالله الذي خلقك**» ثلاث مرات. ثم يقول: «**الحمد لله الذي ذهب بشهر كذا، وجاء بشهر كذا**»[٤].

---

(١) الآكام: الرَّوابي. والظِّراب: الجبال الصغار.

(٢) «صحيح البخاري» (١٠١٤)، و«مسلم» (٨٩٥، ٨٩٦، ٨٩٧).

(٣) أخرجه الدارمي (١/ ٤٢٨)، والطبراني في «الكبير» (١٢/ ٢٧٣). وصححه ابن حبان، وله شاهد من حديث طلحة بن عبيد الله عند الترمذي (٣٤٥١) وغيره، وقال: «حسن غريب».

(٤) أخرجه أبو داود في «السنن» (٥٠٥١)، وابن أبي شيبة في «المصنّف» (١٠/ ٤٠٠)، وغيرهما هكذا مرسلًا بإسنادٍ صحيح. ورُوي مرفوعًا، ولا يصحّ، كما قال أبو داود.

ص(٣٢٣)

الفصل الثاني والثلاثون

في الذكر للصائم، وعند فطره:

عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**ثلاثة لا ترد دعوتهم: الصائم حين يفطر، والإمام العادل، ودعوة المظلوم**» حديث حسن[١].

وروىٰ ابن ماجه عن ابن أبي مُلَيْكة، عن عبد الله بن عمرو: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن للصائم عند فطره دعوةً ما تُرَدُّ**».

وقال ابن أبي مُلَيْكة: سمعت عبد الله بن عمرو رضي الله تعالىٰ عنهما إذا أفطر يقول: اللَّهُمَّ إني أسألك برحمتك التي وَسِعَتْ كل شيءٍ أن تغفر لي[٢].

ويُذْكَر عن النبي ﷺ أنه كان إذا أفطر قال: «**اللَّهُمَّ لك صمت، وعلىٰ رزقك أفطرت**»[٣].

ومن وجهٍ آخر: «**اللَّهُمَّ لك صُمْنَا، وعلىٰ رزقك أفطرنا، فتقبَّلْ منا، إنك أنت السميع العليم**»[٤].

---

(١) أخرجه الترمذي (٣٥٩٨) وحسنه، وابن ماجه (١٧٥٢)، وأحمد (٣/ ١٩٩) وغيرهم، وصححه ابن خزيمة وابن حبان، وحسنه ابن حجر، إلا أن قوله «حين يفطر» جاء عند الترمذي (٢٥٢٦) من وجهٍ معلول.

(٢) أخرجه ابن ماجه (١٧٥٣)، والطبراني في «الدعاء» (٢/ ١٢٢٩)، وغيرهما، وحسنه ابن حجر.

(٣) أخرجه الطبراني في «الأوسط» (٧/ ٢٩٨)، و«الصغير» (٢/ ١٣٣)، و«الدعاء» (٢/ ١٢٢٩)، وضعفه المؤلف وغيره.

(٤) أخرجه الدارقطني في «السنن» (٢/ ١٨٥)، والطبراني في «الكبير» (١٢/ ١١٣) وغيرهما، من حديث ابن عباس، وسنده واهٍ جدًّا كما ذكر ابن كثير وابن حجر.

الفصل الثالث والثلاثون

ص(٣٢٦)

في أذكار السفر:

روىٰ الطبراني عن النبي ﷺ أنه قال: «**ما خلف أحد عند أهله أفضل من ركعتين يركعهما عندهم حين يريد سفرًا**»[١].

وفي «مسند الإمام أحمد» عن أبي هريرة رضي الله تعالىٰ عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «**من أراد سفرًا فليقل لمن يخلف: أستودعكم الله الذي لا تَضِيعُ ودائِعُه**»[٢].

وفي «المسند» -أيضًا- عن عمر[٣] عن النبي ﷺ قال: «**إن الله إذا استودع شيئًا حَفِظَهُ**»[٤].

وقال سالم: كان ابن عمر يقول للرجل إذا أراد سفرًا: ادْنُ مني أودِّعك كما كان رسول الله ﷺ يودّعنا، فيقول: «**أستودع الله دينك وأمانتك وخواتيم عملك**»[٥].

ومن وجهٍ آخر: كان النبي ﷺ إذا ودَّع رجلًا أَخَذَ بيده، فلا يَدَعُها حتىٰ يكون الرجل هو الذي يَدَعُ يَدَ النبي ﷺ. . . وذكر تمام الحديث. قال الترمذي: حديث حسن صحيح[٦].

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في «المصنّف» (٢/ ٨١)، وغيره من حديث المطعم بن المقدام، وفيه ضعف.

(٢) أخرجه بهذا اللفظ الطبراني في «الدعاء» (٢/ ١١٨٢) بإسنادٍ ضعيف. وأخرجه أحمد (٣/ ٣٤٢) وغيره من وجه آخر، وحسَّنه ابن حجر.

(٣) كذا هو في الأصول التي بين يديّ، وهو خطأ، والحديثُ في «الكلم الطيّب» و«الأذكار» ومصادِر التخريج مِنْ مسند عبد الله بن عمر رَضِوَاللَّهُعَنْهُمَا.

(٤) أخرجه النسائي في «عمل اليوم والليلة» (٥٠٩)، والبيهقي في «الكبرىٰ» (٩/ ١٧٣)، وغيرهما من حديث ابن عمر، وصححه ابن حبان، وابن حجر.

(٥) أخرجه الترمذي (٣٤٤٣)، وأحمد (٢/ ٢٣٠)، وغيرهما. والحديث صححه الترمذي، وابن خزيمة، والحاكم.

(٦) أخرجه الترمذي (٣٤٤٢)، والبزار (٣/ ١٥٨) وفي إسناده اختلافٌ وجهالة. ونَقْلُ المصنّف هنا لقول الترمذي: «حسن صحيح» فيه نظر، وإنما قاله في الرواية السابقة.

وقال أنس رضي الله عنه: جاء رجل إلىٰ النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، إني أريد سفرًا فَزَوِّدْنِي. فقال: «**زَوَّدَكَ الله التقوىٰ**»، قال: زِدْنِي، قال: «**وغفر ذنبك**»، قال: زدني، قال: «**ويَسَّرَ لك الخير حيثما كنت**» قال الترمذي: حديث حسن[١].

وعن أبي هريرة أن رجلًا قال: يا رسول الله؛ إني أريد أن أسافر فأوصني، قال: «**عليك بتقوىٰ الله عز وجل، والتكبير علىٰ كل شَرَفٍ**» فلما وَلَّىٰ الرجل قال: «**اللَّهُمَّ اطْوِ لَهُ الْبُعْدَ، وهَوِّنْ عليه السفر**». قال الترمذي: حديث حسن[٢].

ص(٣٣١)

الفصل الرابع والثلاثون

في ركوب الدابة والذكر عنده:

قال علي بن ربيعة: شهدت علي بن أبي طالب رضي الله عنه أُتِيَ بدابة ليركبها، فلما وضع رجله في الركاب قال: بسم الله، فلما استوىٰ علىٰ ظهرها قال: الحمد لله، ثم قال: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ ۝١٣ وَإِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ﴾ [الزخرف:١٣-١٤]. ثم قال: «الحمد لله» ثلاث مرات. ثم قال: «الله أكبر» ثلاث مرات. ثم قال: «سبحانك إني ظلمت نفسي فاغفر لي، إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت»، ثم ضحك. فقيل: يا أمير المؤمنين! مِنْ أيِّ شيء ضحِكْتَ؟ فقال: رأيت النبي ﷺ فعل كما فعلت، ثم ضحك، فقلت: يا رسول الله، من أيِّ شيء ضحكت؟ فقال: «**إن ربك سبحانه وتعالىٰ يعجب من عبده إذا قال: اغفر لي ذنوبي، يعلم أنه لا يغفر الذنوب غيري**» رواه أهل السنن وصححه الترمذي[٣].

(١) أخرجه الترمذي (٣٤٤٤)، والبيهقي في «الدعوات» (٢/ ١٧٥) وغيرهما. قال الترمذي: «حسن غريب».

(٢) أخرجه الترمذي (٣٤٤٥)، وابن ماجه (٢٧٧١) وغيرهما. وحسنه الترمذي والبغوي.

(٣) أخرجه الترمذي (٣٤٤٦)، وأبو داود (٢٦٠٢)، والنسائي في «عمل اليوم والليلة» (٥٠٢)، وأحمد (١/ ٢٩٣) وغيرهم. وصححه الترمذي وابن حبان والحاكم.

وفي «صحيح مسلم» عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، أن رسول الله ﷺ كان إذا استوىٰ علىٰ بعيره خارجًا إلىٰ سفر، كبَّر ثلاثًا ثم قال: « ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقْرِنِينَ ۝١٣ وَإِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ﴾.

اللَّهُمَّ إنا نسألك في سفرنا هذا البر والتقوىٰ، ومن العمل ما ترضىٰ، اللَّهُمَّ هَوِّنْ علينا سفرنا هذا، واطْوِ عنا بُعْدَه، اللَّهُمَّ أنت الصاحب في السفر، والخليفة في الأهل، اللَّهُمَّ إني أعوذ بك من وَعْثَاءِ السفر، وكآبةِ المنظر، وسوء المُنْقَلَبِ في المال والأهل».

وإذا رجع قالهن وزاد فيهن «**آيبون، تائبون، عابدون، لربنا حامدون**»[١].

وفي وجهٍ آخر: «كان رسول الله ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم إذا عَلَوا الثنايا كَبَّروا، وإذا هبطوا سَبَّحُوا»[٢].

الفصل الخامس والثلاثون ص(٣٣٣)

في ذكر الرجوع من السفر:

قال عبد الله بن عمر: كان رسول الله ﷺ إذا قَفَل من حج، أو عمرة أو غزو، يُكَبِّر علىٰ كل شَرَفٍ[٣] من الأرض ثلاث تكبيرات، ثم يقول: «**لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد، وهو علىٰ كل شيء قدير، آيبون، تائبون، عابدون، ساجدون، لربنا حامدون، صدق الله وعده، ونصر عبده، وهزم الأحزاب وحده**» رواه البخاري ومسلم[٤].

---

(١) «صحيح مسلم» (١٣٤٢).

(٢) أخرجه من هذا الوجه عبد الرزاق في «المصنّف» (٥/ ١٦٠)، ومن طريقه أبو داود في «السنن» (٢٥٩٢)، وفيه إدراج، إلّا أن له شواهد، أقواها ما أخرجه البخاري (٢٩٩٣) عن جابرٍ رضي الله عنه موقوفًا، قال: «كنّا إذا صعدنا كبَّرنا، وإذا نزلنا سبَّحْنا»، وروي مرفوعًا أيضًا، وفي اتصاله خلاف.

(٣) الشَّرَفُ: هو الموضع العالي يُشْرِفُ علىٰ ما حوله.

(٤) «صحيح البخاري» (١٧٩٧)، و«مسلم» (١٣٤٤).

ص(٣٣٤)

الفصل السادس والثلاثون

في الذكر على الدابة إذا استَصْعَبَتْ:

قال يونس بن عبيد: ليس رَجلٌ يكون علىٰ دابةٍ صَعْبةٍ فيقول في أُذنها: ﴿أَفَغَيْرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾ [آل عمران:٨٣] إلا وقفت بإذن الله تعالىٰ(١).

قال شيخنا قدس الله روحه: وقد فعلنا ذلك فكان كذلك.

ص(٣٣٥)

الفصل السابع والثلاثون

في الدابة إذا انْفَلَتَتْ وما يُذْكَرُ عند ذلك:

عن ابن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، عن رسول الله ﷺ قال: «**إذا انفلتت دابة أحدكم بأرض فلاة، فلينادِ: يا عباد الله احبسوا؛ فإن للهِ عَزَّ وَجَلَّ حاضرًا سَيَحْبِسُه**»(٢).

ص(٣٣٦)

الفصل الثامن والثلاثون

في الذكر عند القرية أو البلدة إذا أراد دخولها:

عن صهيب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أن النبي ﷺ لَمْ يَرَ قَرْيَةً يريد دخولها إلا قال حين يراها: «**اللَّهُمَّ رب السموات السبعِ وما أَظْلَلْنَ، ورب الأرضين السبع وما أَقْلَلْنَ، ورب الشياطين وما أَضْلَلْنَ، ورب الرياح وما ذَرَيْنَ، أسألك خير هذه القرية، وخير أهلها،**

---

(١) أخرجه ابن السني في «عمل اليوم والليلة» (٥١١)، وهو خبر مقطوع علىٰ يونس، وراويه عنه مجهول. وقد روي عن ابن عباس أيضًا عند الثعلبي في «التفسير» (٣/ ١٠٧).

(٢) أخرجه أبو يعلىٰ (٩/ ١٧٧)، ومن طريقه ابن السني في «عمل اليوم والليلة» (٥٠٩) بإسنادٍ منقطع ضعيف. وأصحُّ ما ورد في هذا الباب ما أخرجه البيهقي في «شعب الإيمان» (١٣/ ٣٧٣) بإسنادٍ حسن عن ابن عباسٍ موقوفًا ويحتمل أن يكون له حكم الرفع، وروي مرفوعًا أيضًا، والموقوف أصح.

وخير ما فيها، وأعوذ بك من شرها، وشر أهلها، وشر ما فيها» رواه النسائي(١).

الفصل التاسع والثلاثون

ص(٣٣٧)

في ذكر المنزل يريد نزوله:

قالت خولة بنت حكيم رضي الله عنها: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«من نزل منزلًا ثم قال: أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق، لم يَضُرَّه شيء حتىٰ يَرْتَحِلَ من منزله ذلك»** رواه مسلم(٢).

وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: كان رسول الله ﷺ إذا سافر فأقبل الليل قال: **«يا أرضُ رَبيِّ وربكِ الله، أعوذ بالله من شَرِّك وشر ما فِيك، وشر ما خُلِقَ فيك، وشر ما يَدِبُّ عليك، وأعوذ بالله من أَسَدٍ وأَسْوَدٍ، ومن الحية والعقرب، ومن سَاكِنِ البلد، ومن وَالِدٍ وما ولد»** رواه أبو داود(٣).

الفصل الأربعون

ص(٣٣٨)

في ذكر الطعام والشراب:

قال سبحانه وتعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَٱشْكُرُواْ لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ [البقرة:١٧٢].

وقال عمر بن أبي سلمة رضي الله عنه قال لي رسول الله ﷺ: **«يا بُنَيّ، سَمِّ الله تعالىٰ، وَكُلْ بيمينك، وَكُلْ مِمَّا يَلِيك»** متفق عليه(٤).

وقالت عائشة رضي الله عنها: قال رسول الله ﷺ: **«إذا أكل أحدكم فليذكر اسم الله**

---

(١) أخرجه النسائي في «عمل اليوم والليلة» (٥٤٤)، والطبراني في «الكبير» (٨/ ٣٣) وغيرهما، وصححه ابن خزيمة وابن حبان والحاكم.

(٢) «صحيح مسلم» (٢٧٠٨).

(٣) أخرجه أبو داود (٢٥٩٦)، وأحمد (٢/ ٥٢٧) وغيرهما. وصححه ابن خزيمة، والحاكم.

(٤) «صحيح البخاري» (٥٣٧٦)، و«مسلم» (٢٠٢٢).

تعالىٰ في أَوَّلِه، فإن نسي أن يذكر اسم الله تعالىٰ في أَوَّلِه فليقل: بسم الله أَوَّلَه وآخره». قال الترمذي: حديث حسن صحيح[١].

وقال أُمَيَّةُ بن مَخْشِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: كان رسول الله ﷺ جالسًا ورجل يأكل، فلم يُسَمِّ حتىٰ لم يَبْقَ من طعامه إلا لقمة، فلما رفعها إلىٰ فِيه قال: بسم الله أوله وآخره، فضحك النبي ﷺ، ثم قال: «**مازال الشيطان يأكل معه، فلما ذكر اسم الله تعالىٰ استقاء ما في بطنه**» رواه أبو داود[٢].

وقال رسول الله ﷺ: «**إن الله لَيَرْضَىٰ عن العبد أن يأكل الأَكْلَة فيحمده عليها، ويشرب الشَّرْبَة فيحمده عليها**». رواه مسلم في «صحيحه» من حديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[٣].

وقال أبو هريرة: «ما عاب رسول الله ﷺ طعامًا قط، إن اشتهاه أكله، وإلا تركه». متفق عليه[٤].

وعن وَحْشِيٍّ: أن ناسًا قالوا: يا رسول الله، إنا نأكل ولا نشبع، قال: «**فلعلكم تفترقون**»؟ قالوا: نعم. قال: «**فاجتمعوا علىٰ طعامكم، واذكروا اسم الله تعالىٰ يبارك لكم فيه**» رواه أبو داود[٥].

وعن معاذ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**من أكل أو شرب فقال: الحمد لله الذي أطعمني هذا الطعام، ورزقنيه من غير حول مني ولا قوة، غُفِر له ما تقدم من**

(١) أخرجه الترمذي (١٨٥٨)، وأبو داود (٣٧٦٧)، وابن ماجه (٣٢٦٤)، وغيرهم، وصححه الترمذي، وابن حبان.

(٢) أخرجه أبو داود (٣٧٦٨)، والنسائي في «عمل اليوم والليلة» (٢٨٢)، وأحمد (٦/ ٤٤٢ - ٤٤٣) وغيرهم، وصححه الحاكم.

(٣) «صحيح مسلم» (٢٧٣٤).

(٤) «صحيح البخاري» (٣٥٦٣)، و«مسلم» (٢٠٦٤).

(٥) أخرجه أبو داود (٣٧٦٤)، وابن ماجه (٣٢٨٦)، وأحمد (٥/ ٥١٩) وغيرهم، وحسن إسناده العراقي، وابن حجر.

ذنبه». قال الترمذي: حديث حسن[١].

وعن أبي سعيد رضي الله عنه: أن النبي ﷺ كان إذا فرغ من طعامه قال: «**الحمد لله الذي أطعمنا وسقانا وجعلنا مسلمين**» رواه أبو داود والترمذي[٢].

وذكر النسائي عن رجلٍ خَدَم النبيَّ ﷺ أنه كان يسمع النبي ﷺ إذا قرّب إليه طعامه يقول: «**بسم الله**»، وإذا فرغ من طعامه قال: «**اللَّهُمَّ أَطْعَمْتَ وسَقَيْتَ، وأَغْنَيْتَ وأَقْنَيْتَ، وهَدَيْتَ واجْتَبَيْتَ، فلك الحمد على ما أعطيت**»[٣].

وفي «صحيح البخاري» عن أبي أمامة رضي الله عنه، أن النبي ﷺ كان إذا رفع مائدته قال: «**الحمد لله كثيرًا طيبًا مباركًا فيه، غير مَكْفِيٍّ ولا مُوَدَّعٍ ولا مُسْتَغْنًى عنه ربَّنا**»[٤].

الفصل الحادي والأربعون

ص(٣٤٢)

في ذكر الضيف إذا نَزَل بقوم:

عن عبد الله بن بسر قال: نزل رسول الله ﷺ على أبي فَقَرَّبْنا إليه طعامًا، ثم أُتِيَ بشرابٍ، فقال أبي: ادْعُ الله لنا. فقال: «**اللَّهُمَّ بارك لهم فيما رزقتهم، واغفر لهم وارحمهم**» رواه مسلم[٥].

وعن أنس أن النبي ﷺ جاء إلى سعد بن عبادة، فجاء بخبزٍ وزيتٍ، فَأَكَلَ، ثم قال النبي ﷺ: «**أفطر عندكم الصائمون، وأكل طعامكم الأبرار، وصَلَّتْ عليكم**

---

(١) أخرجه الترمذي (٣٤٥٨)، وأبو داود (٤٠١٩)، وابن ماجه (٣٢٨٥) وغيرهم من حديث معاذ بن أنسٍ الجهنيّ. قال الترمذي: «هذا حديث حسن غريب».

(٢) أخرجه أبو داود (٣٨٥٠)، والترمذي (٣٤٥٧)، وأحمد (٤/ ٨٤) وغيرهم. وقال الذهبيُّ: «غريب منكر».

(٣) أخرجه النسائي في «الكبرى» (٦/ ٣١٠)، وأحمد (٥/ ٦٧٧)، وغيرهما، وصحَّحه العراقي وابن حجر.

(٤) «صحيح البخاري» (٥٤٥٨).

(٥) «صحيح مسلم» (٢٠٤٢). وقد اختصره المصنّف رحمه الله.

الملائكة» رواه أبو داود[1].

وعن جابر قال: صنع أبو الهيثم بن التَّيِّهان للنبي ﷺ طعامًا، فدعا النبيَّ ﷺ وأصحابه، فلما فرغوا قال: «**أثيبوا أخاكم**» قالوا: يا رسول الله، وما إثابته؟ قال: «**إن الرجل إذا دُخِل بيتُه فأُكِل طعامُه وشُرِبَ شرابُه، فَدَعَوْا له، فذلك إثابته**» رواه أبو داود[2].

ص(٣٤٤)

الفصل الثاني والأربعون

في السلام:

عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أن رجلًا سأل رسول الله ﷺ: أيُّ الإسلام خير؟ قال: «**تُطعِم الطعام، وتقرأ السلام علىٰ من عرفت ومن لم تعرف**» متفق عليه[3].

وقال أبو هريرة: قال رسول الله ﷺ: «**لا تدخلوا الجنة حتىٰ تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتىٰ تحابُّوا، أفلا أَدُلُّكمْ علىٰ شيء إذا فعلتموه تَحَابَبْتُمْ؟ أفشوا السلام بينكم**» رواه أبو داود[4].

وقال عمار بن ياسر رضي الله عنهما: «ثلاثٌ من جَمَعَهُنَّ جَمَعَ الإيمان: الإنصافُ من نفسك، وبَذْلُ السلام للعَالَم، والإنفاق من الإقتار». ذكره البخاري[5].

وقال عمران بن حصين: جاء رجل إلىٰ النبي ﷺ فقال: السلام عليكم، فرد عليه، ثم جلس، فقال النبي ﷺ: «**عشرٌ**»، ثم جاء آخر فقال: السلام عليكم ورحمة الله، فرد عليه، فجلس، فقال: «**عشرون**»، ثم جاء آخر فقال: السلام عليكم ورحمة

---

(١) أخرجه أبو داود (٣٨٥٤)، وأحمد (٤/ ٣٥٦) وغيرهما. وصحح إسناده النووي وابن الملقّن.

(٢) أخرجه أبو داود (٣٨٥٣)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٨/ ٤٨٧) وضعّفه ابن حجر.

(٣) «صحيح البخاري» (١٢، ٢٨)، و«مسلم» (٣٩).

(٤) أخرجه مسلم (٥٤)، وأبو داود (٥١٩٣).

(٥) علّقه البخاري في «صحيحه» (١/ ٨٣ - الفتح). ووصله وكيع في «الزهد» (٢/ ٥٠٤)، وغيره بإسنادٍ صحيح.

الله وبركاته، فرد عليه، فجلس، فقال: «**ثلاثون**». قال الترمذي: حديث حسن[١] .

وعن أبي أمامة قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن أولىٰ الناس بالله من بدأهم بالسلام**» قال الترمذي: حديث حسن[٢] .

وخرج أبو داود عن علي رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «**يُجْزِئُ عن الجماعة إذا مَرُّوا أن يُسَلِّمَ أحدُهم، ويُجْزِئُ عن الجلوس أن يردَّ أحدهم**»[٣] .

وقال أنس: «مَرَّ النبي ﷺ علىٰ صبيان يلعبون، فَسَلَّمَ عليهم». حديث صحيح[٤] .

وقال أبو هريرة: قال رسول الله ﷺ: «**إذا انتهىٰ أحدكم إلىٰ المجلس فَلْيُسَلِّمْ، فإذا أراد أن يقوم فلْيُسَلِّمْ، فليست الأولىٰ بِأَحَقَّ من الآخرة**». حديث حسن[٥] .

الفصل الثالث والأربعون

ص(٣٤٧)

في الذكر عند العُطاس:

قال أبو هريرة عن النبي ﷺ: «**إن الله يحب العطاس، ويكره التثاؤب، فإذا عطس أحدكم وحَمِدَ الله، كان حقًّا علىٰ كل مسلم سمعه أن يقول: يرحمك الله، وأما التثاؤب فإنما هو من الشيطان، فإذا تثاءب أحدكم فَلْيَرُدَّه ما استطاع، فإنَّ أحدكم إذا تثاءب ضحك الشيطان منه**». رواه البخاري[٦] .

---

(١) أخرجه أبو داود (٥١٩٥)، والترمذي (٢٦٨٩)، وغيرهما، قال الترمذي: «هذا حديث حسن غريب».

(٢) أخرجه الترمذي (٢٦٩٤)، وفي سنده ضعف. وليس الحديث عند الترمذي بهذا السّياق، بل هو عند أبي داود (٥١٩٧) بهذا اللفظ، بإسناد صحيح، جوّده النووي، وحسَّنَ الحديثَ ابنُ حجر.

(٣) أخرجه أبو داود (٥٢١٠)، وأبو يعلىٰ (١/ ٣٤٥ - ٣٤٦)، والبزار (٢/ ١٦٧) وغيرهم، وحسّنه ابن حجر.

(٤) أخرجه البخاري (٦٢٤٧)، ومسلم (٢١٦٨).

(٥) أخرجه البخاري في «الأدب المفرد» (١٠٠٧)، وأبو داود (٥٢٠٨)، والترمذي (٢٧٠٦)، وحسنه الترمذي.

(٦) «صحيح البخاري» (٣٢٨٩، ٦٢٢٣، ٦٢٢٦).

وعنه أيضًا عن النبي ﷺ قال: «**إذا عطس أحدكم فليقل: الحمد لله، وليقل له أخوه أو صاحبه: يرحمك الله، فإذا قال له: يرحمك الله، فليقل: يهديكم الله ويُصْلِحُ بَالَكُمْ**» رواه البخاري[1].

وفي لفظ أبي داود: «**الحمد لله علىٰ كل حال**»[2].

وقال أبو موسىٰ الأشعري رضي الله عنه: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إذا عطس أحدكم فحمد الله فَشَمِّتوه، فإن لم يحمد الله فلا تُشَمِّتوه**» رواه مسلم[3].

ص(٣٤٩)

الفصل الرابع والأربعون

في ذكر النكاح والتهنئة به، وذِكْرِ الدُّخُولِ بالزوجة:

قال عبد الله بن مسعود: عَلَّمَنا رسول الله ﷺ خطبة النكاح: «**الحمد لله نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله**».

وفي روايةٍ زيادة: «**أرسله بالحق بشيرًا ونذيرًا بين يدي الساعة، من يُطع الله ورسوله فقد رَشَد، ومن يَعْصِهما فلا يضرُّ إلا نفسه، ولا يضرُّ اللهَ شيئًا**»[4].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ﴾ إلىٰ قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء:١] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران:١٠٢] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب:٧٠-٧١].

---

(١) «صحيح البخاري» (٦٢٢٤).

(٢) أخرجه أبو داود (٥٠٣٣).

(٣) «صحيح مسلم» (٢٩٩٢).

(٤) أخرجها أبو داود (١٠٩٧)، والطبراني في «الكبير» (١٠/ ٢١١)، وغيرهم بإسنادٍ ضعيف.

رواه أهل السنن الأربعة، وقال الترمذي: حديث حسن[١].

وعن أبي هريرة، أن النبي ﷺ كان إذا رَفَّأ الإنسانَ إذا تزوج قال: «**بارك الله لك، وبارك عليك، وجمع بينكما في خير**». قال الترمذي: حديث حسن صحيح[٢].

وعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده عن النبي ﷺ قال: «**إذا تزوج أحدكم امرأة، أو اشترىٰ خادمًا فليقل: اللَّهُمَّ إني أسألك خيرها، وخير ما جَبَلْتَها عليه، وأعوذ بك من شرها وشر ما جَبَلْتَها عليه، وإذا اشترىٰ بعيرًا، فليأخذ بِذُرْوَةِ سنامه وليقل مثل ذلك**». رواه أبو داود[٣].

وفي «الصحيحين» عن ابن عباس عن النبي ﷺ قال: «**لو أنَّ أحدكم إذا أتىٰ أهله قال: بسم الله، اللَّهُمَّ جَنِّبْنا الشيطان، وجَنِّبِ الشيطان ما رزقتنا، فقُضِيَ بينهما ولد، لم يَضُرَّه شيطان أبدًا**»[٤].

الفصل الخامس والأربعون ص(٣٥٢)

في الذكر عند الولادة، والذكر المُتَعَلِّق بالولد:

يُذْكَر أن فاطمة رضي الله تعالىٰ عنها لما دنا وِلادُها، أَمَر النبيُّ ﷺ أُمَّ سلمة وزينب بنت جحش أن تأتياها فتقرآ عليها آية الكرسي، ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ...﴾ إلىٰ آخر الآيتين [الأعراف: ٥٤-٥٥]، وتعوِّذانها بالمعوذتين[٥].

(١) أخرجه أبو داود (٢١١٨)، والترمذي (١١٠٥)، والنسائي (١٤٠٣)، وابن ماجه (١٨٩٢) وغيرهم. وحسّنه الترمذي.

(٢) أخرجه أبو داود (٢١٣٠)، والترمذي (١٠٩١)، وابن ماجه (١٩٠٥) وغيرهم، وصححه الترمذي.

(٣) أخرجه أبو داود (٢١٦٠)، والنسائي في «عمل اليوم والليلة» (٢٤٠)، وابن ماجه (١٩١٨) وغيرهم، وصححه الحاكم.

(٤) «صحيح البخاري» (١٤١، ٣٢٧١، ٣٢٨٣، ٦٣٨٨)، و«مسلم» (١٤٣٤).

(٥) أخرجه ابن السني في «عمل اليوم والليلة» (٦٢١) بإسنادٍ شديد الضعف.

وقال أبو رافع: «رأيت رسول الله ﷺ أذَّن في أُذن الحسن بن علي حين ولدته فاطمة بالصلاة». قال الترمذي: حديث حسن صحيح[١].

ويُذْكَر عن الحسين بن علي قال: قال رسول الله ﷺ: **«من وُلِد له مولود، فأذَّن في أذنه اليمنىٰ، وأقام في أذنه اليسرىٰ، لم تضره أمُّ الصِّبيان»**[٢].

وقالت عائشة: **«كان النبي ﷺ يُؤْتَىٰ بالصبيان، فيدعو لهم بالبركة ويُحَنِّكهم»**. رواه أبو داود[٣].

وقال عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما: **«إن النبي ﷺ أمر بتسمية المولود يوم سابعه، وَوَضْعِ الأذىٰ عنه، والعَقِّ»**. قال الترمذي: حديث حسن[٤].

وقد سَمَّىٰ النبيُّ ﷺ ابنَه إبراهيم[٥]، وإبراهيم بن أبي موسىٰ[٦]، وعبد الله بن

---

(١) أخرجه الترمذي (١٥٥٣)، وأبو داود (٥١٠٥)، وأحمد (٧/ ٩٠٨)، وغيرهم. وصححه الترمذي، والحاكم فتعقبه الذهبي بقوله: «عاصم ضعيف»، ومداره عليه، وله شاهد ضعيف جدًّا، فالحديث ضعيف.

(٢) أخرجه أبو يعلىٰ في «مسنده» (١٢/ ١٥٠)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (١٥/ ٩٩)، وابن عدي في «الكامل» (٧/ ١٩٨)، بإسنادٍ شديد الضعف.

و«أمّ الصبيان»: هي «الرّيح التي تعرض للصبيان، فربّما غُشِي عليهم منها». وقال الثعالبي: «هي ريحٌ تعتري الصبيان، وشيء يُفَزَّع به الصبيان». وقيل: «هي التابعة من الجنّ، وقيل: مرض يلحق الأولاد في الصِّغر».

(٣) أخرجه أبو داود (٥١٠٦) بإسنادٍ صحيح. وهو عند مسلم في «صحيحه» (٢٨٦، ٢١٤٧)، وأخرجه البخاري (٥٩٩٤) بلفظ: «كان النبي ﷺ يؤتىٰ بالصبيان فيدعو لهم».

(٤) أخرجه الترمذي (٢٨٣٢) وقال: «حسن غريب»، وله شاهد عن ابن عمر وسمرة رضي الله عنهم.

(٥) أخرجه مسلم (٢٣١٥).

(٦) أخرجه البخاري (٥٤٦٧)، ومسلم (٢١٤٥).

أبي طلحة[١]، والمنذر بن أبي أسيد[٢] قريبًا من ولادتهم[٣].

وعن أبي الدرداء قال: قال رسول الله ﷺ: **«إنكم تُدْعَون يوم القيامة بأسمائكم وأسماء آبائكم، فأحسنوا أسماءكم»**. ذكره أبو داود[٤].

وذكر مسلم عن عبد الله بن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: **«إن أحب أسمائكم إلىٰ الله ﷻ: عبد الله، وعبد الرحمن»**[٥].

وعن أبي وهب الجشمي رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«تَسَمَّوْا بأسماء الأنبياء، وإن أحبَّ الأسماء إلىٰ الله ﷻ: عبد الله، وعبد الرحمن، وأصدقها: حارث وهمام، وأقبحها: حَرْبٌ وَمُرَّة»**. رواه أبو داود والنسائي[٦].

وغَيَّر النبي ﷺ الأسماء المكروهة إلىٰ أسماء حسنة، فغيَّر اسم بَرَّة إلىٰ زينب[٧]، وغيَّر اسم حَزْنٍ إلىٰ سَهْلٍ[٨]، وغيَّر اسم عاصية فسماها جميلة[٩]، وغيَّر

(١) أخرجه البخاري (٥١٥٣)، ومسلم (٢١٤٤).

(٢) أخرجه البخاري (٦١٩١)، ومسلم (٢١٤٩).

(٣) قال البيهقي في «السنن الكبرىٰ» (٩/ ٣٠٥): «باب تسمية المولود حين يولد، وما جاء فيها أصحّ ممّا مضىٰ». ثم ساق هذه الأحاديث، يريد أنّها أصح من الأحاديث التي فيها تقييد التسمية باليوم السابع.

(٤) أخرجه أبو داود (٤٩٠٩)، وأحمد (٧/ ٢٦٢) وغيرهما، وجوّد إسناده النووي، وتابعه المصنف في «تحفة المودود».

(٥) «صحيح مسلم» (٢١٣٢).

(٦) أخرجه أبو داود (٤٩٥٠)، والنسائي (٣٥٦٥)، وأحمد (٦/ ٤٦٥)، وغيرهم، وهو معلول، والصواب أنه مرسل. وللحديث -دون أوّله- شاهدان مرسلان صحيحا الإسناد، فلعلّه يتقوىٰ بهما.

(٧) أخرجه مسلم (٢١٤٢).

(٨) أخرجه البخاري (٥٨٣٦).

(٩) أخرجه مسلم (٢١٣٩).

اسم أَصْرَم إلىٰ زُرْعَة[١].

وسمَّىٰ حَرْبًا: سَلْمًا، وسمَّىٰ المضطجع: المُنْبَعِث، وسمَّىٰ أرضًا يقال لها: عفرة: خَضِرة، وشِعْب الضلالة سماه شِعْب الهُدىٰ، وبنو الزِّنية سماهم بني الرِّشْدة.

ص(٣٥٨)

الفصل السادس والأربعون

في صياح الديكة والنهيق والنباح:

في «الصحيحين» عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: **«إذا سمعتم نهيق الحمير، فتعوَّذوا بالله من الشيطان، فإنها رَأَتْ شيطانًا، وإذا سمعتم صياح الدِّيَكة، فَسَلُوا الله من فضله، فإنها رَأَتْ مَلَكًا»**[٢].

وفي «سنن أبي داود» عن جابر رضىٰ الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«إذا سمعتم نباح الكلاب ونهيق الحمير بالليل، فتعوذوا بالله منهن، فإنَّهُنَّ يَرَيْنَ مالا تَرَوْنَ»** رواه أبو داود[٣].

ص(٣٥٩)

الفصل السابع والأربعون

في الذكر الذي يُطفأ به الحريق:

يُذْكَر عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«إذا رأيتم الحريق فكبِّروا؛ فإن التكبير يُطْفِئُه»**[٤].

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٩١٥)، والرّوياني في «مسنده» (٢/ ٤٦٩)، والطبراني في «الكبير» (١/ ١٩٦) وغيرهم، وصححه الحاكم.

(٢) «صحيح البخاري» (٣٣٠٣)، و«مسلم» (٢٧٢٩).

(٣) أخرجه أبو داود (٥١٠٤)، والبخاري في «الأدب المفرد» (١٢٣٣، ١٢٣٤)، وأحمد (٥/ ٤٢-٤٣) وغيرهم من طرقٍ. وصححه ابن حبان والحاكم.

(٤) أخرجه العقيلي في «الضعفاء» (٢/ ٢٩٦)، وابن عدي في «الكامل» (٤/ ١٥١)، وغيرهما من طرقٍ عن عمرو بن شعيب. ولا يصحُّ منها شيء، والحديثُ شديد الضّعف.

الفصل الثامن والأربعون

ص(٣٦٠)

في كفارة المجلس:

عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**من جلس مجلسًا، فكَثُر فيه لَغَطُه، فقال قبل أن يقوم من مجلسه ذلك: سبحانك اللَّهُمَّ وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك؛ إلا كَفَّرَ الله له ما كان في مجلسه ذلك**». قال الترمذي: حديث حسن صحيح[1].

وفي حديثٍ آخر: «**أنه إن كان في مجلس خيرٍ كان كالطَّابع له، وإن كان في مجلس تخليطٍ كان كفارة له**»[2].

وفي «السنن» عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ: «**ما من قوم يقومون من مجلسٍ لا يذكرون الله تعالىٰ فيه إلا قاموا عن مثل جيفة حمار، وكان عليهم حسرة**»[3].

وعن ابن عمر قال: قلَّما كان رسول الله ﷺ يقوم من مجلس حتىٰ يدعو بهؤلاء الكلمات لأصحابه: «**اللَّهُمَّ اقسم لنا من خشيتك ما تحول به بيننا وبين معصيتك، وَمِنْ طاعتك ما تُبَلِّغنا به جنتك، وَمِن اليقين ما تُهَوِّن به علينا مصائب الدنيا، اللَّهُمَّ متعنا بأسماعنا وأبصارنا وقوتنا ما أحييتنا، واجعله الوارث منا، واجعل ثأرنا علىٰ من ظلمنا، وانصرنا علىٰ من عادانا، ولا تجعل مصيبتنا في ديننا، ولا تجعل الدنيا أكبر همِّنا، ولا مبلغ علمنا، ولا تُسَلِّط علينا من لا يرحمنا**». قال الترمذي حديث حسن[4].

---

(١) أخرجه الترمذي (٣٣/ ٣٤)، وأحمد (٣/ ٣٦٩)، والطحاوي في «شرح المعاني» (٤/ ٢٨٩) وغيرهم.

(٢) أخرجه النسائي في «عمل اليوم والليلة» (٤٢٤)، والطبراني في «الكبير» (٢/ ١٣٨) وغيرهما من حديث جُبَيْر بن مطعم رضي الله عنه، وصححه الحاكم علىٰ شرط مسلم.

(٣) تقدم تخريجه ص(٥٩).

(٤) أخرجه الترمذي (٣٥٠٢)، والنسائي في «عمل اليوم والليلة» (٤٠٢)، والطبراني في «الدعاء»=

ص(٣٦٢)

الفصل التاسع والأربعون

فيما يُقال ويُفعَل عند الغضب:

قال الله سبحانه وتعالىٰ: ﴿ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ [فصلت:٣٦].

وقال سليمان بن صُرَد: كنت جالسًا مع النبي ﷺ ورجلان يَسْتَبَّان، أحدهما قد احمرَّ وجهه وانتفخت أوداجه، فقال النبي ﷺ: «**إني لأعلم كلمة لو قالها لذهب عنه ما يَجِدُ، لو قال: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ذهب عنه ما يجد**» متفق عليه(١).

وعن عطية بن عروة قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الغضب من الشيطان، وإن الشيطان خُلِقَ من النار، وإنما تُطْفَأ النار بالماء، فإذا غضب أحدكم فليتوضأ**» رواه أبو داود(٢).

وفي حديثٍ آخر: «أنه أمر مَنْ غَضِب إذا كان قائمًا أن يجلس، وإذا كان جالسًا أن يضطجع»(٣).

ص(٣٦٣)

الفصل الخمسون

فيما يقال عند رؤية أهل البلاء:

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**من رأىٰ مبتلًىٰ فقال: الحمد لله الذي عافاني مما ابتلاك به، وفضَّلني علىٰ كثير ممن خلق تفضيلًا، لم يُصِبْه ذلك البلاء**». قال الترمذي: حديث حسن(٤).

= (٣/ ١٦٥٦) وغيرهم، وحسنه الترمذي، وصححه الحاكم.

(١) «صحيح البخاري» (٣٢٨٢، ٦٠٤٨)، و«مسلم» (٢٦١٠).

(٢) أخرجه أبو داود (٤٧٨٤)، وأحمد (٦/ ١٦٨)، وغيرهما بإسنادٍ فيه ضعف.

(٣) أخرجه أبو داود (٤٧٨٢)، وأحمد (٧/ ١٦٣ - ١٦٤). وصححه ابن حبان (٥٦٨٨) من حديث أبي ذر رضي الله عنه. والصواب أنه مرسل.

(٤) أخرجه الترمذي (٣٤٣٢)، والطبراني في «الدعاء» (٢/ ١١٧٠)، وابن عدي في «الكامل» (٤/ ١٤٣) وغيرهم. وحسنه الترمذيّ وغيره.

الفصل الحادي والخمسون ص(٣٦٤)

في الذكر عند دخول السوق:

عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**من دخل السوق فقال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، يحيي ويميت، وهو حي لا يموت، بيده الخير وهو علىٰ كل شيء قدير، كتب الله له ألف ألف حسنة، ومحا عنه ألف ألف سيئة، ورفع له ألف ألف درجة**» رواه الترمذي[١].

وعن بريدة رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ إذا دخل السوق قال: «**بسم الله، اللَّهُمَّ إني أسألك خير هذه السوق وخير ما فيها، وأعوذ بك من شرها وشر ما فيها، اللَّهُمَّ إني أعوذ بك أن أُصِيبَ بها يمينًا فاجرة، أو صفقة خاسرة**»[٢].

الفصل الثاني والخمسون ص(٣٦٥)

في الرَّجُلِ إذا خَدِرت رِجْلُه:

عن الهيثم بن حنش قال: كنا عند عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، فخَدِرَت رجله، فقال له رجل: اذكر أحب الناس إليك، فقال: يا محمد! ، فكأنما نَشِط من عقال[٣].

وعن مجاهد رحمه الله قال: خَدِرَتْ رِجْلُ رَجُلٍ عند ابن عباس رضي الله عنهما، فقال:

---

(١) تقدم تخريجه ص(٧٠).

(٢) أخرجه البخاري في «التاريخ الكبير» (١/ ١٧٩)، والبيهقي في «الدعوات» (١/ ١٣٢)، وغيرهما بإسنادٍ ضعيف.

(٣) أخرجه ابن السني في «عمل اليوم والليلة» (١٧١) بإسنادٍ ضعيف.

ورُوِي من وجهٍ آخر عند البخاري في «الأدب المفرد» (٩٦٤)، وغيره بإسناد فيه ضعف.

وعلىٰ فرض ثبوت الخبر؛ فهذا الفعلُ جارٍ علىٰ عادةٍ من عادات العرب في الجاهلية، كان الرجلُ منهم إذا خدرت رجله ذكَر من يُحِبُّ، أو دعاهُ؛ فيذهب خَدَرُها، وليس ذلك من الاستغاثة والطّلب في شيءٍ كما ترىٰ.

اذكر أحب الناس إليك، فقال: محمد ﷺ، فذهب خَدَرُه[١].

ص(٣٦٧)

الفصل الثالث والخمسون

في الدابة إذا عَثَرَتْ:

عن أبي المليح عن رجلٍ قال: كنت رديف النبي ﷺ، فعثرت دابته، فقلت: تَعِسَ الشيطان، فقال: «**لا تقل: تَعِسَ الشيطان، فإنك إذا قلت ذلك تَعاظَمَ حتىٰ يكون مثل البيت، ويقول: بِقُوَّتِي. ولكن قل: بسم الله، فإنك إذا قلت ذلك تصاغر حتىٰ يكون مثل الذباب**»[٢].

ص(٣٦٨)

الفصل الرابع والخمسون

فيمن أَهْدَىٰ هدية أو تَصَدَّقَ بصدقة فدعا له، ماذا يقول؟

عن عائشة رضي الله عنها قالت: أُهدِيتْ لرسول الله ﷺ شاةٌ فقال: اقسميها، وكانت عائشة رضي الله عنها إذا رجعت الخادم تقول: ماذا قالوا؟ تقول الخادم: قالوا: بارك الله فيكم، تقول عائشة رضي الله عنها: وفيهم بارك الله، نَرُدُّ عليهم مثل ما قالوا، ويبقىٰ أجرنا لنا[٣].

وقد رُوِيَ عنها في الصدقة مثل ذلك[٤].

ص(٣٦٩)

الفصل الخامس والخمسون

فيمن أُمِيط عنه أذى:

عن أبي أيوب رضي الله عنه أنه تناول من لحية رسول الله ﷺ أذىٰ، فقال رسول الله ﷺ: «**مَسَح الله عنك يا أبا أيوب ما تكره**»[٥].

---

(١) أخرجه ابن السني في «عمل اليوم والليلة» (١٧٠) بإسنادٍ شديد الضعف.

(٢) أخرجه أبو داود (٤٩٨٢)، والنسائي في «عمل اليوم والليلة» (٥٥٤) بإسنادٍ صحيح.

(٣) أخرجه النسائي في «عمل اليوم والليلة» (٣٠٣) وغيره، بإسناد حسن.

(٤) أخرجه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٤/ ١٩٢).

(٥) أخرجه ابن السني في «عمل اليوم والليلة» (٢٨٢) بإسنادٍ ضعيف.

وفي لفظٍ آخر: «**لا يَكُنْ بك السوءُ يا أبا أيوب**»(١).

وعن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أنه أخذ عن رجلٍ شيئًا، فقال الرجل: صرف الله عنك السوء، فقال عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: صرف الله عنا السوء منذ أسلمنا، ولكن إذا أُخِذ عنك شيء فقل: أَخَذَتْ يداك خيرًا(٢).

الفصل السادس والخمسون ص(٣٧٠)

في رؤية باكورة الثمرة:

قال أبو هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: كان الناس إذا رأوا الثمر جاؤوا به إلىٰ رسول الله ﷺ فقال: «**اللَّهُمَّ بارك لنا في ثمرنا، وبارك لنا في مدينتنا، وبارك لنا في صاعنا، وبارك لنا في مُدِّنا**». ثم يعطيه أصغر من يحضره من الولدان. رواه مسلم(٣).

الفصل السابع والخمسون ص(٣٧١)

في الشيء يراه ويُعْجِبُه ويَخَافُ عليه العَيْن:

قال الله سبحانه وتعالىٰ: ﴿وَلَوْلَآ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ﴾ [الكهف:٣٩].

وقال النبي ﷺ: «**العين حق، ولو كان شيءٌ سابِقُ القَدَرِ لَسَبَقَتْهُ العين**». حديث صحيح(٤).

ويُذْكَر عن النبي ﷺ أنه قال: «**إذا رأىٰ أحدكم ما يعجبه في نفسه أو ماله فليبرِّك**

(١) أخرجه الطبراني في «الكبير» (٤/ ١٣٠)، وابن عدي في «الكامل» (٧/ ١٩٩) وغيرهما بإسنادٍ شديد الضعف، وروي عن الحسن من قوله بإسنادٍ حسن.

(٢) أخرجه ابن السني في «عمل اليوم والليلة» (٢٨٤) بإسنادٍ منقطع.

(٣) «صحيح مسلم» (١٣٧٣).

(٤) أخرجه مسلم (٢١٨٨).

عليه؛ فإن العين حق»[١].

ويُذْكَر عنه ﷺ أنه قال: «**من رأىٰ شيئًا فأعجبه فليقل: ما شاء الله، لا قوة إلا بالله**»[٢].

ويُذْكَر عنه ﷺ فيمن خاف أن يصيب شيئًا بعينه قال: «**اللَّهُمَّ بارك لنا فيه ولا تَضُرَّه**»[٣].

وقال أبو سعيد: «كان رسول الله ﷺ يَتَعَوَّذُ من الجانِّ، وعينِ الإنسان، حتىٰ نزلت المعوِّذتان، فلما نزلتا أخذ بهما وترك ما سواهما». قال الترمذي: حديث حسن. ورواه ابن ماجه في «سننه»[٤].

ص(٣٧٣)

الفصل الثامن والخمسون

في الفأل والطِّيَرة:

قال النبي ﷺ: «**لا عدوىٰ ولا طِيَرة، وأصدقها الفأل**» قيل: وما الفأل؟ قال: «**الكلمة الحسنةُ يَسْمَعُها الرجل**»[٥].

وكان النبي ﷺ يعجبه الفأل[٦].

كما كان في سفر الهجرة فَلَقِيَهُمْ رجل فقال: «**ما اسمك**»؟ قال: بريدة. قال:

---

(١) أخرجه النسائي في «عمل اليوم والليلة» (٢١١)، وأحمد (٥/ ٣٩٣)، وأبو يعلىٰ (١٣/ ١٥٣) وغيرهم بإسنادٍ حسن.

(٢) أخرجه ابن عديّ في «الكامل» (٣/ ٣٢٥)، وابن السني في «عمل اليوم والليلة» (٢٠٨) بإسنادٍ ضعيف جدًّا.

(٣) أخرجه أبو الشيخ في «أخلاق النبي ﷺ» (٧٥٩)، وابن السني في «عمل اليوم والليلة» (٢٠٩)، ولا يصحّ.

(٤) أخرجه الترمذي (٢٠٥٨)، والنسائي (٥٤٩٤)، وابن ماجه (٣٥١١)، وحسنه الترمذي.

(٥) أخرجه البخاري (٥٧٥٦)، ومسلم (٢٢٢٤) من حديث أنسٍ رضي الله عنه.

(٦) كما في حديثِ أنسٍ رضي الله عنه السابق، وغيره.

«بَرَدَ أمرُنا»[١].

وقال ﷺ: «**رأيت في منامي كأني في دار عقبة بن رافع، وأُتِينا من رُطَبِ ابن طاب، فأَوَّلْتُها الرفعة لنا في الدنيا، والعاقبة لنا في الآخرة، وأن ديننا قد طاب**»[٢].

وأما الطِّيَرة: فقال معاوية بن الحكم: قلت: يا رسول الله؛ مِنّا رجال يتطيرون. قال: «**ذلك شيء تجدونه في صدوركم فلا يَصُدَّنَّكم**»[٣].

وهذه الأحاديث في «الصحاح»[٤].

وعن عقبة بن عامر قال: سئل رسول الله ﷺ عن الطيرة، فقال: «**أصدقها الفألُ، ولا تَرُدُّ مسلمًا، وإذا رأيتم من الطيرة شيئًا تكرهونه، فقولوا: اللَّهُمَّ لا يأتي بالحسنات إلا أنت، ولا يَذْهَبُ بالسيئات إلا أنت، ولا حول ولا قوة إلا بالله**»[٥].

الفصل التاسع والخمسون

ص(٣٧٥)

في الحَمّام:

يُذْكَر عن أبي هريرة أنه قال: «نِعْم البيتُ الحمَّام يَدْخُلُه المسلم، إذا دخله سأل الله الجنة، واستعاذ به من النار»[٦].

---

(١) أخرجه ابن عدي في «الكامل» (١/ ٤١٠)، وابن عبد البر في «التمهيد» (٢٤/ ٧٣) وغيرهم عن بريدة بن الحصيب رضي الله عنه بإسنادٍ ضعيف جدًّا.

(٢) أخرجه مسلم (٢٢٧٠) من حديث أنسٍ رضي الله عنه.

(٣) أخرجه مسلم (٥٣٧).

(٤) يعني الحديثين الأخيرين.

(٥) أخرجه أبو داود (٣٩١٩)، وابن قانع في «معجم الصحابة» (٢/ ٢٦٢)، والبيهقي في «الكبرى» (٨/ ١٣٩) وغيرهم. وفي إسناده انقطاعٌ وإرسال. وهو في جميع المصادر: «عن عروة بن عامر». ووقع في الأصول التي بين يديّ، و«الكلم الطيب»، و«الأذكار»: «عن عقبة بن عامر»، وهو خطأ.

(٦) أخرجه ابن أبي شيبة في «المصنّف» (١/ ١٠٩)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (١٣/ ٤٧٣) بنحوه، وهو صحيح موقوف.

الفصل الستون

في الذكر عند دخول الخلاء والخروج منه:

في «الصحيحين» عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: كان النبي ﷺ إذا دخل الخلاء قال: «**اللَّهُمَّ إني أعوذ بك من الخبث والخبائث**»[(١)]. وزاد سعيد بن منصور «**بسم الله**»[(٢)].

وفي «مسند الإمام أحمد» عن زيد بن أرقم قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن هذه الحشوش مُحْتَضَرة**[(٣)]**، فإذا أتىٰ أحدكم الخلاء فليقل: أعوذ بالله من الخبث والخبائث**»[(٤)].

وفي «سنن ابن ماجه» عن أبي أمامة أن رسول الله ﷺ قال: «**لا يعجز أحدكم إذا دخل مرفقه أن يقول: اللَّهُمَّ إني أعوذ بك من الرِّجْسِ النجسِ، الخبيثِ المُخْبِث، الشيطانِ الرجيم**»[(٥)].

وفي «الترمذي» عن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**ستر ما بين الجن وعورات بني آدم إذا دخل الكنيف أن يقول: بسم الله**»[(٦)]. ص(٣٧٦)

وقالت عائشة: كان رسول الله ﷺ إذا خرج من الغائط قال: «**غفرانك**». رواه الإمام أحمد وأهل السنن[(٧)].

(١) «صحيح البخاري» (١٤٢، ٦٣٢٢)، و«مسلم» (٣٧٥).

(٢) أخرجها سعيد بن منصور في «سننه» -كما في «شرح علل ابن أبي حاتم» لابن عبد الهادي (٢١٦) -، وابن أبي شيبة في «المصنَّف» (١/ ١) وغيرهما، بإسناد ضعيف.

(٣) الحُشوش: مواضع قضاء الحاجة. تَحْضُرها الجنُّ والشياطين.

(٤) أخرجه أحمد (٦/ ٥٢٩)، وأبو داود (٦)، وابن ماجه (٢٩٦) غيرهم. وصححه ابن خزيمة وغيره.

(٥) أخرجه ابن ماجه (٢٩٩)، وابن عدي في «الكامل» (٥/ ١٧٩)، والطبراني في «الدعاء» (٢/ ٩٦٥)، وضعفه البوصيري.

(٦) أخرجه الترمذي (٦٠٦)، وابن ماجه (٢٩٧)، وغيرهما. وضعفه الترمذي وغيره.

(٧) أخرجه أحمد (٨/ ٢٨٨)، وأبو داود (٣٠)، والترمذي (٧)، وابن ماجه (٣٠٠) وغيرهم. والحديث صححه الأئمة.

وفي «سنن ابن ماجه» عن أنس رضي الله عنه قال: كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا خرج من الخلاء قال: «**الحمد لله الذي أذهب عني الأذىٰ وعافاني**»[(١)].

الفصل الحادي والستون ص(٣٨٠)

في الذكر عند إرادة الوضوء:

ثبت في النسائي عنه صلى الله عليه وسلم أنه وضع يده في الجفنة، وقال: «**توضؤوا بسم الله**»[(٢)].

وفي «صحيح مسلم» عن جابر رضي الله عنه في حديثه الطويل، وفيه: «**يا جابر نادِ بِوَضوء**» فقلت: ألا وَضوء؟ ألا وَضوء؟ ألا وَضوء؟ وفيه: فقال: «**خذ يا جابر فَصُبّ عَلَيَّ وقل: بسم الله**» فصببت عليه، وقلت: بسم الله، فرأيت الماء يفور من بين أصابع رسول الله صلى الله عليه وسلم[(٣)].

وفي «المسند» و«السنن» من حديث سعيد بن زيد عن النبي صلى الله عليه وسلم: «**لا وُضوء لمن لم يذكر اسم الله عليه**»[(٤)].

قال البخاري: هذا أحسن شيء في هذا الباب.

وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**لا صلاة لمن لا وضوء له، ولا وضوء لمن لم يذكر اسم الله عليه**» رواه الإمام أحمد وأبو داود[(٥)].

وفي «المسند» من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم: «**لا وضوء**

---

(١) أخرجه ابن ماجه (٣٠١) بإسنادٍ ضعيف، ضعَّفه النووي ومغلطاي والبوصيري.

(٢) أخرجه النسائي (٧٨)، وأحمد (٤/ ٤٢٧)، وأبو يعلىٰ (٣٧٩٥) وغيرهم، عن أنس رضي الله عنه، وصححه ابن خزيمة، وابن حبان، وابن حجر.

(٣) «صحيح مسلم» (٣٠١٣).

(٤) أخرجه أحمد (٥/ ٦٩٨)، والترمذي (٢٥)، وابن ماجه (٣٩٨) وغيرهم، وأعله غير واحدٍ.

(٥) أخرجه أحمد (٣/ ٤٩٩)، وأبو داود (١٠١)، وابن ماجه (٣٩٩) وغيرهم، وقال الذهبيّ: «إسناده فيه لين».

لمن لم يذكر اسم الله عليه»[١] .

ص(٣٨٢)

الفصل الثاني والستون

في الذكر بعد الفراغ من الوضوء:

روىٰ مسلم في «صحيحه» عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: **«ما منكم من أحد يتوضأ فيبلغ -أو فيُسْبِغ- الوضوء، ثم يقول: أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله؛ إلا فُتِحت له أبواب الجنة الثمانية، يَدْخُل من أيِّها شاء»**[٢].

وزاد فيه الترمذي بعد ذكر الشهادتين: **«اللَّهُمَّ اجعلني من التوابين واجعلني من المتطهرين»**[٣].

وفي بعض طرقه ذكرها أبو داود والإمام أحمد: **«فأحسن الوضوء، ثم رفع نظره إلىٰ السماء فقال. . .»** وذكره[٤].

وفي لفظٍ للإمام أحمد: **«من توضأ فأحسن الوضوء ثم قال -ثلاث مرات-: أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله»**[٥] .

وفي «سنن النسائي» عن أبي سعيد الخدري قال: «من توضأ ففرغ من وضوئه فقال: سبحانك اللَّهُمَّ وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك،

(١) أخرجه أحمد (٤/ ١٠٧)، وابن ماجه (٣٩٧) وغيرهما. والحديث ضعفه أحمد وغيره، وحسَّنه البعضُ بشواهده.

(٢) «صحيح مسلم» (٢٣٤).

(٣) أخرجه الترمذي (٥٥)، وهذه الزيادة لا تثبت كما قال ابن حجر.

(٤) أخرجه أحمد (١/ ١١٣)، وأبو داود (١٧٠)، وغيرهما بإسنادٍ ضعيفٍ.

(٥) أخرجه أحمد (٤/ ٦٧٥)، وابن ماجه (٤٦٩) وغيرهما عن أنسٍ رضي الله عنه بإسنادٍ ضعّفه النوويّ والبوصيري.

طُبع عليها بطابَع، ثم رفعت تحت العرش فلم تُكْسَر إلىٰ يوم القيامة»[١].

هكذا رواه من قول أبي سعيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ورواه بقي بن مخلد في تفسيره من حديثه أيضًا مرفوعًا.

وأما الأذكار التي يقولها العامة علىٰ الوضوء عند كل عضوٍ فلا أصل لها عن رسول الله ﷺ، ولا عن أحد من الصحابة والتابعين، ولا الأئمة الأربعة، وفيها حديثٌ كذبٌ علىٰ رسول الله ﷺ[٢].

الفصل الثالث والستون

ص(٣٨٥)

في ذكر صلاة الجنازة:

في «صحيح مسلم» عن عوف بن مالك قال: صلىٰ رسول الله ﷺ علىٰ جنازة، فحفظتُ من دعائه وهو يقول: «**اللَّهُمَّ اغفر له وارحمه، وعافِهِ واعْفُ عنه، وأكْرِمْ نُزُلَه، وَوَسِّع مُدْخَلَه، واغسله بالماء والثلج والبرد، وَنَقِّهِ من الذنوب والخطايا كما نَقَّيْتَ الثوب الأبيض من الدَّنسِ، وأبدله دارًا خيرًا من أهله، وزوجًا خيرًا من زوجه، وأدخله الجنة، وأَعِذْهُ من عذاب القبر**» قال: حتىٰ تمنيت أن أكون أنا ذلك الميت؛ لدعاء رسول الله ﷺ.

وفي لفظٍ: «**وَقِهِ فتنة القبر وعذاب النار**»[٣].

وفي «سنن أبي داود» عن أبي هريرة قال: صلىٰ رسول الله ﷺ علىٰ جنازة فقال: «**اللَّهُمَّ اغفر لحيِّنا وميِّتنا، وشاهدنا وغائبنا، وصغيرنا وكبيرنا، وذكرنا وأنثانا، اللَّهُمَّ من أحييته منا، فَأَحْيِهِ علىٰ الإسلام، ومن توفَّيته منا فَتَوفَّهُ علىٰ الإيمان، اللَّهُمَّ لا**

(١) أخرجه النسائي في «عمل اليوم والليلة» (٨٢)، والطبراني في «الدعاء» (٢/ ٩٧٦) وغيرهما عن أبي سعيد موقوفًا، وهو مع هذا له حكم الرفع.

(٢) انظر: «زاد المعاد» (١/ ١٩٥)، و«المنار المنيف» (٩٦ - ٩٧) للمصنِّف.

(٣) «صحيح مسلم» (٩٦٣).

تحرمنَا أجره، ولا تُضِلنا بعده»[١].

وفي «سنن أبي داود» أيضًا عن واثلة بن الأسقع قال: صلىٰ رسول الله ﷺ علىٰ رجل من المسلمين فسمعته يقول: «**اللَّهُمَّ إن فلان ابن فلان في ذمتك وحَبْلِ جِوارِك، فَقِهِ من فتنة القبر وعذاب النار، وأنت أهْلُ الوفاء والحمد، اللَّهُمَّ فاغفر له وارحمه، إنك أنت الغفور الرحيم**»[٢] .

وسأل مروان أبا هريرة: كيف سمعت رسول الله ﷺ يصلي علىٰ الجنازة؟ قال: «**اللَّهُمَّ أنت ربُّها، وأنت خلقتَها، وأنت هديتها للإسلام، وأنت قبضت روحها، وأنت أعلم بسرها وعلانيتها، جئنا شفعاء فاغفر له**» رواه الإمام أحمد وأبو داود[٣].

ص(٣٨٧)

الفصل الرابع والستون

في الذكر إذا قال هُجْرًا، أو جرى على لسانه ما يسخط ربه ﷻ:

ثبت عن النبي ﷺ أنه قال: «من حلف منكم فقال في حلفه: **واللَّات والعُزَّىٰ، فليقل: لا إله إلا الله، ومن قال لصاحبه: تعال أُقامِرْكَ، فليتصدق**»[٤].

فكل من حلف بغير الله فهذه كفارته؛ لأن النبي ﷺ قال: «**من حلف بغير الله فقد أشرك**» حديث صحيح[٥].

وكفارة الشرك: التوحيد، وهو كلمة «لا إله إلا الله».

---

(١) أخرجه أبو داود (٣٢٠١)، والترمذي (١٠٢٤)، وغيرهما، وصححه الترمذي، وابن حبان، والحاكم.

(٢) أخرجه أبو داود (٣٢٠٢)، وابن ماجه (١٤٩٩)، وغيرهما. وصححه ابن حبان. وحسّنه ابن حجر.

(٣) أخرجه أحمد (٣/ ٧٩ - ٨٠)، وأبو داود (٣٢٠٠)، وغيرهما. وحسّنه ابن حجر.

(٤) أخرجه البخاري (٤٥٧٩، ٥٧٥٦)، ومسلم (١٦٤٧).

(٥) أخرجه أبو داود (٣٢٥١)، والترمذي (١٥٣٥)، وأحمد (٢/ ٣٠٠) وغيرهم من حديث ابن عمر رضي الله عنهما. وحسنه الترمذي.

ومن قال: تعال أُقامِرْكَ، فقد تكلم بِهُجْرٍ وفُحْشٍ يتضمن أكل المال وإخراجه بالباطل، وكفارة هذه الكلمة بضد القِمار، وهو إخراج المال في أَحَقِّ مواضعه، وهو الصدقة.

وقال مصعب بن سعد بن أبي وقاص عن أبيه: حلفتُ باللَّاتِ والعُزَّىٰ -وكان العهد قريبًا- فذكرت ذلك للنبي ﷺ فقال: «**قد قلتَ هُجْرًا، قل: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وانفث عن يسارك سبعًا، ولا تَعُدْ**»[١] .

الفصل الخامس والستون ص(٣٨٩)

فيما يقول من اغتاب أخاه المسلم:

يُذْكَر عن النبي ﷺ: أن كفارة الغيبة أن تستغفر لمن اغتبته، تقول: «**اللَّهُمَّ اغفر لنا وله**». ذكره البيهقي في كتاب «الدعوات الكبير»، وقال: في إسناده ضعف[٢].

وهذه المسألة فيها قولان للعلماء -هما روايتان عن الإمام أحمد-، وهما: هل يكفي في التوبة من الغيبةِ الاستغفارُ للمغتاب، أم لابد من إعلامه وتَحَلُّلِه؟.

والصحيح أنه لا يحتاج إلىٰ إعلامه، بل يكفيه الاستغفار له، وذِكْرُه بمحاسن ما فيه في المواطن التي اغتابه فيها.

وهذا اختيار شيخ الإسلام ابن تيمية، وغيره.

والذين قالوا: لابد من إعلامه؛ جعلوا الغيبة كالحقوق المالية، والفرقُ بينهما ظاهر، فإن في الحقوق المالية ينتفع المظلوم بعَوْدِ نظير مظلمته إليه، فإن شاء أخذها، وإن شاء تصدق بها.

---

(١) أخرجه أحمد (١/ ٤٩٤)، وابن ماجه (٢٠٩٧) وغيرهما. وصححه ابن حبان وغيره.

(٢) أخرجه البيهقي في «الدعوات الكبير» (٢/ ٢٩٤)، وابن أبي الدنيا في «الصمت» (٢٩٣)، وغيرهم عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرفوعًا، ولا يصحّ، وأورده ابن الجوزي في «الموضوعات».

وأما في الغيبة، فلا يُمْكِنُ ذلك، ولا يَحْصُلُ له بإعلامه إلا عكس مقصود الشارع، فإنه يُوغِرُ صدره ويؤذيه إذا سمع ما رُمِيَ به، ولعله يُنْتِجُ عداوته، ولا يصفو له أبدًا، وما كان هذا سبيله فإن الشارع الحكيم لا يبيحه ولا يُجَوِّزُه، فضلًا عن أن يوجبه ويأمر به، ومدار الشريعة علىٰ تعطيل المفاسد وتقليلها، لا علىٰ تحصيلها وتكميلها، والله تعالىٰ أعلم.

ص(٣٩١)

الفصل السادس والستون

فيما يُقال ويُفْعَل عند كسوف الشمس وخسوف القمر:

في «الصحيحين» عن عائشة رضي الله تعالىٰ عنها، عن النبي ﷺ قال: «**إن الشمس والقمر لا يخسفان لموت أحدٍ ولا لحياته، فإذا رأيتم ذلك، فادعوا الله وكبِّروا وتصدقوا**»[١].

وفي «صحيح مسلم» عن عبد الرحمن بن سمرة قال: بينا أنا أرمي بِأَسْهُمٍ لي في حياة رسول الله ﷺ، إذْ كسفت الشمس، فَنَبَذْتُهُنَّ وقلت: لأنظرنَّ ما حدث لرسول الله ﷺ في كسوف الشمس اليوم، فانتهيت إليه وهو رافع يديه يسبح ويحمد ويُهَلِّلُ ويدعو، حتىٰ حُسِرَ عن الشمس، فقرأ بسورتين وركع ركعتين[٢].

والنبي ﷺ أمر في الكسوف بالصلاة، والعَتاقة، والمبادرة إلىٰ ذكر الله تعالىٰ، والصدقة؛ فإن هذه الأمور تدفع أسباب البلاء.

ص(٣٩٢)

الفصل السابع والستون

فيما يقول من ضاع له شيءٌ ويدعو به:

ذكر علي بن المديني عن سفيان عن ابن عجلان عن عمر بن كثير بن أفلح قال: كان ابن عمر يقول للرجل إذا أضل شيئًا: قل: «اللَّهُمَّ رب الضَّالَّة، هادي

(١) «صحيح البخاري» (٩٩٧، ١٠٠٠، ١٠٠٩)، و«مسلم» (٩٠١).

(٢) «صحيح مسلم» (٩١٣).

الضَّالَّة، تهدي من الضلالة، رُدَّ عَلَيَّ ضَالَّتي بقدرتك، وسلطانك، فإنها من عطائك وفضلك»[(١)].

وفي وجهٍ آخر: سُئِل ابنُ عمر رضي الله عنه عن الضَّالَّة، فقال. يتوضأ ويصلي ركعتين، ثم يتشهد، ثم يقول: اللَّهُمَّ رادَّ الضَّالَّة، هادي الضلالة، تهدي من الضلالة، رُدَّ عليَّ ضالَّتي بِعِزَّتك وسلطانك، فإنها من فضلك وعطائك[(٢)] . قال البيهقي: هذا موقوف، وهو حسن.

وقد قيل: إن من ضاع له شيء فقال: يا جامعَ الناس ليومٍ لا ريب فيه! رُدَّ عليَّ ضالتي؛ رَدَّها الله تعالىٰ عليه[(٣)] .

الفصل الثامن والستون

ص(٣٩٤)

في عقد التسبيح بالأصابع وأنه أفضل من السُّبْحة:

رویٰ الأعمش عن عطاء بن السائب عن أبيه عن عبد الله بن عمرو قال: «رأيت رسول الله ﷺ يعقد التسبيح بيمينه» رواه أبو داود[(٤)].

وروت يُسَيْرة -إحدىٰ المهاجرات- رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «**عليكن بالتسبيح والتهليل والتقديس، ولا تغفلن فَتَنْسَيْنَ الرحمة، واعْقِدْنَ بالأنامل فإنهنَّ مسؤولاتٌ ومُسْتَنْطَقَات**»[(٥)].

---

(١) أخرجه البيهقي في «الدعوات الكبير» (٢/ ٢٧٢) بإسنادٍ رجاله ثقات.

(٢) أخرجه البيهقي في «الدعوات الكبير» (٢/ ٢٧٣).

(٣) رُوِي في هذا حديث مرفوعٌ، لا يثبت. أخرجهُ ابن النجار في «التاريخ المجدّد لمدينة السلام» (٣/ ١٧).

(٤) أخرجه أبو داود (١٥٠٢)، وغيره، والمحفوظ رواية الحديث بلفظ «بيده» كما عند الترمذي (٣٤١٠)، والنسائي (١٣٤٧)، وابن ماجه (٩٢٦) وغيرهم. وصححه الترمذي وغيره.

(٥) أخرجه الترمذي (٣٥٨٣)، وأبو داود (١٥٠١)، وأحمد (٨/ ٧٤٦) وغيرهم، وحسّنه النووي وابن حجر.

ص(٣٩٥)

الفصل التاسع والستون

في أحب الكلام إلى الله ﷻ بعد القرآن:

ثبت في «صحيح مسلم» عن سمرة بن جندب قال: قال رسول الله ﷺ: «**أحبُّ الكلام إلىٰ الله تعالىٰ أربع، لا يَضُرُّكَ بأَيِّهِنَّ بَدَأْتَ: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر**»(١).

وفي أثرٍ آخر: «**أفضل الكلام بعد القرآن أربع، وَهُنَّ من القرآن: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر**»(٢).

وفي أثر آخر: «**أفضل الكلام ما اصطفىٰ الله لملائكته: سبحان الله وبحمده**»(٣).

وفي «الصحيحين» عن أبي هريرة عن النبي ﷺ: «**كلمتان خفيفتان علىٰ اللسان، ثقيلتان في الميزان، حبيبتان إلىٰ الرحمن: سبحان الله وبحمده، وسبحان الله العظيم**»(٤).

وفي «صحيح مسلم» عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**لأَنْ أقول: «سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر؛ أَحبُّ إليَّ مما طلعت عليه الشمس**»(٥).

---

(١) «صحيح مسلم» (٢١٣٧).

(٢) أخرجه أحمد (٦/ ٧٧٦) واللفظ له، وابن ماجه (٣٨١١) وغيرهم، وصححه ابن حبان.

(٣) أخرجه مسلم (٢٧٣١).

(٤) «صحيح البخاري» (٦٠٤٣، ٦٣٠٤، ٧١٢٤)، و«مسلم» (٢٦٩٤).

(٥) «صحيح مسلم» (٢٦٩٥).

الفصل السبعون
ص(٣٩٧)

في الذِّكْرِ المُضَاعَف:

في «صحيح مسلم» عن جويرية أم المؤمنين رَضِيَ اللهُ عَنْهَا أن النبي ﷺ خرج من عندها بُكْرةً حين صلىٰ الصبح، وهي في مسجدها، ثم رجع بعدما أضحىٰ وهي جالسة، فقال: «مازِلْتِ علىٰ الحال التي فارقتُكِ عليها»؟ قالت: نعم. فقال النبي ﷺ: «**لقد قلتُ بعدك أربع كلمات -ثلاث مرات- لو وُزِنَتْ بما قلتِ منذ اليوم لوزنتهن: سبحان الله عدد خلقه، سبحان الله رِضىٰ نفسه، سبحان الله زِنَة عرشه، سبحان الله مِداد كلماته**»[1].

وعن سعد بن أبي وقاص أنه دخل مع رسول الله ﷺ علىٰ امرأةٍ وبين يديها نَوىٰ أو حصىٰ تُسَبِّح به فقال: «**ألا أُخْبِرُكِ بما هو أيسر عليك من هذا وأفضل؟**»، فقال: «**سبحان الله عدد ما خلق في السماء، سبحان الله عدد ما خلق في الأرض، سبحان الله عدد ما بين ذلك، سبحان الله عدد ما هو خالق، والله أكبر مثل ذلك، ولا إله إلا الله مثل ذلك، والحمد لله مثل ذلك، ولا حول ولا قوة إلا بالله مثل ذلك**». رواه أبو داود والترمذي وقال: حديث حسن[2].

الفصل الحادي والسبعون
ص(٣٩٨)

فيما يُقال لمن حصل له وَحْشَة:

روِّينا في «معجم الطبراني» عن البراء بن عازب أن رجلًا اشتكىٰ إلىٰ رسول الله ﷺ الوَحْشَة، فقال: «**قل: سبحان الملك القدوس، رب الملائكة والروح، جَلَّلْتَ السماوات والأرض بالعزة والجبروت**».

---

(١) «صحيح مسلم» (٢٧٢٦).

(٢) تقدم تخريجه ص(١٣٤).

فقالها الرجل، فأذهب الله عنه الوَحْشَة.[١].

ص(٣٩٩)

الفصل الثاني والسبعون

في الذكر الذي يقوله أو يُقال له إذا لبس ثوبًا جديدًا:

عن أبي نضرة عن أبي سعيد الخدري قال: كان رسول الله ﷺ إذا اسْتَجَدَّ ثوبًا سَمَّاه بِاسْمِهِ، قميصًا أو إزارًا أو عمامة، يقول: «**اللَّهُمَّ لك الحمد أنت كَسَوْتَنِيهِ، أسألك من خيره وخير ما صُنِع له، وأعوذ بك من شره وشر ما صُنِع له**».

قال أبو نضرة: وكان أصحاب رسول الله ﷺ إذا رأىٰ أحدهم علىٰ صاحبه ثوبًا قال: تُبْلِي ويُخْلِفُ اللهُ تعالىٰ. ذكره البيهقي[٢].

وعن سهل بن معاذ بن أنس عن أبيه أن رسول الله ﷺ قال: «**من لبس ثوبًا فقال: الحمد لله الذي كساني هذا ورزقنيه من غير حول مني ولا قوة؛ غُفِر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر**»[٣].

ص(٤٠٠)

الفصل الثالث والسبعون

فيما يُقال عند رؤية الفجر:

روىٰ ابن وهب عن سليمان بن بلال عن سهيل بن أبي صالح عن أبيه عن أبي هريرة قال: كان رسول الله ﷺ إذا كان في سفر فبدا له الفجر قال: «**سَمَّع سامِعٌ بحمد الله ونعمته وحُسْنِ بلائه علينا، رَبَّنَا صَاحِبْنا فأَفْضِلْ علينا، عائذًا بالله من النار**» يقول ذلك ثلاث مرات، ويرفع بها صوته. هذا إسناد صحيح علىٰ شرط مسلم[٤].

---

(١) أخرجه الطبراني في «الكبير» (٢/ ٢٤)، والبيهقي في «الدعوات الكبير» (١/ ١٢٩)، وغيرهما. وضعفه ابن حجر.

(٢) أخرجه أبو داود (٤٠٢٠)، والترمذي (١٧٦٧)، وأحمد (٤/ ٧٨) وغيرهم. وحسّنه الترمذي.

(٣) أخرجه أبو داود (٤٠١٩)، والترمذي (٣٤٥٨) وغيرهما، وحسّنه الترمذي وابن حجر.

(٤) أخرجه مسلم (٢٧١٨)، وابن خزيمة (٢٥٧١)، وابن حبان (٢٧٠١)، والحاكم (١/ ٤٤٦) واللفظ له. =

الفصل الرابع والسبعون

ص(٤٠١)

في التسليم للقضاء والقدر، بعد بذل الجهد في تعاطي ما أُمِر به من الأسباب:

قال الله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَقَالُواْ لِإِخْوَٰنِهِمْ إِذَا ضَرَبُواْ فِي ٱلْأَرْضِ أَوْ كَانُواْ غُزًّى لَّوْ كَانُواْ عِندَنَا مَا مَاتُواْ وَمَا قُتِلُواْ لِيَجْعَلَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْۗ وَٱللَّهُ يُحْيِۦ وَيُمِيتُۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [آل عمران:١٥٦].

فنهىٰ سبحانه عباده أن يتشبَّهوا بالقائلين: لو كان كذا وكذا لما وقع قضاؤه بخلافه.

وقال النبي ﷺ: «**وإيَّاك واللَّوَّ، فإن اللَّوَّ تفتح عمل الشيطان**»[(١)].

وقال أبو هريرة: قال النبي ﷺ: «**المؤمن القويُّ خيرٌ وأحبُّ إلي الله من المؤمن الضعيف، وفي كُلٍّ خير، احرص علىٰ ما ينفعك، واستعن بالله، ولا تعجز، وإن أصابك شيء فلا تقل: لو أني فعلت كذا كان كذا وكذا، ولكن قل: قَدَرُ اللهِ وما شاء فعل، فإن لو تفتح عمل الشيطان**» رواه مسلم[(٢)].

وعن عوف بن مالك أن النبي ﷺ قضىٰ بين رجلين، فقال المَقْضِيُّ عليه لَمَّا أدبر: حسبنا الله ونعم الوكيل. فقال النبي ﷺ: «**إن الله يلوم علىٰ العجز، ولكن عليك بالكَيْسِ، فإذا غلبك أمر فقل: حسبي الله ونعم الوكيل**»[(٣)].

فنهىٰ النبيُّ ﷺ أن يقول عند جريان القضاء ما يضرُّه ولا ينفعُه، وأَمَرَهُ أن يفعل

= وزيادة «ثلاث مرات، يرفع بها صوته»، ليست في حديث مسلم وابن حبان، وقد أشار ابن خزيمة إلىٰ شذوذها، واعتذر عن إخراجها.

(١) أخرجه ابن ماجه (٤١٦٨)، والنسائي في «عمل اليوم والليلة» (٦٢١)، وأحمد (٣/ ٣٦٢) وغيرهم، وصححه ابن حبان (٥٧٢١)، وأصله عند مسلم، وهو الحديث الآتي.

(٢) «صحيح مسلم» (٢٦٦٤).

(٣) أخرجه أبو داود (٣٦٢٧)، والنسائي في «عمل اليوم والليلة» (٦٢٦)، والطبراني في «الكبير» (١٨/ ٧٥ - ٧٦) وغيرهم بإسنادٍ حسن.

من الأسباب ما لا غِنَىٰ له عنه، فإن أعجزه القضاء قال: «حسبي الله ونعم الوكيل»، فإذا قال: «حسبي الله» بعد تعاطي ما أُمِرَ به من الأسباب قالها وهو محمودٌ، فانتفع بالفعل والقول، وإذا عجز وترك الأسباب وقالها؛ قالها وهو مَلُومٌ بترك الأسباب التي اقتضتها حكمة الله ﷻ، فلم تنفعْهُ الكلمةُ نَفْعَها لِمَنْ فَعَلَ ما أُمِرَ به.

ص(٤٠٣)

الفصل الخامس والسبعون

في جوامع من أدعية النبي ﷺ وتعوذاته لا غنى للمرء عنها:

قالت عائشة: «كان النبي ﷺ يُحِبُّ الجوامِع من الدعاء ويَدَعُ ما بين ذلك»[1].

وفي «المسند» والنسائي وغيرهما: أن سعدًا سمع ابنًا له يقول: اللَّهُمَّ إني أسألك الجنة وغرفها وكذا وكذا، وأعوذ بك من النار وأغلالها وسلاسلها؛ فقال سعد رضي الله عنه: لقد سألتَ الله خيرًا كثيرًا، وتَعَوَّذْتَ من شرٍّ كثير، وإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**سيكون قومٌ يَعْتَدُون في الدعاء**». وَبِحَسْبِك أن تقول: اللَّهُمَّ إني أسألك من الخير كُلِّه ما علمتُ منه وما لم أعلم، وأعوذ بك من الشر كُلِّه ما علمتُ منه وما لم أعلم[2].

وفي «مسند الإمام أحمد»، و«سنن النسائي» عن ابن عباس قال: كان من دعاء النبي ﷺ: «**ربِّ أَعِنِّي ولا تُعِنْ عليَّ، وانصرني ولا تنصر عليَّ، وامكر لي ولا تمكر عليَّ، وانصرني علىٰ من بغىٰ عليَّ، ربِّ اجعلني لك شكَّارًا، لك ذكَّارًا، لك رهَّابًا، لك مُخْبِتًا، إليك أوَّاهًا منيبًا، ربِّ تَقَبَّلْ توبتي، واغسل حَوْبتي، وأجب دعوتي، وثَبِّتْ**

(١) أخرجه أبو داود (١٤٨٢)، وأحمد (٨/ ٢٧٢)، والطيالسي (٣/ ٩٤) وغيرهم، وصححه ابن حبان، والحاكم.

(٢) أخرجه أحمد (١/ ٤٦٩، ٤٩٢)، وأبو داود (١٤٨٠)، وأبو يعلىٰ (٢/ ٧١) وغيرهم. والمحفوظ رواية الحديث من مسند عبد الله بن المغفَّل رضي الله عنه عند أبي داود وابن ماجه وغيرهما، وصححه الأئمة.

حُجَّتي، واهْدِ قلبي، وسدِّد لساني، واسْلُلْ سخيمة صدري». هذا حديث صحيح[١] .

وفي «الصحيحين» من حديث أنس بن مالك قال: كنت أخدم النبي ﷺ، فكنت أسمعه يكثر أن يقول: «**اللهم إني أعوذ بك من الهَمِّ والحَزَنِ، والعَجْزِ والكَسَلِ، والبُخْلِ والجُبْنِ، وضَلَعِ الدَّيْنِ، وغلبة الرجال**»[٢] .

وفي «صحيح مسلم» عن زيد بن أرقم رضي الله عنه، عن النبي ﷺ أنه كان يقول: «**اللَّهُمَّ إني أعوذ بك من العَجْزِ والكَسَلِ، والجُبْنِ والبُخْلِ، والهَرَمِ وعذاب القبر، اللهم آتِ نفسي تقواها، وَزَكِّها أنت خير من زكاها، أنت وليُّها ومولاها، اللهم إني أعوذ بك من قلب لا يخشع، ونفس لا تشبع، وعلم لا ينفع، ودعوة لا يستجاب لها**»[٣].

وفي «الصحيحين» عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ كان يدعو في صلاته: «**اللَّهُمَّ إني أعوذ بك من عذاب القبر، وأعوذ بك من فتنة المسيح الدجال، وأعوذ بك من فتنة المحيا والممات، اللَّهُمَّ إني أعوذ بك من المأثم والمغرم**» فقال له قائل: ما أكثر ما تستعيذ من المغرم!، قال: «**إن الرجل إذا غَرِمَ حدَّث فكذب، ووعد فأخلف**»[٤] .

وفي «صحيح مسلم» عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: كان من دعاء النبي ﷺ: «**اللَّهُمَّ إني أعوذ بك من زوال نعمتك، وتَحَوُّلِ عافيتك، ومن فُجاءة نقمتك، ومن جميع سخطك**»[٥] .

---

(١) أخرجه أحمد (١/ ٦٠٤ - ٦٠٥)، وأبو داود (١٥١٠)، والترمذي (٣٥٥١)، وابن ماجه (٣٨٣٠) وغيرهم. وصححه الترمذي وغيره.

(٢) «صحيح البخاري» (٢٧٣٦، ٥١٠٩، ٦٠٠٢)، و«مسلم» (٢٧٠٦).

(٣) «صحيح مسلم» (٢٧٢٢).

(٤) «صحيح البخاري» (٧٩٨، ٢٢٦٧، ٦٠٠٧)، و«مسلم» (٥٨٩).

(٥) «صحيح مسلم» (٢٧٣٩).

وفي الترمذي عن عائشة قالت: قلت: يا رسول الله، إن وافقتُ ليلة القدر ما أسأل؟ قال: «**قولي: اللَّهُمَّ إنك عفوٌّ تُحِبُّ العفو فاعف عني**». قال الترمذي: حديث صحيح(١).

وفي «مسند الإمام أحمد» عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه، عن النبي ﷺ أنه قال: «**عليكم بالصدق، فإنه مع البر، وهما في الجنة، وإياكم والكذب، فإنه مع الفجور، وهما في النار، وسلوا الله المعافاة، فإنه لم يُؤْتَ رجلٌ بعد اليقين خيرًا من المعافاة**»(٢).

وفي «صحيح الحاكم» عن ابن عمر عن النبي ﷺ قال: «**ما سُئل الله عز وجل شيئًا أحب إليه من أن يُسْأل العافية**»(٣).

وذكر الفريابي في كتاب «الذكر» من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: جاء رجل إلىٰ النبي ﷺ فقال: أيُّ الدعاء أفضل؟ قال: «**تسأل الله العفو والعافية، فإذا أُعطِيتَ ذلك فقد أفلحت**»(٤).

وفي «الدعوات» للبيهقي عن معاذ بن جبل قال: مَرَّ رسول الله ﷺ برجل يقول: اللَّهُمَّ إني أسألك الصبر. قال: «**سألتَ الله البلاء، فَسَلِ العافية**».

ومَرَّ برجل يقول: اللَّهُمَّ إني أسألك تمام النعمة؛ فقال: «**وما تمام النعمة؟**» قال:

---

(١) أخرجه الترمذي (٣٥١٣)، وابن ماجه (٣٨٥٠)، وأحمد (٨/ ٣٢٢ - ٣٢٣) وغيرهم، وصححه الترمذي، والحاكم.

(٢) أخرجه أحمد (١/ ٧٤، ٧٥)، والبخاري في «الأدب المفرد» (٧٢٤)، وابن ماجه (٣٨٤٩)، وصححه ابن حبان.

(٣) أخرجه الترمذي (٣٥١٥، ٣٥٤٨)، والحاكم (١/ ٤٩٨) وصححه، وأعله الترمذي، وابن عدي.

(٤) أخرجه أبو الشيخ في «طبقات المحدثين بأصبهان» (٤/ ٢٣٩) من طريق الفريابي. ورواه البخاري في «الأدب المفرد» (٦٣٦) والترمذي (٣٥١٢) وابن ماجه (٣٨٤٨) وغيرهم وفي سنده ضعف، ولمعناه شواهد.

سألتُ وأنا أرجو الخير، قال له: «**تمامُ النعمةِ الفوزُ من النار، ودخول الجنة**»[(١)].

وفي «صحيح مسلم» عن أبي مالك الأشجعي عن أبيه رضي الله تعالىٰ عنه قال: كان رسول الله ﷺ يُعَلِّمُ مَنْ أَسْلَمَ أن يقول: «**اللَّهُمَّ اهدني، وارزقني، وعافني، وارحمني**»[(٢)].

وفي «المسند» عن بسر بن أرطأة قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**اللَّهُمَّ أحسن عاقبتنا في الأمور كلِّها، وأَجِرْنا من خِزْي الدنيا وعذاب الآخرة**»[(٣)].

وفي «المسند» و«صحيح الحاكم» عن ربيعة بن عامر عن النبي ﷺ قال: «**أَلِظُّوا بياذا الجلال والإكرام**»[(٤)]. أي: الزموها وداوموا عليها.

وفي «صحيح الحاكم» أيضًا عن أبي هريرة، أن رسول الله ﷺ قال لهم: «**أتُحِبُّون أيها الناس أن تجتهدوا في الدعاء؟** » قالوا: نعم يا رسول الله. قال: «**قولوا: اللَّهُمَّ أعِنَّا علىٰ ذكرك وشكرك وحسن عبادتك**»[(٥)].

وفي «الترمذي» وغيره: أن النبي ﷺ أوصىٰ معاذًا أن يقولها في دبر صلاة[(٦)].

وفي «صحيحه» أيضًا: عن أنس قال: كنا مع النبي ﷺ في حَلْقَة، ورجل قائم يصلي، فلما ركع وسجد تَشَهَّد ودعا، فقال في دعائه: اللَّهُمَّ إني أسألك بأن لك

(١) أخرجه الترمذي (٣٥٢٧)، والبخاري في «الأدب المفرد» (٧٢٥)، وغيرهما، وحسنه الترمذي.

(٢) «صحيح مسلم» (٢٦٩٧).

(٣) أخرجه أحمد (٦/ ٥٦)، والحاكم (٣/ ٥٩١)، وغيرهما. وصححه ابن حبان، وحسنه ابن كثير.

(٤) أخرجه أحمد (٦/ ٤٥)، والنسائي في «الكبرىٰ» (٧/ ١٤٧)، والطبراني في «الكبير» (٥/ ٦٤)، وصححه الحاكم.

(٥) أخرجه الحاكم (١/ ٤٩٩)، ومن طريقه البيهقي في «الدعوات الكبير» (١/ ١٧٦)، وصححه الحاكم، ورُوِي من وجهٍ أحسن من هذا عند أحمد (٣/ ١٨٤).

(٦) تقدم تخريجه ص(١٠٤).

الحمد، لا إله إلا أنت، بديع السماوات والأرض، ياذا الجلال والإكرام، يا حي يا قيوم. فقال النبي ﷺ: «**لقد سألتَ باسمه الأعظم، الذي إذا دُعِيَ به أجاب، وإذا سُئِل به أعطىٰ**»[١].

وفي «المسند» و«صحيح الحاكم» أيضًا، عن شداد بن أوس رضي الله عنه قال: قال لي رسول الله: «**يا شداد، إذا رأيت الناس يَكْنِزُون الذهب والفضة، فَاكْنِزْ هؤلاء الكلمات: اللَّهُمَّ إني أسألك الثبات في الأمر، والعزيمة علىٰ الرُّشْد، وأسألك شكر نعمتك، وحسن عبادتك، وأسألك قلبًا سليمًا، ولسانًا صادقًا، وأسألك من خير ما تعلم، وأعوذ بك من شر ما تعلم، وأستغفرك لما تعلم، إنك أنت علام الغيوب**»[٢].

وفي «الترمذي» أن حصين بن المنذر[٣] الخزاعي رضي الله عنه قال له النبي ﷺ: «**كم تعبد إلهًا**»؟ قال: سبعة: ستة في الأرض، وواحدًا في السماء. قال: «**فمن تَعُدُّ لرغبتك ورهبتك**»؛ قال: الذي في السماء.

قال: «**أما لو أسلمت لَعَلَّمْتُك كلمتين تنفعانك**». فلما أسلم قال: يا رسول الله، علِّمني الكلمتين. قال: قل: «**اللَّهُمَّ ألهمني رشدي، وقِني شر نفسي**». حديث صحيح[٤].

وزاد الحاكم في «صحيحه»: «**اللَّهُمَّ قِني شر نفسي، واعزِمْ لي علىٰ أرشد أمري، اللَّهُمَّ اغفر لي ما أسررت وما أعلنت، وما أخطأت وما تعمّدت، وما علمت وما جهلت**». وإسناده علىٰ شرط «الصحيحين»[٥].

---

(١) تقدم تخريجه ص(١٣٧).

(٢) تقدم تخريجه ص(١٦٢، ١٦٣).

(٣) كذا وردت تسمية الصحابيّ في الأصول التي بين يديّ، والصواب أنه: حصين بن عبيد بن خلف الخزاعي.

(٤) أخرجه الترمذي (٣٤٨٣)، والطبراني في «الكبير» (١٨/ ١٧٤) وغيرهم. وقال الترمذي: «حسن غريب».

(٥) أخرجه أحمد (٦/ ٧١٧ - ٧١٨)، والحاكم (١/ ٥١٠) وغيرهما، وصححه ابن حبان وغيره.

وفي «صحيح الحاكم» عن عائشة قالت: دخل عليَّ أبو بكر رضي الله عنهما فقال: هل سمعتِ من رسول الله ﷺ دعاءً عَلَّمَنِيه؟ قلت: ما هو؟ قال: كان عيسىٰ بن مريم ﷺ يعلمه أصحابه، قال: «**لو كان علىٰ أحدكم جبلُ ذهبٍ دَيْنًا، فدعا الله بذلك لقضاه الله عنه: «اللَّهُمَّ فارج الهَمّ، كاشف الغَمّ، مُجِيبَ دعوة المضطرين، رحمنَ الدنيا والآخرة ورحيمَهما، أنت ترحمُني، فارحمْني رحمةً تُغْنِيني بها عن رحمة مَنْ سِوَاك**»[1].

وفي «صحيحه» أيضًا عن أم سلمة عن النبي ﷺ: هذا ما سأل محمد ربه: «**اللَّهُمَّ إني أسألك خير المسألة، وخير الدعاء، وخير النجاح، وخير العمل، وخير الثواب، وخير الحياة، وخير الممات، وثَبِّتني، وثَقِّلْ موازيني، وحَقِّقْ إيماني، وارفع درجتي، وتقبل صلاتي، واغفر خطيئتي، وأسألك الدرجات العلىٰ من الجنة. آمين.**

اللَّهُمَّ إني أسألك فواتح الخير وخواتمه وجوامعه، وأوله وآخره، وظاهره وباطنه، والدرجات العلىٰ من الجنة. آمين.

اللَّهُمَّ إني أسألك خير ما آتي، وخير ما أفعل، وخير ما بطن، وخير ما ظهر، والدرجات العُلىٰ من الجنة. آمين.

اللهم إني أسألك أن ترفع ذكري، وتَضَعَ وِزْري، وتُصْلِحَ أمري، وتُطَهِّرَ قلبي، وتُحَصِّنَ فرجي، وتُنَوِّرَ لي قلبي، وتغفر لي ذنبي، وأسألك الدرجات العُلَىٰ من الجنة. آمين.

اللهم إني أسألك أن تبارك لي في نفسي، وفي سمعي، وفي بصري، وفي روحي، وفي خَلْقي، وفي خُلُقي، وفي أهلي، وفي محياي، وفي مماتي، وفي عملي، وتقبل

---

(١) أخرجه الحاكم (١/ ٥١٥)، والمروزي في «مسند أبي بكر» (٤٠)، والطبراني في «الدعاء» (٢/ ١٢٨٢ - ١٢٨٣)، وصححه الحاكم، وضعفه غيره.

حسناتي، وأسألك الدرجات العُلىٰ من الجنة. آمين»[١] .

وفي «صحيحه» أيضًا من حديث معاذ قال: أبطأ عنّا رسول الله ﷺ بصلاة الفجر حتىٰ كادت أن تدركنا الشمس، ثم خرج فصلىٰ بنا فخفَّفَ في صلاته، ثم انصرف فأقبل علينا بوجهه فقال: «**علىٰ مكانِكم، أُخْبِركم ما أبطأني عنكم اليوم.**

إني صَلَّيْتُ في ليلتي هذه ما شاء الله، ثم ملكَتْني عيني فنِمْتُ، فرأيت ربي تبارك وتعالىٰ، فألهمني أن قلت: اللَّهُمَّ إني أسألك الطيبات، وفعل الخيرات، وترك المنكرات، وحُبّ المساكين، وأن تتوب عليَّ، وتغفر لي وترحمني، وإذا أردت في خلقك فتنة فنجِّني إليك منها غير مفتون، اللهم وأسألك حُبَّكَ، وَحُبَّ من يُحِبُّكَ، وحُبَّ عملٍ يُقَرِّبُني إلىٰ حُبِّك».

ثم أقبل علينا رسول الله ﷺ فقال: «**تعلَّموهن وادرسوهن، فإنّهن حق**»[٢].

ورواه الترمذي، والطبراني، وابن خزيمة، وغيرهم بألفاظ أُخَر[٣] .

وفي «صحيح الحاكم» أيضًا: عن ابن عباس قال: كان النبي ﷺ يدعو: «**اللهم قَنِّعْني بما رزقتني، وبارك لي فيه، واخْلُفْ علىٰ كل غائبة لي بخير**»[٤].

وفيه عن أنس بن مالك: أن رسول الله ﷺ كان يقول: «**اللَّهُمَّ انفعني بما**

(١) أخرجه الحاكم (١/ ٥٢٠)، ومن طريقه البيهقي في «الدعوات الكبير» (١/ ١٦٧)، والطبراني في «الكبير» (٢٣/ ٣١٦) بإسنادٍ حسن.

(٢) أخرجه الحاكم (١/ ٥٢١)، والبزار (٧/ ١١٠)، وابن خزيمة في «التوحيد» (٢/ ٥٤٥) وغيرهم بإسنادٍ ضعيف.

(٣) أخرجه الترمذي (٣٢٣٥)، وأحمد (٧/ ٣٧٦)، والطبراني في «الكبير» (٢٠/ ١٠٩)، وصححه أحمد والبخاري والترمذي.

(٤) أخرجه الحاكم (١/ ٤٥٥)، والسهمي في «تاريخ جرجان» (٩١) وغيرهم. وصححه ابن خزيمة، والحاكم.

علمتني، وعلمني ما ينفعني، وارزقني علمًا تنفعني به»[١].

وفيه -أيضًا- عن عائشة: أن رسول الله ﷺ أمرها أن تدعو بهذا الدعاء: «**اللهم إني أسألك من الخير كلِّه عاجله وآجله، ما علمتُ منه وما لم أعلم، وأعوذ بك من الشر كله، عاجله وآجله، ما علمتُ منه وما لم أعلم، وأسألك الجنة وما قَرَّب إليه من قول أو عمل، وأعوذ بك من النار وما قَرَّبَ إليها من قول أو عمل، وأسألك من خير ما سألك منه عبدك ورسولك محمد ﷺ، وأعوذ بك من شر ما استعاذ بك منه عبدك ورسولك محمد ﷺ، وأسألك ما قضيت لي من أمر أن تجعل عاقبته رشدًا»**[٢].

وفيه عن أبي هريرة: أن رسول الله ﷺ أوصىٰ سلمان الخير فقال له: «**إني أريد أن أمنحك كلمات تسألهن الرحمن، وترغب إليه فيهن، وتدعو بهن في الليل والنهار، قل: اللَّهُمَّ إني أسألك صحةً في إيمان، وإيمانًا في حُسْنِ خُلُقٍ، ونجاحًا يَتْبَعَهُ فلاح، ورحمةً منك وعافية، ومغفرة منك ورضوانًا»**[٣].

وفيه -أيضًا- عن أم سلمة عن النبي ﷺ أنه كان يدعو بهؤلاء الدعوات: «**اللَّهُمَّ أنت الأول لا شيء قبلك، وأنت الآخر لا شيء بعدك، أعوذ بك من شر كل دابَّةٍ ناصيتُها بيدك، وأعوذ بك من الإثم والكسل، ومن عذاب القبر، ومن فتنة الغِنىٰ، ومن فتنة الفقر، وأعوذ بك من المأثم والمغرم، اللهم نَقِّ قلبي من الخطايا كما نقيت الثوب الأبيض من الدنس، اللهمَ بَعِّدْ بيني وبين خطيئتي كما بَعَّدت بين المشرق والمغرب»**[٤].

---

(١) أخرجه الحاكم (١/ ٥١٠)، والنسائي في «الكبرىٰ» (٧/ ٢٠٥)، والطبراني في «الأوسط» (٢/ ٢٠٨)، وغيرهم، وصححه الحاكم.

(٢) أخرجه ابن ماجه (٣٨٤٦)، وأحمد (٨/ ٢٤٠)، والبخاري في «الأدب المفرد» (٦٣٩)، وصححه ابن حبان والحاكم.

(٣) أخرجه أحمد (٣/ ٢٤٥ - ٢٤٦)، وإسحاق بن راهويه في «مسنده» (١/ ٣٣٦)، وغيرهم، وصححه الحاكم.

(٤) أخرجه الحاكم (١/ ٥٢٠)، والطبراني في «الكبير» (٢٣/ ٣١٦)، وغيرهما بإسنادٍ حسن.

وفي «مسند الإمام أحمد» و«صحيح الحاكم» أيضًا، عن عمار بن ياسر رضي الله عنه، أنه صلىٰ صلاة أوجز فيها، فقيل له في ذلك، فقال: لقد دعوت الله فيها بدعواتٍ سمعتهن من رسول الله ﷺ: **«اللهم بعلمك الغيب، وقدرتك علىٰ الخلق، أَحْيِني ما علمتَ الحياة خيرًا لي، وتوفني إذا علمت الوفاة خيرًا لي، اللهم وأسألك خشيتَك في الغيب والشهادة، وأسألك كلمة الحق في الغضب والرِّضىٰ، وأسألك القَصْدَ في الفقر والغِنىٰ، وأسألك نعيمًا لا ينفد، وأسألك قرة عين لا تنقطع، وأسألك الرضىٰ بعد القضاء، وأسألك بَرْدَ العيش بعد الموت، وأسألك لذة النظر إلىٰ وجهك، وأسألك الشوق إلىٰ لقائك، من غير ضراء مُضِرّة، ولا فتنة مُضِلّة، اللهم زَيِّنّا بزينة الإيمان، واجعلنا هُداةً مهتدين»**[١].

وفي «صحيح الحاكم» -أيضًا- عن ابن مسعود قال: كان من دعاء رسول الله ﷺ: **«اللهم إنا نسألك مُوجِباتِ رحمتك، وعزائم مغفرتك، والسلامة من كل إثم، والغنيمة من كل بِرّ، والفوز بالجنة، والنجاة من النار»**[٢].

وفيه -أيضًا- عن رسول الله ﷺ أنه كان يدعو: **«اللهم احفظني بالإسلام قائمًا، واحفظني بالإسلام قاعدًا، واحفظني بالإسلام راقدًا، ولا تُشْمِتْ بي عدوًّا حاسدًا، اللهم إني أسألك من كل خيرٍ خزائنُه بيدك، وأعوذ بك من كل شر خزائنه بيدك»**[٣].

وعن النواس بن سمعان قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«ما من قلبٍ إلا بين إصبعين من أصابع الرحمن، إن شاء أقامه، وإن شاء أزاغه»**.

---

(١) تقدم تخريجه ص(١٦٣).

(٢) أخرجه الحاكم (١/ ٥٢٥)، ومن طريقه البيهقي في «الدعوات» (١/ ١٥٤) بإسنادٍ ضعيف جدًّا، وروي من وجهٍ أصحّ من هذا موقوفًا علىٰ ابن مسعود رضي الله عنه.

(٣) أخرجه اللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة» (٤/ ٦٥١)، والطبراني في «الدعاء» (٣/ ١٤٧٤)، والحاكم (١/ ٥٢٥)، وله شاهد، وصححه ابن حبان.

وكان رسول الله ﷺ يقول: «**يا مقلب القلوب ثبت قلبي علىٰ دينك، والميزانُ بيد الرحمن ﷻ، يرفع أقوامًا ويخفض آخرين إلىٰ يوم القيامة**». حديث صحيح رواه الإمام أحمد، والحاكم في «صحيحه»[١] .

وفي «صحيح الحاكم» أيضًا عن ابن عمر، أنه لم يكن يجلس مجلسًا -كان عنده أحدٌ أو لم يكن- إلا قال: «**اللهم اغفر لي ما قدمتُ وما أخرتُ، وما أسررتُ وما أعلنتُ، وما أسرفتُ، وما أنت أعلم به مني، اللهم ارزقني من طاعتك ما تَحُولُ به بيني وبين معصيتك، وارزقني من خشيتك ما تُبَلِّغني به رحمتك، وارزقني من اليقين ما تُهَوِّنُ به عليَّ مصائب الدنيا، وبارك لي في سمعي وبصري، واجعلهما الوارث مني، اللهم اجعل ثأري علىٰ من ظلمني، وانصرني علي من عاداني، ولا تجعل الدنيا أكبر همي، ولا مبلغ علمي، اللهم لا تُسَلِّطْ عَلَيَّ من لا يرحمني**».

فسئل عنهن ابن عمر فقال: كان رسول الله ﷺ يختم بهن مجلسه[٢].

والحمد لله رب العالمين حمدًا طيبًا مباركًا فيه كما يحب ربنا ويرضىٰ، وكما ينبغي لكرم وجهه وعِزِّ جلاله، مِلْء سماواته، ومِلْء أرضه، ومِلْء ما بينهما، ومِلْء ما شاء من شيءٍ بعد، حمدًا لا ينقطع ولا يبيد ولا يفنىٰ، عدد ما حَمِده الحامدون، وعدد ما غَفَل عن ذكره الغافلون، وصلىٰ الله علىٰ خاتم أنبيائه ورسله، وخِيرته من بَرِيَّته، وأمينِه علىٰ وحيه، وسفيره بينه وبين عباده، فاتحِ أبواب الهدىٰ، ومخرج الناس من الظلماتِ إلىٰ النور بإذن ربهم إلىٰ صراط العزيز الحميد، الذي بعثه للإيمان مناديًا، وإلىٰ الصراط المستقيم هاديًا، وإلىٰ جنات النعيم داعيًا، وبكل معروف آمرًا، وعن كل منكر ناهيًا، فأحيا به القلوب بعد مماتها، وأنارها به بعد

---

(١) أخرجه أحمد (٦/ ٥٨)، وابن ماجه (١٩٩)، والنسائي في «الكبرىٰ» (٧/ ١٥٦)، وصححه ابن حبان وغيره.

(٢) تقدم تخريجه ص(١٥٨).

ظلماتها، وأَلَّف بينها بعد شَتَاتها، فدعا إلىٰ الله ﷻ علىٰ بصيرةٍ من ربه بالحكمة والموعظة الحسنة، وجاهد في الله تعالىٰ حق جهاده، حتىٰ عُبِد الله وحده لا شريك له، وسارت دعوته سَيْرَ الشمس في الأقطار، وبلغ دينه الذي ارتضاه لعماده ما بلغ الليل والنهار، وصلىٰ الله ﷻ وملائكته وجميع خلقه عليه؛ كما عَرَّفَ بالله تعالىٰ ودعا إليه، وسلم تسليمًا.

فهرس الموضوعات